الدكتور
محسن محمد حسين

حياته، آثاره، منهجه في كتابة التاريخ

أ. د. أحمد ناجي الغريري

الكتاب: .... الدكتورمحسن محمد حسين

المؤلف: .... أ.د. أحمد ناجي الغريري

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ -٢٠١١م

المطبعة العالمية الحديثة – العراق – النجف الأشرف

الأخراج الفني

محمد الخزرجي ٠٧٨٠١٨١٦٨٤٨

رقم الإبداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (   ) لسنة ٢٠١١م

المحتويات

مقدمة

كانت سنة ١٩٨٥، بداية العلاقة التي شدتني إلى أستاذي الدكتور (محسن محمد حسين)[١]، إذ كنت طالباً في المرحلة الثالثة في قسم التاريخ / كلية التربية ابن رشد، حين درسنّا مادة فلسفة التاريخ. وكان من المعتاد لدى الطلبة في بداية كل سنة دراسية أن يدور لغط وحديث يشوبه نوع من الحذر والتمني إزاء من سيأتي إليهم في تلك السنة من تدريسيين، مشيرين إلى أسلوب التدريس والتعامل مع الطلبة ومدى التباين بين هذا الأستاذ وذاك في التعاطي مع المادة والطلبة. وكان مؤرخنا، أحد أولئك الذين حظوا باهتمام وعناية المتحاورين من الطلبة والمستفسرين عن أسلوبه في التدريس والتعامل مع الطلبة، لا سيما وقد أشيعت عن عصاميته في التعامل مع الحياة والمحيطين به وجديته المعروفة في أسلوب التدريس،فضلا عن طبيعة هذه المادة الجديدة علينا.

وكان يدور في خلجات الطالب نفسه، التفكير في الكيفية التي سيتعامل مع هذا التدريسي الصعب المراس، واقتربت الدقائق من أول محاضرة سيلقيها علينا في تلك السنة ، وما أن سمعنا وقع أقدامه في الممر المؤدي إلى قاعة المحاضرة في الطابق الأول من قسم التاريخ، حتى ساد الصمت أرجاءها بعد أن كان تداخل الكلام حالة ملأت تلك القاعة. وما أن أستقر به المقام على كرسيه المخصص للتدريسيين خلف المنصة، حتى اندمج في موضوعة درسه،

[١] سنعتمد في ثنايا هذا الكتاب كلمة "الدكتور ومؤرخنا ومترجمنا " كناية عن المترجم له.

ومع تسارع اللحظات، تناسيت أنا شخصياً كل ما قيل من أسلوب حاد أو غير ذلك، بل وجدت العكس، فالكلمات بدأت تنساب من فمه مؤطرة بلكنة جميلة في اللغة العربية الفصحى وكأنها غذاء روحي وجد طريقه صوب اللباب، فطاب مكانه وثبت وقعه وأيقنت انه الصحيح. وهذا ما ولّد في داخلي قناعة من انه مدرك لما يريد أن يقول، وناصح إذ يودع نصحه.

لقد مضى الدكتور في إلقائه محاضرات مادته بأسلوب علمي وأبوي رصين، الأمر الذي جعل معظم طلبة تلك المرحلة يلتصقون به، وكأنهم راحوا يحتكمون إليه في رسم مصيرهم في تلك المؤسسة. بل وراح الكثير منهم يتودد لمحاضراته لغزارة ما تضمنته من المعلومات إلى جانب الأسلوب الذي كان يتبعه ويتيح من خلاله الفرصة للطلبة الاشتراك بحرية في قول ما يعتلج في دواخلهم من أفكار ومعلومات، مما اوجد لدّي رغبة في تحديد مساري المعرفي وهو حب الاطلاع على تاريخ الفكر والفلسفة[1]. وكم كانت التساؤلات التي أطلقها في محاضراته تلك مؤثرة في تكويننا الفكري، إذ لما تزل صورها ماثلة في وجداني، لا سيما تلك التساؤلات التي تهدف الى الكشف عن ماهية المعرفة التاريخية[2] أو عن أسباب اختلاف رواة الخبر فيما بينهم ؟ وكيف يمكن تصفية الأخبار من نوازع المؤرخين ؟ وهل بالإمكان فعل ذلك ؟ وغيرها من التساؤلات .

---

[1] بعد تعييني تدريسياً في جامعة الكوفة سنة ١٩٩٧، تخصصت في مادة فلسفة التاريخ ومنهج البحث، وكان لي في هذا المجال كتاباً منهجياً بعنوان " منهج بحث وفلسفة التاريخ".

[2] المعرفة التاريخية ليست معرفة معطاة بقدر ما هي معرفة مبنية حسب منهج مفكر فيه من طرف المؤرخ.و إذا كان هذا المنهج يتشابه مع منهج العلوم الحقة..فانه مع ذلك يبقى منهجا خاصا، على ان المعرفة التاريخية بالماضي تختلف عن المعرفة بالحاضر فإذا كانت الأولى تطرح العديد من الصعوبات و تتطلب جهدا منهجيا في بنائها،فان الثانية تتميز بالتلقائية.

وتواصلت في وضع اللُبنات الأولى في طريق التخصص في دراسة التاريخ وكتابته مستقبلاً، وهو أمل تحوّل إلى فكرة بفعل تشجيعه لي، فكان من وراء كل خطوة أخطوها في هذا المجال، خطوتان له يدفعني إزاء مواصلة هذا الطريق.

ومع علاقتي الصميمية به، إلا أنني لم أكن أكثر التصاقاً به، لكي اكتشف ما كان يعانيه والأسرة الكريمة من مضايقات النظام له وتتبع خطواته، لا سيما حين انتهى به الحال إلى السكن في دار تابعة للجامعة، وهي بالأصل ملكاً لـ " أمين راوندوزي " ثم استولت عليها حكومة ١٤ تموز ١٩٥٨، وصارت ملكاً للجامعة وتقع قبالة دار المرحوم الباحث الكردي المعروف (توفيق وهبي) في حي العلوم (الوزيرية) قرب جسر الصرافية (الجسر الملغي ألآن) فكان منزله تحت المراقبة بشكل دائم، إذ أوصاه أحد طلبته بالحذر، وهو الدكتور " ق. ج. غ" ممن كان ضمن تنظيمات الحزب الحاكم ـ بدرجة نصير ـ وقتذاك وكان معنياً بالخفارات في المنظمة الحزبية الأخرى المجاورة لمنزل مؤرخنا، وكان يعلم بمراقبة بيت أستاذه باستمرار ويعلم أن أشخاصا كانوا يحومون حول البيت ، وهو ما دعاه إلى الاتصال بأستاذه وتحذيره لأكثر من مرة متجاوزاً بذلك عقوبة ما يمكن أن تقع عليه، بسبب تسريب مثل هذه المعلومة.

ويستذكر مؤرخنا منزله هذا بقوله : أن هذه الدار العتيقة المتهالكة التي تملكها الجامعة، وافق على السكن فيها لأنها قريبة من الكلية، رغم أنها دار متهرئة ورطبة، وفيها أنواع الكائنات من عقارب وأفاعي وجرذان وحشرة الأرضة والعناكب، تقبلها على مضض لأنه لم يمتلك ـ ولان ـ داراً أو وسيلة نقل، وقد تحولت تلك الدار إلى جحيم بسبب المنظمة (الجارة) والأخرى قبالة الدار إذ حولوا مسكن المرحوم (توفيق وهبي) إلى منظمة

"سعد بن أبي وقاص" ولا تزال بوابة الدار تحمل حرفي اسم الباحث الراحل **"T. W"**.

لقد تفاقم شعور الدكتور بالأسى والانقباض لحالته وعائلته التي تقاسمت معه همومه، إدراكه أن وتيرة المراقبة للدار قد تزايدت، لا سيما حين سرى إليهم خبر تهيئة حاجيات منزله لبيعها والهرب إلى اربيل وبطلب من قادة الحزبين الرئيسين، والتصرف بكتبه التي لم يُبع إلا القليل منها[١]، مما اضطره هذا الأمر أن يودع بعضاً منها لدى بعض أصدقائه، إلى جانب قيامه بإحراق قسم من تلك الكتب في (التنور) المثبت في ركن البيت الخلفي، وكم كانت عزيزة عليه. ومع ذلك فاللوعة كانت أعمق والخوف والرهبة أشد، حين كان رجال الأمن يخطفون من جفون مؤرخنا وعائلته طعم النوم بالاتصالات التي كانوا يجرونها في ساعات متأخرة من الليل وهم يتساءلون عن وجوده، ليتأكدوا إن كان موجوداً من عدمه.

وفي تلك الليلة المميزة بظلمتها وبهمجية رنين الهاتف الذي يتساءل عنه في حلكة الظلمة ليلة (٣/ ٤) تشرين ثاني ١٩٩٤، وبهطول المطر الذي بعث انقباضاً في النفس وخوفاً من المجهول القابع عند عتبة باب الدار، وهو يلوح بيديه الآثمتين، كل ذلك دفع بالدكتور أن يحث الخطى ويتصرف بحكمة وبسرعة، إذ اتصل بولده "دلير " الذي هيأ له سيارة على الرغم من ممانعته لولده من الوصول مع السيارة، وقد أقلتهم تلك العربة مخلفين وراءهم أكثر من ربع قرن من العيش في بغداد، تاركين أهم مقتنياتهم التي مثلت

---

[١] كنت قد أحضرت له صاحب مكتبة من شارع المتنبي يدعى الأخ (محمد ثامر) وهو حالياً رئيس القسم الثقافي في جريدة (الاتحاد) لشراء مقتنيات مكتبته، وحين اطلع عليها هذا الشخص امتنع عن شرائها لعدم جرأته، وأسرني بأنه سيقدم له مبلغاً نقدياً مضاعفاً لشراء بعض المجلات، كي لا يجرح شعور الدكتور، الذي لم يوافق بدوره على ذلك، ولم تتحقق صفقة البيع.

ذكرياتهم خلال تلك السنوات الطوال. ومع كل ذلك، فما أن قاربت العربة التي تقلهم، مدينة اربيل وشوهدت أضواؤها حتى ترجل الدكتور من السيارة والمطر لا يزال مدرارا، وأمام دهشة السائق والآخرين، راح يرفع بكفيه الطين المسيّل وقبلّه، كتعبير صادق عن إحساسه بالأمان وابتعاده عن الجحيم. وقد أعلمني فيما بعد، أنه في تلك اللحظة وعائلته، بعث الله تعالى في نفوسهم إحساسا بالأمان الذي أنساهم ما فقدوه معوّلين على ما ستقدمه الأيام القابلات لهم من بدائل غيرها، ومع ذلك فقد تأسّى على الكتب التي فقدت ـ سرقت ـ من قبل المهربين الذين كلفهم مسؤولو الحزبين بإيصالها إلى اربيل من الموصل[1].

والى ذلك، بقيت ملاصقاً متواصلاً معه حتى حصلت على الماجستير من قسم التاريخ كلية التربية / ابن رشد سنة ١٩٩٤، فكان ذلك اليوم قد حمل في معناه شيئين، أولهما أنني قد وضعت الخطوة الأولى في المسار الصحيح إزاء دراسة التاريخ، إلا أن الذي فتّ في عضدي وآلمني كثيراً وأنا في قمة انتعاشي، هو اللحظة التي فارقته فيها بعد أيام قلائل من حصولي على الماجستير، إذ لم يبق له من مجال للتحرك، إما إلى سجن النظام أو النفاذ بعائلته وترك معظم أثاثه على حالها، فكان ذلك بحق قد خلق في داخلي لوعة لم تفارقني حتى التقيته بعد أكثر من عشر سنوات فيما بعد. ومع ذلك كنت متواصلا معه خلال تلك السنوات إلى حد ترتيب أمر اللحاق به عبر الشمال الحبيب (كردستان)، بيد أن أموراً حصلت حالت دون ذلك. ومع انه غادر العراق إلى تركيا ومنها إلى ليبيا ومن ثم العودة إلى اربيل، وبعد خمس سنوات، تواصلت علاقتي معه عبر الرسائل المتتابعة التي كنت ابعثها إليه وأتلقى إجاباته الفورية التي لطالما عززت في داخلي حالة التفكير لمواصلة المسير

[1] الدكتور محسن محمد حسين، من مذكراته (مخطوط)، ص٢٢.

على الرغم من الظروف القاهرة التي رسمها النظام في طريق الكثير من أبناء الشعب .

وإذا ما علمنا أن الأمور مجبولة على التغيير في أحوالها، فأن ما من نظام مهما كان طغيانه، ومهما كانت سلطويته يدوم، فما يدوم إلا وجهه الكريم، وهكذا بين ليلة وضحاها،ورغم طول الغياب، تلاشت تلك السنين التي من الصعب إحصاؤها، والتي يمكن أن نعدها السنين السود في حياة الشعب العراقي، ذهب النظام وذهبت معه توجهاته وعادت المياه إلى مجاريها رغم العثرات، والزمن كفيل بإصلاحها إنشاء الله تعالى. وما هي إلا أيام تلتها شهور معدودات حتى التقيت بأستاذي الكريم من جديد، فكان لقاء الأحبة على ارض اربيل وكم كان بودي أن يكون ذلك اللقاء، متحققاً في ذات المكان الذي تفارقنا فيه بالقرب من معهد الإدارة / الرصافة القريب من كليتنا ـ ابن رشد ـ، إذ وقفت ولا أنسى حينها ما قلته له بالحرف الواحد : أستاذ " أبو دلير " سوف لن أقبّلك ولن أقول الوداع، إنشاء الله سنلتقي وفي هذا المكان بالذات. ومع ذلك نقول الحمد لله على كل ما حصل وما تحقق. فكان ذلك اللقاء مجدِداً واحياءا لفكرة دفينة نخرت ذاكرتي، وأخذت منها مأخذاً بعد أن كاد الخنوع يلتهم كل ما تهيأ من فكرة للعودة من جديد ... انه بحق مسوغ لنا للكتابة عن هذا الصرح العلمي المجيد والرافد الروحي للحركة العلمية في العراق في تاريخه المعاصر.

وبعد ذلك اللقاء الخالد في مخيلتي وعلى ارض مدينته العزيزة، نبشت في تلك السويعات التي أمضيتها معه، ما كان يحصل له في أثناء تدريسه في كليتنا /ابن رشد، مما جعله يزفر ليس زفرة واحدة بل العشرات، وكأنه يعيد للذكرى مرارتها، بل ووجدته يأنس بالإشارة إليها، على أنها قوّت من شكيمته وفعلّت عريكته وأضافت إلى صلابته، صلابة انتهت به إلى أن

يحدد مساره بيده، وهو ما كان دائماً يحفزنا عليه في أثناء تدريسه لنا. أشار ومن ضمن ما أشار إلى معاناته وقتذاك، أن الجميع كان يعلم بإخلاصه ويشيدون به أيمَ إشادة، وكان هؤلاء جميعاً يقفون دون أن يحرز أي تميز في مجال ترقية أو بعثة أو حتى ذكِر أمام أي مسؤول، وهو ما كان لا يرضاه لنفسه أصلاً. وأكد أن هؤلاء حاربوه بشتى السبل والوسائل، ولا سيما في ترقيته الأخيرة إلى مرتبة الأستاذية، وغير ذلك الكثير من الهموم التي لا تحصى وهو الحساس الغيور على بلده وعلى قضية شعبه.

وحاول أن يغير من مسار حياته، بعد أن تبادر إلى ذهنه بما انتهى أليه أمر قسم التاريخ في كلية الآداب جامعة صلاح الدين من تسرب الأساتذة إلى أوروبا أو إلى ليبيا، ومع ما كان يعانيه من مضايقات النظام ألبعثي له، قرر العودة إلى اربيل من جديد علّهُ يجد ما يفيده ويفيد به الآخرين. ولكم كان يكرر ما كان ولده "دلير" قد قاله بشأن ذهابه إلى اربيل، من أن شيئاً لن يتغير، بل أن الأمر سيسير نحو الأسوأ، ولا سيما بعد أن سرقت كتبه والتي كان قد أرسلها عبر طرف من الأطراف ولم يلتفت مسؤولو كردستان لحد هذه اللحظة إليها.

وفي هذا السياق من معاناة الدكتور، كتب احد تلامذته المحبين والمخلصين له، وهو الدكتور (كريم صباح ألعبيدي) قصة قصيرة نشرها تحت اسم مستعار باسم "كمال" عمد فيها إلى كشف النقاب عن تلك المعاناة وما الّم بالدكتور من ضيق في شتى جوانب الحياة، وكيف تكالبت عليه الهموم، لدرجة انه كاد ألا يحضر حتى زفاف ولده "دلير ". وأمام ما حصل له حين لم يجد في بلدته العزيزة سوى بؤس الطيبين وعنجهية المتآمرين على الشعب، وقتال الإخوة[1] وضياع الحقوق، فقد ازداد بؤسه ونقم على نفسه

[1] أي ما دار من مواجهات مسلحة بين الفصائل الكوردية.

لأنه كان سبباً في شقاء عائلته، وبدلاً من الأخذ بنصح البعض من المقربين له بالعودة إلى بغداد والاعتراف بالهزيمة بسبب خذلان المسؤولين له، رسم مساراً آخر انتهى به إلى السفر إلى خارج البلاد، فكانت ليبيا ومن مصراته كان يراسل الأحبة واليهم يبث الحنين[1].

وفي الجانب الآخر من شخصية هذا الرجل العتيد، كان لنا لقاء بما أنتجه من كتابات وما قاله من الأمر المفيد. وكل ذلك بدا لنا مسوغاً منطقياً للبدء بما أخذنا على أنفسنا من عهد الكتابة عنه، فعمدنا إلى ذلك بعد أن واجهنا صعوبة في إقناعه بالموافقة على إصدار الكتاب الذي جاء تحت عنوان " الدكتور محسن محمد حسين ... دراسة تاريخية ".

[1] محسن محمد حسين، أشهد أنني خذلت ، مقال نشر في صحيفة "راية الحرية " لحزب كادحي كردستان أربيل ١٩٩٥ وفيه يبدي رأيه في قتال الإخوة في منطقة كردستان منتصف تسعينيات القرن العشرين.

مراحل حياته الأولى وبدايات التكوين الفكري له :

كم جميل أن يكتب المرء تاريخه في حياته، لأنه في ذلك يلاحق كل شاردة وواردة تتعلق بمسيرته في الحياة، وهذه إشارة إلى أهمية الكتابة عن الأحياء لا سيما أولئك ممن لهم دور في حركة التاريخ. وحين وقفنا على مذكرات مؤرخنا، تبين انه لشد ما اهتم بأدق جزئيات حياته، وما لها من أهمية في ترجمته بالصورة التي تعطي انطباعاً واقعياً، مما لو اعتمد الباحث حين ترجمته للأشخاص عما أوردته المصادر المطبوعة من روايات عنه. وعلى سبيل المثال، وفي سياق التعريف باسمه، وجدناه يفصل القول في اختيار عائلته لأسمه حين ولادته مؤكداً على رغبة والدته ألا يسمّى باسم (محسن)، بل حاولت إقرانه بمناسبة عيد الأضحى إذ رأت عيناه ضوء ليلته، مشيراً إلى أنها قد روت له هذه الرواية بعد سنين، ولأنها لم تلح على هذا الأمر، قررت العائلة وقتذاك تنفيذ رأي عمته الكبرى "شاهناز" والدة الحاج بيرداود المعروف بـ "الحاج عنتر" (رح). والعبرة من هذا الاختيار هو رغبة والدها في أن يكون أسم الوليد يتساوق (ينسجم) مع جرس أسمه "حسين" وكذا كان الحال مع ابنه ـ أي عم الدكتور الأصغر ـ "ياسين" ليسمّى أخاه الأصغر فيما بعد "تحسين" حسب عادات بعض الأسر الاربلية[١].

ولطالما تمنى مؤرخنا لو كان جده الذي لم يره، مهتماً بتاريخ ميلاده بمقدار اهتمامه باسمه، لكان قد أسدى له خدمة جليلة، من خلال تيقنه من حقيقة تاريخ ميلاده. ولابتعد قدر الإمكان عن التخمين فيما يتعلق باليوم أو الشهر وحتى السنة. ومع ذلك، فمن الراجح أن السنة الأولى من عمره كانت قد شهدت وقوع حركة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١، معولاً على ما أفادته به والدته فيما بعد، اذ انتقلت عائلته مع بداية هذه الحركة من محلة " العرب العتيقة " إلى محلة " طيراوه / ته يراوه في أربيل"[٢].

---

[١] محسن محمد حسين، مقابلة معه، اربيل، ٢٠٠٨

[٢] نسبة إلى مختار المحلة المستحدثة "طاهر أغا" أول وأبرز شخصية سكن فيها " محسن محمد حسين، من أوراق مذكراته الخاصة، لدينا نسخة مخطوطة منها.

وفي مدرسة اربيل الأولى الواقعة قرب أسواق " نيشتمان الكبيرة "[1]، أكمل فيها السنوات الأولى من المرحلة الابتدائية. وكان مدير هذه المدرسة الأستاذ "عز الدين فيضي " ودرّس فيها أيضاً الأستاذ (علي جكل بريه) والأستاذ الراحل "حكيم "[2] وكذا الحال الأستاذ " كمال مصطفى" و "نوري أمين" و "إبراهيم أمين" الذي أصبح مديراً عاماً للمناهج في وزارة التربية، ثم أستاذا لطرائق التدريس في كلية التربية (ابن رشد / بغداد) رحمهم الله. ويشير إلى آخرين من المعلمين ممن تتلمذ عليهم من أمثال سليم وصهيون من يهود العراق[3].

أما المدرسة التي أتم فيها القسم الأخير من دراسته الابتدائية، فهي مدرسة "ابن المستوفي" مشيراً إلى عدد من المعلمين ممن تتلمذ عليهم في تلك المدرسة من أمثال (كمال شاكر ومحمد عبد الصمد وعمر أمين) والد (د. وريا) و"بويا أفندي" و(سيد فتاح والد المحامي داود ورمزي) وفتاح أو عبد الفتاح والد سامي شورش الباحث والصحفي ووزير الثقافة السابق ورئيس قائمة التحالف الكردستاني الحالي[4].

أما دراسته الثانوية، فقد أتمها في ثانوية اربيل والتي كانت أحد أهم معالم المدينة، إذ تحولت فيما بعد إلى مقر مجلس وزراء إقليم كردستان. وذكر أن المرحوم " عثمان قوجه قصاب والذي وصفه بالحازم الصارم " كان مدير هذه الثانوية، اذ عمل على انتظام المدرسة وجديتها. ولأن ذكرياتها تعيش في ضميره، أشار إلى مكتبة تلك الثانوية لما لها من أثر في وضع اللبنات الأولى في بناء شخصيته العلمية، إلى جانب إشارته لمختبراتها الثلاثة والمخصصة للكيمياء والفيزياء وعلوم الطبيعية، مؤكدا على جاهزيتها من المواد الضرورية اللازمة. وأشار فضلاً عن ذلك، إلى وجود قاعة واسعة في هذه الثانوية لخزن مستلزمات الرياضة فضلاً عن وجود ساحة واسعة للألعاب الرياضية فيها.

---

[1] من أكبر المجمعات التسويقية في العراق.

[2] أصبح محامياً فيما بعد.

[3] غادرا اربيل إلى إسرائيل بعد سنين قليلة، محسن محمد حسين، من أوراق مذكراته الخاصة، ص٢

[4] توفي بعد صراع مع المرض في ١١ تشرين ثاني ٢٠١٠، المصدر نفسه، ص٢.

واعتزازاً منه بما أفاض عليه معلموه من رعاية أبوية وعلمية، فقد كـان لهـؤلاء مكانـة مميـزة في حساباته، فذكر عدداً منهم ممن تتلمذ علـيهم، بمـا فـيهم (وحيـد الـدين عـدلي) مـدرس اللغـة الانكليزية في المرحلة الأولى و(نجم الدين المفتي) مدرس علوم الطبيعة و(عبد المسيح الله ويـردي) في الرياضيات فضلاً عن مدرسين من الموصـل مثـل (حـازم العباسـي) في اللغـة العربيـة و(يعقـوب يوسف كساب) في الرياضيات و(بهنام) مدرس التـاريخ في المرحلـة المتوسطة والمستر (بـيتر) في تدريس اللغة الانكليزية في مرحلة الرابع الثانوي، مؤكداً أنه وجماعته لم يستفيدوا من المدرسين الذي استُقدموا من الخارج، بما فيهم المشار أليـه فـضلاً عـن المدرسـين المـصريين ممـن لم يـشر إلى أسمائهم[1].

والى ذلك أشار إلى من تتلمذ عليهم وكان لهم الأثر الفعلي في تكـوين شخـصيته المعرفيـة، مثـل الأستاذ " أحمد عبد الكريم " حين درس عليه مادة اللغة والعلـوم الاجتماعيـة و"صـبري حـسين السوري الشركـسي " في اللغـة العربيـة و"مجيـد أحمـد حـداد (ئاسـنكَر) " في اللغـة الانكليزيـة والمرحوم "إبراهيم خطاب" في الاجتماعيات، مؤكداً ميله الكبير إبـان تلـك المرحلـة مـن الدراسـة نحو العلوم الاجتماعية، الأمر الذي دفع بـه لاختيار الفرع الأدبي سـنة (١٩٥٧/٥٦) إذ كـان عـدد طلبة الفرع الأدبي وقتذاك تسعة فقط[2].

وحينذاك يكون الطالب محسن محمد حسين، قـد غمرتـه فرحـة واسـعة لدخولـه هـذا الفـرع مـن الدراسة الثانوية والذي على ما يبدو جاء متناغماً وتوجهاته المبكرة في حب الدراسات الإنسانية. وقد تكون موجودات مكتبته الخاصة، دليـل علـى توجهـه هـذا، حـين ضـمت في طياتهـا نوعيـة المعارف التي كان يطالعها منذ وقت مبكر، على أن تلـك المعـارف تكـون قـد حـددت مـسار عملـه المستقبلي، حين اعتـاد علـى اقتنـاء كتـب مـن مطبوعـات دار المعـارف ودار العلـم للملايـين ودار

[1] المصدر نفسه، ص٢

[2] الدكتور محسن، مقابلة معه، أيلول ٢٠٠٨.

الهلال في التاريخ والآداب، تضمنت مؤلفات لطه حسين[1]، وسلامة موسى[2]،وجبران خليل جبران[3]، ومصطفى لطفي المنفلوطي[4]، إلى جانب روايات لنجيب محفوظ، إذ كتب مؤرخنا عنه دراستين سنة ١٩٧٦و١٩٧٧، ولديه أيضا كتباً عن يوسف إدريس[5]، وإحسان عبد القدوس[1]،

---

[1] أديب وناقد مصري كبير، لُقّب بعميد الأدب العربي. غيّر وجه الرواية العربية في مجال السيرة الذاتيّة مع كتابه "الأيام" الذي نشر عام ١٩٢٩. يعتبر من أبرز الشخصيات في الحركة العربية الأدبية الحديثة.

[2] سلامة موسى (١٨٨٧– ٤ أغسطس ١٩٥٨)، مصلح من طلائع النهضة المصرية،ورائد الاشتراكية المصرية. ولد في قرية تُسمي بهنباي وهي تبعُدْ سبعةْ كيلو متراتْ عن منطقة "الزقازيق" لأبوين قبطيين. عرف عنه اهتمامه الواسع بالثقافة، واقتناعه الراسخ بالفكر كضامن للتقدم والرخاء. انتمى لمجموعة من المثقفين المصريين، منهم أحمد لطفي السيد، الذي نادى بتبسيط اللغة العربية وقواعد نحوها والاعتراف بالعامية المصرية. وكانت حجتهم أن اللغة العربية لم تتغير لأجيال، وأن معظم المصريين أميون، مما دعا موسى وآخرين للمطالبة بالكتابة بالعامية. تتلمذ على يديه نجيب محفوظ الذي يؤثر عنه قوله له "عندك موهبة كبيرة، ولكن مقالاتك سيئة" الأمر الذي دفع بنجيب محفوظ إلى العناية في انتقاء موضوعاته : للمزيد ينظر للمزيد : سلامة موسى، اليوم والغد، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٢٧.

[3] جبران خليل جبران شاعر : لبناني، ولد في ٦ يناير ١٨٨٣ م في بلدة بشري شمال لبنان وتوفي في نيويورك ١٠ ابريل ١٩٣١ م بداء السل، سافر مع أمه وإخوته إلى أمريكا عام ١٨٩٥، فدرس فن التصوير وعاد إلى لبنان، وبعد أربع سنوات قصد باريس إذ تعمق في هذا الفن، عاد إلى الولايات الأمريكية المتحدة، وأسس مع رفاقه "الرابطة القلمية " فكان رئيسها للمزيد ينظر : ألكسندر نجار : خليل جبران، النبي، ترجمة: محمد الدنيا، ، دار نشر "بيغماليون" /باريس ـ فرنسا، ٢٠٠٢.

[4] (١٨٧٦ـ١٩٢٤م) مصطفى لطفي بن محمد لطفي بن محمد حسن لطفي أديب مصري من أم تركية قام بالكثير من الترجمة والاقتباس لبعض الروايات الغربية الشهيرة بأسلوب أدبي فذ واستخدام رائع للغة العربية. ويعد كتاباه النظرات والعبرات، من أبلغ ما كتب بالعربية في العصر الحديث.

[5] يوسف إدريس علي، كاتب قصصي، مسرحي، وروائي مصري ولد سنة ١٩٢٧ في البيروم (التابعة لمركز فاقوس)، مصر و توفي في الأول من أغسطس عام ١٩٩١ عن (٦٤) عام. حاز على بكالوريوس الطب عام (١٩٤٧) وفي (١٩٥١) تخصص في الطب النفساني، نقلاً عن أعلام الأدب العربي المعاصر : سير وسير ذاتية، إعداد الأب روبرت ب. كامبل اليسوعي، بيروت – المجلد الأول – الشركة المتحدة للتوزيع – بيروت جامعة القديس يوسف – ١٩٩٦، (٢٣٣/٢–٢٣٧) .

والشاعر الكبير ألجواهري، وعبد الوهاب ألبياتي[2]، وبشارة ألخوري[3] (الأخطل الصغير)، ونـاظم حكمت[1]، ونزار قباني، وعبد الله كوران[2]، وفيما بعد قرأ للشاعر عبد الله بـشيو وأشـعار معـروف

---

[1] إحسان عبد القدوس (١ يناير ١٩١٩ – ١٢ يناير ١٩٩٠) صحفي وروائي مصري من أصل تركي من جهة أبويه، فهو ابن السيدة فاطمة اليوسف، التركية الأصل اللبنانيـة المولد والتنـشئة، وهـي صاحبة مجلـة روز اليوسـف ومجلة صباح الخير. أما والده محمد عبد القدوس فقد كان ممثلا ومؤلفا. ويعد إحسان من أوائـل الـروائيين العـرب الذين تناولوا في قصصهم الحب البعيد عن العذرية. وقد تحولت أغلب قصصه إلى أفلام سينمائية. ويمثل أدبه نقلة نوعية متميزة في الرواية العربية، إذ نجح في الخروج من المحلية إلى حيـز العالميـة وترجمـت معظـم رواياتـه إلى لغات أجنبية متعددة، ينظر : فـؤاد قنـديل، إحـسان عبـد القـدوس عاشـق الحريـة، المجلـس الأعلـى للثقافـة، القاهرة، ٢٠٠٦.

[2] عبد الوهّاب ألبياتي (١٩٢٦ – ١٩٩٩) شاعر عراقي ولد في بغداد. تخرج بشهادة اللغة العربيـة وآدابهـا ١٩٥٠ م، واشتغل مدرسا من عـام(١٩٥٠–١٩٥٣م). مـارس الـصحافة عـام (١٩٥٤م) مـع مجلـة الثقافـة الجديـدة لكنهـا أغلقت، وفصل عن وظيفته، واعتقل بسبب مواقفه الوطنية. سافر إلى سورية ثم بيروت ثم القـاهرة. وزار الاتحـاد السوفييتي ما بين عامي (١٩٥٩ و ١٩٦٤ م)، واشتغل أستاذاً في جامعة موسكو، ثم باحثاً علمياً في معهد شـعوب آسيا، وزار معظم أقطار أوروبا الشرقية والغربية. وفي سنة (١٩٦٣ م) أسقطت عنـه الجنـسية العراقيـة،رجع إلى القاهرة(١٩٦٤ م) وأقام فيهـا إلى عـام(١٩٧٠ م). وبـين (١٩٧٠–١٩٨٠)م أقـام في إسـبانيا، وهـذه الفـترة يمكـن تسميتها المرحلة الأسبانية في شعره، صار وكأنه أحد الأدباء الأسـبان البـارزين، إذ أصبح معروفـا علـى مـستوى رسمي وشعبي واسع، وترجمـت دواوينـه إلى الإسـبانية، بعـد حـرب الخلـيج (١٩٩١م) توجـه إلى الأردن وأقـام بعمان فترة من الزمن شارك فيها بعدد من الأمسيات والمـؤتمرات ثـم سـافر إلى بغـداد إذ أقـام فيهـا ثلاثـة أشـهر ليغادرها إلى دمشق والإقامة فيها حتى وفاته عام (١٩٩٩م) ينظـر : نـديم ألـوزة، الـشعرية العربيـة الطبعـة الأولى، دمشق،٢٠٠٠

[3] الشيخ بشارة خليل ألخوري (١٠ أغـسطس ١٨٩٠ – ١٩٦٤)، أول رئـيس منتخـب للجمهوريـة اللبنانيـة بعـد الاستقلال. كان قد شغل مرتين منصب رئيس الوزراء أثناء الانتداب الفرنـسي (الأولى كانـت مـن ٥ مـايو ١٩٢٧ – ١٠ أغسطس ١٩٢٨ / الثانية من(٩ مايو ١٩٢٩ – ١١ أكتوبر ١٩٢٩). أسس سنة (١٩٣٢) الكتلة الدسـتورية الـتي تحولت إلى حزب سياسي سنة (١٩٥٥). بتاريخ (٢١ سبتمبر ١٩٤٣) انتخب رئيساً للبنان وبقي بالمنصب لغايـة (١١ نوفمبر ١٩٤٣) إذ اعتقله الفرنسيون مع الرئيس رياض الصلح، وعدد مـن أعـضاء حكـومتهم في قلعـة راشـيا وذلك بسبب طلبهم الاستقلال عن فرنسا. فثارت البلاد على ذلك، مما اكـره الفرنـسيين آخـر الأمـر علـى الإفـراج عنهما والاعتراف باستقلال لبنان في(٢٢ نوفمبر ١٩٤٣). وضع مع رياض الصلح الميثـاق الـوطني الـذي نظـم أسـس

الرصافي[3] وجميل صدقي الزهاوي، إلى جانب قصائد للشعراء من أمثال بدر شاكر السياب[4] ومظفر النواب ومحمود درويش وسميح القاسم وأمل دنقل وعبد الرحمن الخميسي وصلاح جاهين.

وفي عام ١٩٥٨ يكون الدكتور قد حصل على مُعّدل، أهله للدخول إلى دار المعلمين العالية التي تحولت في ذلك العام إلى كلية التربية / جامعة بغداد إذ تخرج في قسم التاريخ سنة ١٩٦٢. وعمل في التعليم الثانوي لمدة تسع سنوات، اذ تم تعيينه بعد تخرجه في قلعة صالح (لواء العمارة) استناداً لتعليمات أمنية بسبب اندلاع الحركة الكردية المسلحة وقتذاك في الحادي عشر من شهر أيلول ١٩٦١، والتي قادها الزعيم "مصطفى البارزاني"[5]، فكان تعيينه الإجباري في تلك

الحكم في لبنان. شهد عهده الذي استمر مدة (٩) سنوات (١٥) حكومة و(٩) رؤساء حكومات. كما إن عهده شهد حرب فلسطين. بعد عام ١٩٥٢ أُجبر على الاستقالة بعد مظاهرات ضخمة على خلفية اتهامه بالفساد. وخوفاً منه على تفاقم الأمور استدعى قائد الجيش فؤاد شهاب وقدم إليه استقالته بعد أن كلفه بتشكيل حكومة عسكرية تتولى إجراء انتخابات رئاسية، خلفه كميل شمعون.

[1] شاعر تركي شهير ولد لعائلة ثرية ومتنفذة، عارض الإقطاعية التركية وشارك في حركة أتاتورك التجديدية ولكن بعدها عارض النظام الذي أنشأه أتاتورك وأودع في السجون التركية حتى ١٩٥٠،فر إلى الإتحاد السوفييتي وهو شاعر شيوعي، كانت أشعاره ممنوعة في تركيا، إلى أن أعيد الاعتبار له في بلده. توفي في عام(١٩٦٣). نجد أصداء من طريقته الشعرية في أثر العديد من الشعراء مثل عبد الوهاب ألبياتي صديقه وبلند الحيدري ونزار قباني والعديد من شعراء العامية ينظر : السفير اللبنانية (جريدة) العدد ١١٠٠٢،بيروت، ٢١ايار٢٠٠٨.

[3] للمزيد عن شخصية الرصافي واراؤه السياسية، انظر كتابنا عن الرصافي " معروف عبد الغني الرصافي ، الصادر عن المجمع العلمي العراقي سنة ٢٠١١.

[4] بدر شاكر السياب (١٩٢٦ – ٢٤ ديسمبر ١٩٦٤م) شاعر عراقي ولد بقرية جيكور جنوب شرق البصرة. درس الابتدائية في مدرسة باب سليمان في أبي الخصيب، ثم انتقل إلى مدرسة المحمودية وتخرج فيها في الأول من تموز سنة ١٩٣٨م. أكمل الثانوية في البصرة ما بين عامي ١٩٣٨ و١٩٤٣م. انتقل إلى بغداد فدخل، دار المعلمين العالية من عام ١٩٤٣ إلى ١٩٤٨م، والتحق بفرع اللغة العربية، ثم الإنجليزية. ومن خلال تلك الدراسة أتيحت له الفرصة للإطلاع على الأدب الإنجليزي بكل تفرعاته.

[5] الملا مصطفى البارزاني (١٩٠٣ – ١٩٧٩) زعيم كردي ولد في منطقة بارزان في كردستان العراق. في عام ١٩٣١ شارك أخاه الأكبر احمد البارزاني في قيادة الحركة الثورية الكردية للمطالبة بالحقوق القومية للأكراد، لكن هذه

الديار البعيدة عن مدينة اربيل، بمثابة نفي اختياري عندما أُجبر على أن تكون المدينة التي يبتغي التعيين فيها من مناطق الجنوب، فتم تعيينه في مدينة قلعة صالح[1] (لواء العمارة) أي محافظة ميسان. وغم قساوة الظروف السياسية والظلام الذي عم العراق اثر انقلاب الثامن من (شباط ١٩٦٣)، ورغم الوضع الاجتماعي الصعب، إلا انه انسجم بشكل كبير مع المدرسة ومع أهالي المدينة الوديعين. لكن صعوبة الحصول على سكن سواء في فندق أو في منزل، أجبرته على

الحركة تم إخمادها من قبل الحكومة الملكية العراقية في عام ١٩٣٥، وتم نفي البارزاني إلى مدينة السليمانية مع أخيه. في عام ١٩٤٢. هرب من منطقة نفيهِ لتبدأ الحركه الثورية الكوردية الثانية. وبدعم من الاتحاد السوفيتي، تم تشكيل جمهورية قصيرة الأمد في عام ١٩٤٥، أسسها القاضي محمد في مهاباد في إيران عرفت بـ(جمهورية مهاباد / كردستان إيران. خدم البارزاني كرئيس لأركان الجيش في تلك الجمهورية التي لم تدم سوى أحد عشر شهراً، ليهرب عقب ذلك إلى الاتحاد السوفييتي مع ألف من أتباعه. وفي عام ١٩٥٨ ومع إعلان الجمهورية العراقية، دعا الزعيم العراقي قائد ثورة ١٤ تموز (عبد الكريم قاسم)، البارزاني للعودة إلى العراق مع رفاقه مع أُسرهم وبدأت مناقشات حول إعطاء الأكراد بعض الحقوق القومية، انتهت إلى الفشل إذ قام عبد الكريم قاسم بحملة عسكرية على معاقل البارزاني عام ١٩٦١. وبعد تولي الرئيس العراقي عبد السلام عارف الحكم، أتفق مع عدد من القادة الأكراد (سياسيين وعسكريين) وبضمنهم البارزاني على حل شامل للقضية الكردية حين أعلن اتفاق عام ١٩٦٤م، إلا أن ذلك فشل أيضا ليختلف الطرفان ويصلا إلى حد الاقتتال المسلح في سنة ١٩٧٠. شارك البارزاني في اتفاقية الحكم الذاتي للأكراد للحيلولة دون استمرار النزاع، والتي لم يكتب لها النجاح، ليبدأ الصراع المسلح مرة أخرى عام ١٩٧٤م، إذ كان مدعوماً من الشاه الإيراني محمد رضا بهلوي الذي قطع دعمه له على أعقاب اتفاقية الجزائر التي أبرمت بين إيران والعراق بمبادرة أمريكية. وانتهى المطاف بالبارزاني إلى الولايات المتحدة الأمريكية إذ توفي فيها عام ١٩٧٩م، في مستشفى جورج واشنطن، للمزيد ينظر : تشارلز تريب، صفحات من تاريخ العراق، بحث موثق في تاريخ العراق المعاصر منذ نشوء الدولة الحديثة حتى أواسط ٢٠٠٢، ترجمة: زينة جابر إدريس، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة: الأولى.٢٠٠٦

[1] تأسس قضاء قلعة صالح عام ١٨٦٥م وسمي بهذا الاسم نسبة إلى (صالح الجندي) الذي انتدبته الحكومة العثمانية آنذاك لقمع تمرد أشعله إحدى العشائر، وهو الذي انشأ قلعة في الموقع الذي كان قد عسكر فيه فسميت المدينة باسمه. كما أشرف على إسكان مجاميع من الناس على ضفتي نهر (الكرمة) الذي يربط نهر دجلة بنهر المجر. وكانت تسمى بالشطرة. ثم سميت (شطرة العمارة) تميزاً عن شطرة المنتفك (الناصرية) وتسهيلاً لمصالح البرق والبريد وذلك عام (١٨٨٤)م، ينظر : كل العراق (جريدة)، عدد يوم ١٣تموز/٢٠٠٨

اصطحاب أخته "صبا " (رح) للتمكن من العيش في أقصى جنوب الوطن، وكان معه في تلك المدينة مدرس التاريخ "محمد علي محمود" الذي تم نفيه إلى تلك المدينة بوصفه نقيباً لمعلمي السليمانية، إذ تم اعتقاله بعد أيام من قبل رجال الأمن اثر انقلاب الثامن من (شباط ١٩٦٣) حين عم الليل نهارات العراق كلّه، ليترك اعتقاله فراغاً واضحاً في حياة مؤرخنا.

وبعد ثلاث سنوات من العمل في قلعة صالح، نُقل إلى مدينة شقلاوة او ما تعرف بـ " المدينة المليحة " ـ كما يصفها ياقوت الحموي في معجمه ألبلداني - ومن تلك المدينة انتقل إلى دار المعلمين ومعهد إعداد المعلمين في اربيل. والى ذلك كان طموحه إكمال دراساته العليا، فالتحق بقسم الدراسات العليا في كلية الآداب ـ جامعة بغداد ونال درجة الماجستير عن موضوعة رسالته " أربيل في العهد الاتابكي " سنة (١٩٧٤)[١].

وفي سياق حديثه عن مرحلة الماجستير ، أفصح مؤرخنا عن إلحاح رئيس قسم التاريخ وقتذاك الدكتور الراحل"فيصل السامر" ومعه أساتذة قسمه على ضرورة أن يكتب في موضوع فكري تتساوق وما كان يهتم به من موضوعات، إلا أن حبه وتيمنه بتاريخ مدينته منعه من اختيار مثل هذا الموضوع[٢].

والى ذلك، أشار مؤرخنا إلى انه تتلمذ على عدد من كبار الأساتذة المعروفين وكان من بينهم الدكتور (ناجي معروف)[٣] الذي درس عليه في السنة التحضيرية، ومع ذلك تلمسنا عدم رضا مؤرخنا عن أستاذه " معروف " مع انه لا يحمل له ضغينة بقدر ما أثاره موقف من هذا الأستاذ،

---

١ ترجم الكتاب الى اللغة الكردية في الأكاديمية في اربيل عام ٢٠١٠.

٢ الاربلي : مقابلة معه أربيل، ٢٠٠٨.

٣ ولد في الأعظمية عام(١٣٢٨هـ/١٩١٠م)، وبها نشأ وتعلم القرآن في صغره، ثم أكمل دراسته فيها، إذ تخرج في دار المعلمين العالية. وعين مدرساً في الإعدادية المركزية في بغداد. ثم سافر إلى فرنسا وألتحق بجامعة السوربون عام ١٩٣٥م، وأكمل دراسة الماجستير، ونشبت بعدها الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) فعاد إلى بغداد، قبل أن يناقش رسالته وعاد معه الدكتور مصطفى جواد، والدكتور سليم النعيمي، وهما مثله كانوا بانتظار مناقشة رسالتهما، فيما نال الدكتوراه قبل وفاته في بغداد عام ١٩٧٧. للمزيد ينظر : وليد ألأعظمي، أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران في بغداد، مكتبة الرقيم، ٢٠٠١م، ص٢٦٧

تمنى أن لا يكون مقصوداً تمثل بطرح عنصري حين كان يوجه الطلبة بضرورة أن لا يسمي أحد أبنائه بأسماء أعجمية (غير عربية) لأن ذلك سيدخله إلى جهنم، وقد اعترض وقتها متسائلاً عن فحوى ما قاله تعالى والرسول الكريم من قول يتناقض وهذا الطرح بقوله : إن أكرمكم عند الله اتقاكم " والحديث الشريف " لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى "، عندها سأله الدكتور معروف إن كان الطالب أعجميا ؟ فأجابه انه أعجمي بالفعل، فهو كردي وليس بعربي فما كان من معروف، إلا واستثنى الكرد من تلك القائمة الأعجمية التي ستدخلهم النار، فكان هذا مثار دهشة الطلبة وضحكهم. ويذكر أن هذا الأمر خلق موقفاً متشنجاً بينه وبين الدكتور معروف، مما دفع به أن يطلب من مشرفه الدكتور " جعفر خصباك " ألا يوافق أن يكون معروف أحد مناقشي رسالته، وبالفعل فقد ترأس الدكتور المرحوم "صالح أحمد العلي"[1] تلك اللجنة إلى جانب عضوية الدكتور المرحوم"محمد صالح داود القزاز" الذي رحل في عمر مبكر في حادث سيارة في نهاية السبعينيات.

وبعد حصوله على الماجستير، تم تعيينه في كلية الآداب / قسم اللغة الكردية - جامعة بغداد، فكانت فرصة سانحة له ليوسع من مداركه العلمية، إذ تعرف إلى عدد من الأساتذة من أمثال رئيس القسم الأستاذ الدكتور "معروف خزندار" والأستاذ علاء الدين سجادي صاحب التآليف العديدة والدكتور "محمد أمين سعيد" والدكتور " عز الدين مصطفى رسول " وغيرهم الكثير من الأساتذة. وبعد سنة واحدة من التدريس في تلك الكلية، تم نقل ملاكه إلى كلية التربية / ابن رشد اثر استحداث قسم اللغة الكردية فيها.

وفي عام ١٩٧٧، حقق طموحه في القبول في الدكتوراه في كلية الآداب، وكان عنوان أطروحته متفقاً ونهجه المؤسس على نبش التاريخ الكردي،حين كتب عن " الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، تكوينه تركيبه تنظيمه، أسلحته، بحريته، وأبرز معاركه " على الرغم من قرار اتخذه

[1] مؤرخ عراقي مختص بالتاريخ الإسلامي ومن أكثر الباحثين تنقيباً عن تاريخ العرب .

مسبقاً بأن يكون موضوع أطروحته للدكتوراه موضوعاً فكرياً، إلا أن ذلك لم يحدث بسبب صعوبة الإشراف عليه[1].

وفي سياق حديثه عن تثبيت عنوان أطروحته، أشار الدكتور إلى انه اختار موضوعاً يخص تاريخ كردستان في إحدى المراحل التي سبقت إلحاق أجزاء من كردستان بالدولة العثمانية، ووضع بدوره خطة لهذا الموضوع إلا انه فوجئ أن لفظ " كردستان " قد أثار حفيظة بعض التدريسيين، الأمر الذي دفع به لاختيار أسم " بلاد الكرد" وهو أيضا ما أثار إشكاليات أخرى حالت دون تحقيق رغبته الكامنة، وحينها تدخل الدكتور (فيصل السامر) والدكتور (بشار عواد معروف) ووجدوا ضرورة أن يكتب في موضوعة " الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين........ " . فتمت الموافقة على هذا الموضوع بعد أن خسر ثلاثة شهور من مدة كتابته، وتم تعيين الأستاذ الراحل " محمد توفيق حسين " مشرفاً على أطروحته والعقيد الركن (قيدار صالح) من جامعة البكر للدراسات العليا مساعد مشرف . وتمت مناقشته في صبيحة اليوم التاسع من شهر شباط (١٩٨١) في قاعة الطبري بكلية الآداب، إذ كان الحضور استثنائياً في تاريخ الكلية، حيث غصت المدرجات بطلبة الدكتور ومحبيه إلى جانب الحضور الواسع من الأساتذة الكرد وممثلو المؤسسات الثقافية، ومن بينها الصحافة ودار الثقافة والنشر الكردية والدراسة الكردية إلى جانب الإذاعة. وقد تزامن تاريخ المناقشة مع اندلاع الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ ـ ١٩٨٨) إذ بدأت قبل المناقشة بنحو ستة شهور، وكان ضمن المناقشين الدكتور (خاشع المعاضيدي)[2] الذي أشار مؤرخنا لما كان عليه من كثرة مزايداته السياسية في أثناء المناقشة، لا سيما لعدم طرح مترجمنا لمقارنة بين " حطين صلاح الدين " وبين " قادسية صدام حسين "[3]. وذكر انه ومن كان حاضراً في تلك المناقشة من الجمهور قد اندهش من هذا الطرح، وما كان من طالب الدكتوراه حينها إلا الرد بكل جرأة على هذا الطرح بالقول منوهاً بترك تلك المقارنة لآخرين غيره،

---

[1] من مذكراته، ص ١٢.

[2] أستاذ التاريخ الإسلامي في قسم التاريخ وعميد كلية التربية ـ ابن رشد وقتذاك.

[3] كناية عن الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ ـ ١٩٨٨).

بحجة أن (القادسية) لم تنته بعد لكي يصبح مجال المقارنة ممكناً لا سيما وان تلك المقارنة لا تتم بين معركة انتهت قبل نحوٍ من (٨٠٠) سنة، وبين معركة اندلعت منذ نصف سنة . وفهم المعاضيدي ما كان يحمل كلام مترجمنا من سخرية، فتدارك الأمر وبادر إلى القول المصطنع : (عفية أخ محسن) ثم اطرق صامتاً ليسترجع معها أنفاسه.

وبعد أن حصل على تلك الدرجة، شعر بمعاناته من رئاسته لقسم اللغة الكردية، فألّح على ضرورة نقله إلى قسم التاريخ في الكلية نفسها، وهو ما ينسجم واختصاصه بهذا العلم ، فتم له ذلك وكُلّف في الحال بتدريس مادة (منهج البحث التاريخي) وكانت تدرس وقتذاك في المرحلة الثانية، وفي السنة التالية (١٩٨٢ ـ ١٩٨٣) أستُحدث ولأول مرة في العراق، مادة (فلسفة التاريخ) وكم غمرته السعادة ـ كما أعلمنا هو بذلك ـ لتدريس تلك المادتين، بل وشعر وكأنه من أختارهما لنفسه، إذ كان من الصعب عليه جداً تدريس مادة تتناول أحداث التاريخ وقد صيغت وفق منهج (مؤدلج) غير علمي لتنسجم مع طروحات النظام المنشورة في طبعات عديدة وتحت عنوان (حول إعادة كتابة التاريخ). فتم إبلاغ رئاسة القسم باستحداث مادة (فلسفة التاريخ) وبضرورة إبلاغ تدريسيّي القسم باختيار الشخص المناسب ـ أي المتفق وتوجهات النظام ـ إلا أن أساتذة القسم امتنعوا عن ذلك، ليس لصعوبة المادة، بل لحساسيتها. وحينذاك انيطت تلك المسؤولية بمؤرخنا بوصفه يدرّس مادة منهج البحث التاريخي. ولم يبد ممانعة حيال ذلك بالطبع، إلا انه اشترط الاطلاع على مفردات المادة، لا سيما حين طلب منه رئيس القسم وضع مفردات المادة حسبما يرى. ومع انه كان يدرك أن مادة فلسفة التاريخ، تعد مادة (ملغومة) ولم تكن رئاسة القسم بغافلة عن ذلك، وقد وضعت عيون ترقب وآذان تسمع، فأنه لم يبالي بذلك. وكنت بدوري شاهداً على إلقائه تلك المحاضرات وكأنه يحاكي العصر الذي يعيشه ويكشف سيئاته من خلال ربط كلامه بنظرية (التحدي والاستجابة) لتوينبي[1] او نظرية العصور (

[1] أرنولد جوزف توينبي ولد سنة ١٨٨٩ في لندن وتوفي في سنة ١٩٧٥. أهم أعماله " دراسة للتاريخ" وهو من أشهر المؤرخين في القرن العشرين. للمزيد ينظر : منَح خوري "التاريخ الحضاريّ عند تُوينبي" (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٠).

المراحل) أو التعاقب الدوري لـ (جيوفاني باتيستا فيكو)[1] على الرغم من إلحاح البعض منا بضرورة أن يخفف من وطأة ما يقوله في المحاضرات.

لقد وجد الدكتور ضالته في تدريس مادة منهج البحث التاريخي حين انتقل إلى قسم التاريخ، إذ وجد في هذا الدرس مجالات رحبة يمكن من خلالها شحذ تفكير الطلبة وجعلهم لا يستسلمون بسهولة لما يسمعونه ويقرأونه، على أن المؤرخين القدامى لم يكونوا بعيدين عن الانحيازات، وكذلك من الأكاذيب بسبب الخوف من السلطات، ومحاولة الحصول على مغريات، وإفهام الطالب كيفية التصرف والاقتناع أمام هذا الكم من الروايات، ومن ثم تعويده أن يطرح ما ليس معقولاً أو مبالغاً فيه ...الخ[2].

ثم كانت النقلة الثانية في حياة مؤرخنا العلمية والتعاطي مع المادة التي يدرسها، فكانت تدريسه لمادة فلسفة التاريخ التي مثلت مجالاً رحباً لتصدير ما يبتغي أن يتعلمه طلبته، وهذا ما سار عليه سواء في تدريسه تلك المادة في كلية التربية / ابن رشد أو في جامعات اربيل والسليمانية وكويسنجق ـ بعد خروجه من بغداد ـ إذ درسّها في مرحلتي الاولية والماجستير، وقد تبعها في تدريس مادة صدر الإسلام وبعدها الاستشراق والدولة الفاطمية إلى جانب تدريسه لمادة الفرق الإسلامية وعلم الكلام.

لقد بدأ الدكتور محسن بتدريس المادتين طيلة مدة وجوده في قسم التاريخ في ابن رشد / جامعة بغداد، ولم يمارس قط تخصصه في تدريس مادة الحروب الصليبية. وحين استحدثت

---

١ لا ُتذكر فلسفة التاريخ إلا ويذكر معها اسم فيكو. وهو فيلسوف إيطالي ولد وعاش في نابولي وعانى الفقر وتجاهل معاصريه. لم يبدأ الاهتمام الحقيقي به إلا منذ عهد قريب. وعلى الرغم من هذا التجاهل الذي استمر طويلاً فهو يعدّ المؤسس الحقيقي لفلسفة التاريخ في الفكر الفلسفي الغربي. ويمكن القول إن مكانته في التراث الغربي تماثل مكانة ابن خلدون في التراث العربي، ينظر : عطيات محمد أبو السعد، فلسفة التاريخ عند جامبا تيسيتا فيكو، دار الفارابي، دار التنوير للطباعة ٢٠٠٦.

٢ الدكتور محسن : مقابلة معه ،اربيل، ٢٠٠٨

دراسة الماجستير، بدأ بتدريس مادة (بدايات تدوين التاريخ وتطوره في الحضارات المختلفة ولا سيما عند الإغريق والرومان وعند المسلمين وفي العصر الحديث). حتى أن الموضوع الذي اختاره ليكون عنواناً لعمله أثناء تفرغه العلمي عام ١٩٩٤، كان (التدوين التاريخي عند المسلمين في العراق في القرن الأول الهجري) للعمل في المجمع العلمي العراقي بإشراف رئيسه وقتذاك الأستاذ الراحل الدكتور صالح أحمد العلي[١]، إلا أن هروبه من بغداد إلى اربيل حال دون إتمامه العمل. ومع ذلك تمكن الدكتور من تدريس مادة فلسفة التاريخ ثم ألف كتاباً في هذه المادة، إلا أن طبيعة المفردات وصياغة الأفكار حالت دون طبعه، ثم قرر ترجمة الموضوعات إلى اللغة الكردية منذ ما يقارب العقدين، وسيتم طبعه في كتاب إنشاء الله في مؤسسة (موكريان) في اربيل قريباً.

ولأنه كان مميزاً وقد تفوق على بعض أقرانه في قسم التاريخ ممن كان بعيداً عن التعاطي مع الحركة العلمية، فقد وضع هؤلاء ـ وللأسف ـ العراقيل أمام انجازاته العلمية، حين ذكر انه وفي أحدى المرات، كانت لجنة تعضيد البحوث في الكلية المذكورة، قد رفضت تعضيد بحثه المعنون بـ " ابن الأثير يؤرخ حوادث عصره غير السياسية"[٢] والذي كان قد حصل على تقيم جيد جداً عالٍ، ومع أن هذا البحث لا علاقة له بالسياسة، فقد أُثيرت حوله ضجة لا مبرر لها. وإزاء ذلك ذكر لي مؤرخنا ، أن بحثه هذا كان قد تصدى فيه إلى ذكر أهوال الطبيعة مثل الفيضانات والأعاصير والحرائق وهجوم أسراب الجراد، إلى جانب ذكره أخبار انتشار الأوبئة مثل الطاعون، التي عاصرها المؤرخ ابن الأثير. أما نقطة النظام التي توقف عندها أعضاء اللجنة وراهنوا عليها في تعطيل تقويم هذا البحث،فالدكتور أراد ومن باب ترصين المعلومة التي أوردها ابن الأثير، الإشارة إلى ما نوه به المؤرخ الكردي المعروف (محمد أمين زكي) من أن أبناء الأثير ينتسبون إلى

---

[١] الأستاذ الدكتور الراحل صالح أحمد العلي مؤرخ، ومرب، وباحث من الطراز الأول، كان آخر ما تولاه من مناصب قبل وفاته، رئاسته للمجمع العلمي العراقي الذي يعد أعلى هيئة أكاديمية علمية عراقية . في سنة ١٩٨٩ فاز الدكتور العلي بجائزة الملك فيصل العالمية، وجاء في حيثيات منحه الجائزة، أن الدكتور العلي يستحق الجائزة لتفوقه الرائع على جميع المؤرخين العرب والمسلمين في غزارة، وجودة، ما أنتج من دراسات رائدة ومعتمدة.

[٢] المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي / الهيئة الكردية / بغداد ـ المجلد العاشر.

الكرد، أي أن انتساب هذه الأسرة إلى بني شيبان، كان انتساباً بالولاء ". وهنا يـذكر مؤرخنـا مـا هيأ لهذه اللجنة ـ لجنة التعضيد ـ من (سبّ العنب) بقولهم : كيف يجوز لأحد أعلام التـاريخ ـ ومعه أخواه مجد الدين، وضـياء الـدين، أولاد محمـد، أن يكـون غـير عربـي. واشـترطوا عليـه تدارك (هذا الخطأ) حتى يتم تعضيده[1]. وأكثر مـن ذلـك، ذكـر أن تلـك اللجنـة أبـدت تحفظهـا الشديد أيضا على ما ورد في السطر الأول من الصفحة الثانية حين وصفت فيها (مدينة جزيرة ابـن عمر) بالمدينة الكردية، إذ أبدت اللجنـة حينهـا استغرابها مـن أن تكـون هنـاك ثمـة مدينـة كردية أصلاً في العالم ! ؟ بل وتساؤلهم : وهل ثمة (كردستان في تركيا) ؟.

وإزاء ذلك استغرب مؤرخنا من تلك العقلية التي وصفها بالفاشية في وطن وُصف في الدستور الـذي سُنّ في عهد الزعيم الراحل (عبد الكريم قاسم)[2]، بأن العرب والكرد شركاء في هـذا الـوطن، ليعـود مؤرخنا ويصفهم بأنهم أصحاب عقلية " عبد الحميد يونس السامرائي"[3] الذي أنكر وجود عشيرة كردية، بل أن الكرد حسبما يقول، عرب عُجمت ألسنتهم، بعد أن استقروا في الجبـال كمـا زعـم ذلك، المسعودي المؤرخ الكبير الذي شبّهه البعض بـ (هيرودوت) الإغريقي، وقـد عـالج مؤرخنـا ما ذكره المسعودي في مقال نشره في جريدة العراق قبل نحو ربـع قـرن، إذ قـارب بـين المسعودي وبين ما وصفه بالمؤرخ العنصري المقيت.

---

[1] ينظر كتاب التعضيد الصادر من عمادة كلية التربية / ابن رشد برقم ١٣٨ في ٢٠شباط ١٩٨٤ ،توجد نسخة منـه في قائمة الملاحق في هذا الكتاب.

[2] عبد الكريم بن جاسم بن بكر بن عثمان الزبيدي (١٩١٤ – ١٩٦٣) من أهالي مدينة الصويرة في محافظـة واسـط. رئـيس الـوزراء والقائـد العـام للقـوات المسلحة ووزيـر الـدفاع في العـراق مـن ١٤ تمـوز / يوليـو ١٩٥٨ ولغايـة ٩ شباط/فبراير ١٩٦٣ اذ أصبح أول حـاكم عراقـي بعـد الحكـم الملكـي. كـان عـضواً في تنظـيم الـضباط الـوطنيين " أو الأحرار" وقد رشح عام ١٩٥٧ رئيسا للجنة العليا للتنظيم الـذي أسسه العقيـد رفعـت الحـاج سـري عـام ١٩٤٩م. ساهم مع قادة التنظيم بالتخطيط لانقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨ التي قام بتنفيذها زميله في التنظيم عبـد الـسلام محمـد عارف والتي أنهت الحكم الملكي وأعلن قيام الجمهورية العراقيـة. وكـان آخـر الحركـات المعارضـة ضـد حكمـه، انقلاب ٨ شباط (١٩٦٣) الذي قام به مجموعة من الضباط العسكريين العـراقيين وكـان معظمهـم ينتمـي إلى حـزب البعث.

[3] رائد التراث الشعبي وصاحب كتاب " سيرة عنترة : ملحمة شعبية عالمية ".

وعوَداً على مسألة التعضيد، أكد الدكتور أن قرار منع التعضيد لم يعُلم به من قبل رئيس اللجنة الدكتور معين اسكندر (يومئذ) كما جرت العادة، إنما جلبه عميد الكلية (الدكتور عبد الرحمن نجم العاني)[1]، وهو أحد تلامذة الدكتور ناجي معروف، وقد بدر من كلامه أنه كان أحد الخبيرين، وحينها تناقشا حول الموضوع وكان نقاشهما من باب العبث ، مؤكداً أن العاني أبلغه بضرورة أن ينشر الاستدراكين في مجلة المجمع العلمي العراقي (الهيئة الكردية) نفسها، وإلا فسيحرم من فرصة التعضيد ومن ثم الترقية. واستفسر منه مؤرخنا عن موضوعية قلب الحقائق وتزويرها بالقول أن "جزيرة أبن عمر كما سماها العرب المسلمون ـ بعد فتحها ـ ليست كردية، رغم ما هو معروف أنها مستقر الكرد الأول ، كما وصفها المستشرق مينورسكي[2]، فضلاً عن ضرورة مراجعة ما أشار إليه ياقوت الحموي أو ما كتبه "سخاو" عنها في دائرة المعارف الإسلامية. وحينذاك وبناءاً على مناقشة وردود العميد، تبين لمؤرخنا أن هذا العميد وهو الخبير في لجنة التعضيد لم يكن عليه أن يقرأ ما كتبه المؤرخون عن هذه المنطقة، بل عليه أن (يقرر) فحسب، وعلى الجميع أن يسمع وينفذ.

ويأخذ مؤرخنا الاسترسال في الكشف عن لواعجه وما شهده من وضع العراقيل في طريق ترقيته من قبل البعض بمن فيهم هذا العميد والدكتور "حسن فاضل زعين العاني"[3]، الذي أسهم في تأخير تلك الترقية لسنتين متتاليتين. وأكد أن "زعين" كان قد عمل جهده لتأخير تعضيد بحثه الأخر " مصرع السلطان الخوارزمي الأخير" جلال الدين منكوبرتي " لاحتوائه على أفكار عنصرية (كردية) تدعو إلى شق الصف. وفضلاً عن ذلك أسهم "زعين " ـ كما أشار مؤرخنا ـ في رفض نشر بحثه " صلاح الدين من يكون " في مجلة كلية التربية ابن رشد (الأستاذ)، الأمر الذي دفعه إلى ترجمته ونشره في مجلة "روشنبيري نوى " في العدد (١٣١) سنة (١٩٩٣). وهكذا كانت أبحاثه ونشاطه العلمي تحجم، ليضطر إلى الاعتماد على مترجمين لأنه لم يكن

---

١ أصبح أول رئيس لجامعة الانبار .

٢ ف.ف.مينورسكي" عالم روسي شهير يعدّ أحد كبار المستشرقين العالميين الذين عاشوا في صميم القضية الكردية؛ فقدم لكل مهتم بها مرجعاً علمياً لا غنى عنه.

٣ ترأس قسم التاريخ أوائل الثمانينيات في كلية التربية / ابن رشد.

يجيد اللغة الكردية بشكل يؤهله للكتابة بها. ويذكر أهم المترجمين وهم (عبد الرزاق بيمار) و (عيثمان علي قادر) فترجم رسالته وأطروحته إلى الكردية، فضلاً عن أبحاث أخرى كما اعتمد في ذلك على الصديق الدكتور (وريا عمر أمين) في بغداد[1]. وقد أكد الدكتور أن مثل تلك الاجتهادات والمضايقات وغيرها، اضطرته إلى مغادرة بغداد الحبيبة والعزيزة على قلبه، غادرها في جنح الليل كطريد !!. وخلف وراءه العديد من الأبحاث التي لم تنشر في مختلف المجلات في بغداد. ومع سقوط نظام صدام سنة ٢٠٠٣، حاول جاهداً استرجاع تلك الأبحاث، إلا أن شيئاً لم يتحقق، مما اضطره إلى الاحتفاظ بكتاب موافقة نشر أحدها والمعنون بـ " أسامة بن منقذ " في مجلة (الأستاذ). في حين كان هناك أيضا كتاب الموافقة بالنشر لبحث آخر في مجلة (المجمع العلمي) إلا أن محاولاته للحصول عليه لم تثمر، لتلف موجودات المؤسستين. وبعد سنوات شاقة من البحث والتقصي تمت ترقيته لدرجة أستاذ مساعد عام ١٩٨٤ وبعد سبع سنوات حصل على الأستاذية[2].

لقد عمل الدكتور في قسم التاريخ / كلية التربية / ابن رشد للسنوات (١٩٨٢ ـ ١٩٩٤). وحين مارس النظام الحاكم الضغط عليه، التحق بجامعة صلاح الدين في اربيل ١٩٩٤ ـ ١٩٩٦ ثم غادرها للعمل في ليبيا / جامعة مصراته ١٩٩٦ ـ ٢٠٠١. إذ ساهم في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية، فضلاً عن نشره العديد من الأبحاث باللغة الكوردية والعربية في بغداد، لا سيما في مجلة كلية الآداب ومجلة المجمع العلمي (الهيئة الكردية) وفي المجلة العربية للعلوم الإنسانية في كلية الآداب ـ جامعة الكويت ومجلة كلية الآداب جامعة الرياض/ السعودية وفي مجلات (روشنبيري نوى، سه نته رى برايه تى،هه ولير) وفي صحف عديدة في بغداد واربيل والسليمانية وعمل في هيئة تحرير مجلات أكاديمية (روشنبيري نوى، المثقف الجديد) ومجلة (

---

[1] قام الشاعر الشهيد " دلشاد" مريواني بترجمة بحث له تحت عنوان " مصرع السلطان الخوارزمي جلال مونكبرتي بيد رجل كردي " ونشره في مجلة كلية الآداب في العدد التاسع عشر عام ١٩٧٦، لأن البحث كان تحليلياً دقيقاً ورداً على ما نشره الأستاذ الدكتور " فؤاد عبد المعطي الصياد " في كتابه (المغول) ووصف القاتل الكوردي بنعوت، دون أن يتحقق مما حصل.

[2] من أوراق مذكراته......ص٦٢

المجمع العلمي العراقي / الهيئة الكردية) ورئيساً لتحرير مجلة (زانكو ـ الجامعة) في جامعة صلاح الدين. والى جانب ذلك عمل مؤرخنا مسؤولاً للدراسات العليا ورئيساً للجنة الترقيات العلمية في كلية الآداب / جامعة صلاح الدين ـ اربيل وفي لجنة وضع مناهج التاريخ في وزارة التربية ـ إقليم كردستان، فضلاً عن إلقائه محاضرات على طلبة الدراسات العليا في جامعات كردستان / السليمانية وكويسنجق إلى جانب جامعة صلاح الدين. ثم أحيل على التقاعد عام ٢٠٠٧ ، وأعيد إلى عمله مرة أخرى عام ٢٠٠٩.

وللدكتور اهتمام وميل واضح نحو دراسة فلسفة التاريخ والتدوين التاريخي إلى جانب تعلقه بمادة الاستشراق وما كتب فيه، فضلاً عن مطالعاته العميقة لتاريخ علم الكلام والفرق الإسلامية والفكر السياسي. ومن ذلك أشرف على العديد من الرسائل والاطاريح في سياق تلك الاهتمامات سواء في داخل العراق أو خارجه. وقد ذكر أن طلبة الدراسات العليا لم يختاروا في بغداد ـ حسب علمه ـ وطيلة وجوده في جامعة بغداد (٢٠ سنة) موضوعاً يدخل في مجال فلسفة التاريخ، إلا أن الأمر وجده مختلفاً في جامعة صلاح الدين إذ اشرف على عدد من أبحاث التخرج عن (ابن خلدون) و(فيكو) و(شبنجلر)[١] و(توينبي) و(هيكل) و(ماركس) و(كلود ليفي شتراوس) وغيرهم، واشرف في جامعة السليمانية على رسالة بعنوان " فلسفة التاريخ لدى فيكو " وأخرى في جامعة أربيل بعنوان " النخبة ودورها في نشوء الحضارات وسقوطها عند ارنولد توينبي " والآن يعمل عضواً عاملاً في الأكاديمية الكردية وترأس تحرير مجلة (الأكاديمي) حتى نهاية ٢٠٠٩، ويحاضر طلبة الدكتوراه في كلية الآداب ـ جامعة صلاح الدين وعضو لجنة الترقيات العلمية في جامعة صلاح الدين، ومحاضراً في قسم الفلسفة في أربيل.

---

١ الفيلسوف الألماني "أوزولد شبنجلر" صاحب الكتاب الشهير "أفول الغرب" أو " تدهور الحضارة الغربية.

بعض المؤثرات الفكرية في شخصيته:

لطالما كنت انظر إلى أستاذي الدكتور " محسن "، وهو يلقي علينا محاضراته أكثر من ربع قرن، فنتلاقفها بسهولة متسائلين : كيف تسنى لهذا الأستاذ أن يبني من نفسه ؟ كيف تمكن من أن يحوز على كل تلك المعرفة ؟ وما هي ألآلية التي لجأ إليها ؟ تساؤلات لم تجعلني أدور في فلك محيّر، بل كان قربي من أستاذي سبباً في وقوفي على كل تلك المؤثرات التي أوجدت شخصيته العلمية، بدءاً من مراحل حياته الأولى صعوداً إلى مرحلة الإنتاج والضخ العلمي في مسيرته تلك. لقد كان متفقاً على وجود ثمة محطات في مسيرة الإنسان، صارت بمثابة مكونات أسهمت في تكوين شخصيته العلمية، ولعل من أهمها الأسرة بما فيها نوع الثقافة التي يتلقاها والمرحلة العمرية التي يمر بها وطبيعة المجتمع وتأثير العقل الجماعي في توجيهه، إلى جانب ما يطبعه العصر من سمة ترتسم في كيانه، وما تؤديه عقلية السلطة أو نوعية السلطة التي يعيش في كنفها، فضلاً عن تأثير الأصدقاء.

ولكي نكون على بينة من تأثير تلك المكونات، وعَوداً على بدء،نجد أن نتائج امتحانات المرحلة الإعدادية، كانت قد ظهرت في السابع من تموز (١٩٥٨) أي قبل ثورة ١٤ تموز بأسبوع، وحينها تهيأت له الفرصة للسفر مع زملاء له إلى مدينة بغداد بغية التقديم للقبول في الجامعة. فقدم أوراقه إلى (دار المعلمين العالية) التي تحول اسمها بعد أسابيع إلى " كلية التربية " جامعة بغداد، وتم قبوله في قسم التاريخ عن رغبة ملحة له، على الرغم مما يكتنف دراسة التاريخ في دول العالم الثالث من إرباك وتشويش. ومع ذلك، يكون الدكتور قد أنهى أربع سنوات من التتلمذ على أساتذة أجلاء، كان من بينهم الدكتور (جواد علي)[١]والدكتور (محمد الهاشمي)

---

[١] وُلد الدكتور جواد عبد علي في الكاظمية عام ١٩٠٧ م و أنهى دراسته الابتدائية عام ١٩٢٥ م ، دخل كلية الإمام الأعظم وتخرّج فيها عام ١٩٢٧ م.أكمل الدراسة الإعدادية في المدرسة المركزية عام ١٩٢٩ م.نال شهادة الماجستير عام ١٩٣٢ م ، ثم أرسل في بعثة علمية إلى ألمانيا للحصول على شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة هامبورغ عام ١٩٣٨ م، للمزيد ينظر : كوركيس عواد، معجم المؤلفين العراقيين،ج١، بغداد، ١٩٦٩، ص٢٨٤.

والدكتور (فاضل حسين) والدكتور (عبد القادر أحمد اليوسف) إلى جانب التتلمذ على أساتذة قسم الجغرافيا، أبرزهم : الدكتور (علي المياح) والدكتور (وفيق الخشاب) والدكتور (إبراهيم شريف) وهو مصري الجنسية، كما تتلمذ على عالم الاجتماع العراقي الدكتور (علي الوردي)[1]. والدكتور (عبد الجليل الزوبعي) في علم النفس.

والى ذلك، كان لمؤرخنا علاقة وطيدة بالكثير من الأدباء والفنانين والنقاد من أمثال الروائي المسرحي (محي الدين زنكنه)، والقاص (كا كه مم م بوتاني) ، والشاعر (فاضل العزاوي)، والشاعر (عبد الوهاب ألبياتي) والدكتور (عبد الإله أحمد) أستاذ النقد الحديث في كلية الآداب / جامعة بغداد، والراحل (ناصر يوسف منصور)، والشاعر (عبد الرزاق بيمار)، و(كمال حسين غمبار)، و(رشيد فندي)، والأستاذ الدكتور (وريا عمر أمين). ومن الفنانين الرسام الكبير الراحل الأستاذ الدكتور (محمد عارف) و(نامق علي)، و(دارا محمد علي)، و(مصطفى شوكت)، وغيرهم ممن لم تحضره أسماؤهم، فكان لهؤلاء أثره الواضح في ترصين جوانب شخصيته العلمية والفنية[2] . ويقرر مؤرخنا أن لأساتذة جامعة الموصل القدح المعلّى في التأليف في مجال فلسفة التاريخ، لا سيما ما كتبه الدكتور (هاشم يحيى الملاح) في مؤلفه المهم " دراسات في فلسفة التاريخ ". وقد طبع أكثر من مرة في بغداد وبيروت. وكذا الحال فيما كتبه الدكتور (عماد الدين خليل)، والدكتور (غانم محمد الحفو)، إلى جانب مفكرين كبار رحلوا مثل الأستاذ (علي الوردي)،

---

[1] علي حسين محسن الوردي (١٩١٣– ١٣ تموز ١٩٩٥ م) ولد في بغداد في مدينة الكاظمية عام ١٩١٣م.ترك مقاعد الدراسة في عام ١٩٢٤ ليعمل صانعاً عند عطار، وطرد من العمل لأنه كان ينشغل بقراءة الكتب والمجلات ويترك الزبائن. وبعد ذلك فتح دكانا صغيرا يديره بنفسه، وفي عام ١٩٣١ التحق بالدراسة المسائية في الصف السادس الابتدائي وكانت بداية لحياة جديدة. واكمل دراسته وأصبح معلما. كما غير زيه التقليدي عام ١٩٣٢، وأصبح افنديا.وبعد إتمامه الدراسة الثانوية حصل على المرتبة الثالثة على العراق فأرسل لبعثة دراسية للجامعة الأمريكية في بيروت وحصل على البكالوريوس وأرسل في بعثة أخرى إلى جامعة تكساس حيث نال الماجستير عام ١٩٤٨ ونال الدكتورا عام ١٩٥٠، قال له رئيس جامعة تكساس عند تقديم الشهادة له: (أيها الدكتور الوردي ستكون الأول في مستقبل علم الاجتماع.

[2] مذكرات، ص٤٢

والدكتور (نوري جعفر) في التربية وعلم النفس وفلسفة التاريخ، و(عبد الجليل الطاهر) في علم الاجتماع والفلسفة، فضلاً عما قدمه الدكتور الراحل (عبد العزيز الدوري)[1] من نتاج كبير تبلورت في إسهاماته من بحوث كتبها عن فلسفة التاريخ، ونشرها في مجلة (دراسات عربية) البيروتية و(عالم الفكر) الكويتية، أضاف إليهم الدكتور (رسول محمد رسول)، والدكتور (محمد عبد الحسين الدعمي) في مجال الاستشراق، وللدكتور (موسى النجار) كذلك إسهام في هذا المجال، ومنهم أيضا أساتذة كرد عنوا بالفكر التاريخي وفلسفة التاريخ، كما هو الحال فيما كتبه الدكتور (كمال مظهر أحمد)[2] والدكتور (حميد عزيز)، و(الدكتور كاميران أحمد محمد

---

[1] عبد العزيز الدوري (بغداد ١٩١٩ – عمّان ١٩ تشرين ثان٢٠١٠)، مؤرخ عراقي. حصل على بكالوريوس شرف في التاريخ من جامعة لندن عام ١٩٤٠ وعلى الدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٤٢، ثم درس التاريخ في دار المعلمين العالية، وكلية الآداب والعلوم قبل قيام جامعة بغداد.

عمل مؤسسا وعميدا لكلية الآداب والعلوم، ثم رئيسا لجامعة بغداد خلال الفترة ١٩٦٣–١٩٦٨ لينتقل بعدها للتدريس في الجامعة الأردنية.

استطاع الدوري في مؤلفاته التاريخية أن يقدم صورة جديدة للتاريخ العربي الإسلامي عن طريق دمجه لأصالة البحث التاريخي في مؤلفات المؤرخين العرب القدماء مع أدوات التحليل والبحث التي استقاها من الغرب. استطاع في مرحلة مبكرة جدا، تحديدا عام ١٩٤٥ أن يقدم لنا كتاب (مقدمة في تاريخ صدر الإسلام) وهي رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي جمع فيها رؤيته للعوامل المختلفة التي أسهمت في تطور التاريخ الإسلامي والذي يحددها بعوامل عقدية إيمانية وعوامل قبلية عصبية وعوامل اقتصادية، وبهذا جمع الدوري برؤية المسلم العربي مجمل العوامل الأساسية المؤثرة في التاريخ دون تحيز لنظرية معينة تضع أحد هذه العوامل أولا فلم يعلي من شأن الإيمان مهملا الاقتصاد ولم يهمل العصبية ليركز على الاقتصاد. طبق الدوري كل ذلك على مرويات التاريخ الإسلامي الوفيرة ليضع صورة أكثر وضوحا لأزمات التاريخ الإسلامي مثل فتنة مقتل عثمان ومشاكل العراق الاقتصادية في تلك الفترة ونزاعات الخلافة بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. كان كتابه الآخر (مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي) أحد الكتب الأولي وما زالت أحد الكتب النادرة التي تتحدث عن مراحل تطور الاقتصاد في بدايات الدولة الإسلامية.. توفي في عمان ٢٠تشرين ثان ٢٠١٠.

[2] من المؤرخين العراقيين المعاصرين المتميزين.. له حضور فاعل على الساحة الثقافية العراقية منذ أوائل السبعينات من القرن الماضي.. أستاذ جامعي ومؤرخ وباحث من الطراز الأول. له كتابات ودراسات نشر بعضها في

أمين) وغيرهم مما تزدحم أسماؤهم في الذاكرة، كل أولئك كانوا بمثابة زادٍ، اطلع مؤرخنا على ما كتبوه وأضاف لما أوردوه زاداً، أضاف لخزين معرفته مزيداً من العلم والتعلم، بهما، ومنهما، قرر أن يفيد الآخرين، وهو ما فعله وفي ذلك أصدق القول وبالفعل أبدع.

ولعل من أهم المؤثرات التي أثرت وصقلت فكر مؤرخنا في مراحله المبكرة، هو تعلمه قراءة القرآن الكريم بتحفيز من والده "رحمه الله". والى ذلك كان للملا (أحمد)، و (السيد رمضان)، و (الملا محمد)، الفضل في تعلمه قراءة القرآن وختمه، فكان ذلك سبباً مباشراً في تفوقه في اللغة العربية. ولربما شكل هذا التوجه المبكر في قراءة القرآن الكريم مع ما كان منهمكاً فيه من قراءة أدبيات الفكر الماركسي في السنوات التالية لتلك المرحلة، حافزاً ومؤثراً فاعلاً في عشقه للدراسات الفكرية التي شكلت فيما بعد خزينه المعرفي. وهذا أمر يدعو إلى التساؤل لا سيما في شخصية مثل شخصية مؤرخنا، اذ يمحص الأمور قبل اعتمادها وقد يعزى هذا التحول في توجهه إلى ما كان لأخيه الذي شهد عذابات "نقرة السلمان"[1] والذي يكبره سناً، الدور المؤثر أيضاً في ذلك، لا سيما وان ما كان متداولاً في بيتهم من كتب ماركسية بمثابة متنفسٍ له إذ سبق تفكيره بواقع شعبه

الصحف العراقية والعربية والأجنبية، للمزيد ينظر كتابنا : كمال مظهر أحمد، خمسون سنة في دراسة التاريخ وكتابته، بيروت، ٢٠١٠.

[1] يجهل كثير من العراقيين حقيقة سجن نقرة السلمان وعذابات السجناء الشيوعيين والوطنيين ممن عاشوا في داخل هذا المعتقل البغيض الذي أمسى رمزاً للاضطهاد والقمع والظلم والاستبداد. ويرجع سبب قلة المعلومات المتوفرة عن هذا المعتقل لندرة التدوين عمّا صاحبه منذ تأسيسه، من أحداث جسام، ألقت بظلالها على حقبة زمنية طويلة من تاريخ العراق المعاصر. وقد كتب الشاعر الكبير (بدر شاكر السياب) هذه القصيدة سنة ١٩٥٢ على لسان والدة معتقل في سجن نقرة السلمان الرهيب، لم تنشر هذه القصيدة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة للسياب على الرغم من أن طباعتها قد أعيدت لأكثر من مرة، وأوردنا منها ما يلي :

في قلعةٍ جُبلتْ حجارتُها بدمِ القلوب وباردِ العرقِ
ظلماء يلهث في مغاورها داجي الهواء لهاث مختنقِ
وتعفن الزمن الحبيس لدى جدرانها طبقاً على طبقِ
وتلظت الصحراء فاغرةً عنها فمَ المتثائب القلق

ينظر : غائب طعمة فرمان، الحكم الأسود في العراق، بغداد، دت، ص٦١

المعاش، سنوات عمره كثيراً. وهذا الفكر (الماركسي) وجهّه الى التعاطف مع كادحي العـراق، ومـا الحق بالكرد من مظالم، جعله ينحاز كلياً الى "الكوردا بتى " رغـم ان الكرديـة لم تكـن لغتـه الأم وهذه مسألة معروفة تتعلق بالارابلة " سكنة أربيل القدامى ". وقد انعكس هـذا الإحـساس وهـذا الخزين المعرفي على نمط تفكيره، الذي أدخله بجدل مع أساتذته ممـن كـان يحمـل فكـراً يـسارياً متنوراً أو ممن كان مناهضاً لهذا الفكر ، وهو ما أقحمه من جهـة أخرى في مماحكـات عديـدة مـع الطلبة ، مما راح يُعرف في الوسط الجامعي بتوجهه هذا، فكان مسوغاً للحكومة وقتذاك أن تتـابع تحركاته[1] .

وأمام هذا التنوع المعرفي والتعاطي مع الواقع المعاش بتجاذباته وتعقيداته، أصـبحت قـراءات مترجمنا أكثر جدية، لا سيما بعد ان أضاف أليها كتابات مهمة من مثل كتابات (علي الوردي)، و(عبد الجليل الطـاهر)، و(محمـد عابـد الجـابري)[2]، و(عبـد الـرحمن بـدوي)، و(محمـد سـعيد

---

[1] من مذكراته، ص٢٣

[2] محمد عابد الجابري (ولد عام ١٩٣٦، وتوفي في مـايس ٢٠١٠، مفكـر مغربـي وأسـتاذ الفلـسفة والفكـر العربـي الإسلامي في كلية الآداب بالرباط. حصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة في عام ١٩٦٧ ثم دكتـوراه الدولـة في الفلسفة عام ١٩٧٠ من كلية الآداب بالرباط.. عمل معلماً ثم أسـتاذ فلـسفة وعـضو مجلـس أمنـاء المؤسـسة العربيـة للديمقراطية. ولد محمد الجابري غرة شوال ١٣٥٤ هـ بمدينة فجـيج الواقعـة في شـرق المغـرب علـى خـط الحـدود الذي أقامه الفرنسيون بين المغرب والجزائر، وتتألف فجيج من سبعة قصور – أي تجمعات سكنية – مـن بينهـا قلعة زناكة التي ولد فيها الجابري بعد أن انفصلت والدته عن والده، فنشأ نشأته الأولى عنـد أخوالـه وكـان يلقـى عناية فائقة من أهله سواء من جهة أبيه أو أمه. وكان جده لأمه يحرص علـى تلقينـه بعـض الـسور القـصيرة مـن القرآن وبعض الأدعية، وما لبث أن ألحقه بالكتاب فتعلم القراءة والكتابة وحفظ ما يقرب من ثلث القرآن، ومـا إن أتم السابعة حتى انتقل لكتاب آخر، وتزوجت أمه من شيخ الكتاب فتلقى الجابري تعليمـه علـى يـد زوج والدتـه لفترة قصيرة، ثم ألحقه عمه بالمدرسة الفرنسية فقضى عـامين بالمـستوى الأول يـدرس بالفرنـسية. بـدت أمـارات التفوق على الجابري حين برع في الحساب كما كـان يجيـد القـراءة في كتـاب الـتلاوة الفرنـسية، وكـان الانتـساب للمدرسة الفرنسية ينطوي على نوع من العقوق للوطن والدين فكان الآباء يخفون أبناءهم ولا يـسمحون بتـسجيلهم في هذه المدرسة إلا تحت ضغط السلطات الفرنسية. أتيحت للجابري فرصة الالتقـاء بالحـاج محمـد فـرج وهـو مـن رجال السلفية النهـضوية بـالمغرب الـذين جمعـوا بـين الإصـلاح الـديني والكفـاح الـوطني والتحـديث الاجتمـاعي

العشماوي)، و(طيب تيزيني) و(أحمد علبي) و(عزيز السيد جاسم)، و(عبد العزيـز الـدوري)، و(حسين مروة)، و(نوري جعفر)، و(هادي العلـوي)، و(احمـد عبـاس صـالح)، و(زكـي نجيـب محمود)، و(زكريا إبراهيم)، و(محمـد عمـارة)، و(علـي فهمـي خـشيم)، و(الـصادق الينهـوم)، و(خليـل عبـد الكـريم)، و(سـيد محمـود القمـني)، و(عبـد الله القـصيمي)، و(عبـد الله العـروي) و(محمود عبد الرزاق إسماعيل)، و(صادق جلال العظـم)[1] وغيرهـم. وكـان لمطالعـة مؤرخنـا لتلـك الكتب، اثر بالغ ساعده في قراءة كتاب " المقدمة " إلى جانب قراءة كتاب "كارل ماركس"، إذ عـن

والثقافي، وكان محمد فرج إماما بمسجد زناكة الجامع، فكان الجابري وهو لا يتجاوز العاشرة يواظب على حضور دروسه بعد صلاة العصر، وفي هذه الأثناء راودت شيخه فكرة إنشاء مدرسة وطنية حرة بفجـيج، وبالفعـل حـصل على رخصة من وزارة المعارف لإنشاء مدرسة "النهضة المحمدية" كمدرسة وطنية لا تخـضع للـسلطات الفرنـسية ولا تطبق برامجها، بل يشرف عليها رجال الحركة الوطنية حيث جعلوا منهـا مـدارس عـصرية معربـة لتـصبح بديلا للتعليم الفرنسي بالمغرب، فالتحق الجابري بالمدرسة وتخرج فيهـا سـنة ١٣٦٨ هــ / ١٩٤٩ بعـد أن حـصل على الابتدائية. استطاع محمد عابد الجابري عبر سلسلة نقـد العقـل العربـي القيـام بتحليـل العقـل العربـي عـبر دراسة المكونات والبنى الثقافية واللغوية التي بدأت من عـصر التـدوين ثـم انتقـل إلى دراسـة العقـل الـسياسي ثـم الأخلاقي وهو مبتكر مصطلح "العقل المستقيل" وهـو ذلـك العقـل الـذي يبتعـد عـن النقـاش في القـضايا الحـضارية الكبرى. وفي نهاية تلك السلسلة يصل المعلم إلى نتيجة مفادها "أن العقل العربي بحاجة اليوم إلى إعادة الابتكـار". ينظر : الدكتور محمد عابد الجابري، حفريات في الذاكرة من بعيد، بيروت: مركز دراسـات الوحـدة العربيـة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ؛ عبد العزيز الوهيبي، قـراءة في فكـر الـدكتور محمـد عابـد الجـابري، مجلـة البيان، العدد ٧١؛من يخاف محمد عابد الجابري؟ الأخبار، ٥ أيار ٢٠١٠ .

[1] صادق جلال العظم المولود بدمشق سنة ١٩٣٤، درس الفلسفة في الجامعة الأميركيـة، وتـابع تعليمـه في جامعـة يال بالولايات المتحدة، وهو مفكر و أستاذ فخري بجامعة دمشق في الفلسفة الأوروبية الحديثة. كان أستاذاً زائـراً في قسم دراسات الشرق الأدنى بجامعة برنستون حتى عام ٢٠٠٧. عمل أستاذاً جامعياً في الولايات المتحـدة قبـل أن يعود إلى سوريا ١٩٦٢ ليعمل أستاذاً في جامعة دمشق. انتقل للتدريس في الجامعة الأميركية في بيروت بـين ١٩٦٣ و١٩٦٨. وعمل أستاذاً في جامعة الأردن ثم أصبح سنة ١٩٦٩ رئيس تحرير مجلة الدراسات العربية التي تـصدر في بيروت. عاد إلى دمشق ١٩٨٨ ليدرس في جامعة دمشق، وتمت دعوته من قبل عدة جامعـات أجنبيـة ثـم انتقـل إلى الخارج مجدداً، ليعمل أستاذاً في عدة جامعات بالولايات المتحدة وألمانيا. كتب في الفلسفة ودراسـات ومؤلفـات عـن المجتمع والفكر العربي المعاصر.

طريقه تعرف إلى "فردريك هيجل"[1] كما قرأ "ألبرت شفايتزر"[2]، كتب عن فيكو وازولد شبنكلر[3] وارنولد توينبي ثم قرأ بحوث (وسيرة حياة) المستشرقين، وعمد حينها إلى تأليف كتابه (نيكولاي مكيافيللي)[4] وقرأ بعض مسرحيات "جان بول سارتر"[1] و"لويجي بيراند يللو"[2] و"بارتولد بريخت"[3] و"هنريك ابسن"[4]و"جان أنوي"[5] وجان جيرودو[6] وغيرهم.

---

[1] جورج ويلهلم فريدريك هيغل (Georg Wilhelm Friedrich Hegel) فيلسوف ألماني ولد في شتوتغارت، فورتيمبيرغ، في المنطقة الجنوبية الغربيةِ من ألمانيا. يعد أحد أهم الفلاسفة الألمان ومن مؤسسي حركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. مات بمرض الكوليرا عام ١٨٣١. أما كتبه عن الجماليات وفلسفة الدين وفلسفة التاريخ فلم تنشر إلا بعد موته، ينظر: إمام عبد الفتاح، هيجل (محاضرات في فلسفة التاريخ)، القاهرة، العالم الشرقي، ١٩٨٦م.

[2] ألبرت شفايتزر الإنسان والطبيب والفيلسوف والإنساني والمفكر، والمناهض للتفرقة العنصرية، والتعصب بأشكال مختلفة. حاز على جائزة نوبل للسلام. وله آراؤه في الفلسفة والاجتماع ، كان متأثراً بالفكر الصوفي-الفلسفي الذي جعله يحلق إلى آفاق السمو الروحي في إطار من الشفافية الخالصة للحقائق الكبرى، جعلته ينظر إلى الإرث الديني محركاً للحب الإنساني-الحياتي، والأخلاق قاعدة للسلوك، للمزيد ينظر اندريه إيمنسكي، ألبرت شفايتزر-المفكر والإنساني والطبيب ترجمة، تحقيق: هاني مرتضى، دار الوراق للنشر والتوزيع

[3] الفيلسوف الألماني "أوزولد شبنجلر" صاحب الكتاب الشهير "أفول الغرب" أو " تدهور الحضارة الغربية.

[4] .. نيقولو مكيافيللى (١٤٦٩– ١٥٢٧) ولد فى عصر النهضة ...ولكَ معى أن تتخيل الظروف التي عايشها "مكيافيللى" من تقسيم لإيطاليا،وقوف البابا بالمرصاد لأي محاولات لتوحيدها وتحريضه على ذلك للدول الأوروبية، زيادةً على أن أسرته كانت معادية للأسرة الحاكمة "دى مديشى" وقد نفيت كاملة لفترة قصيرة من فلورنسا. وحين تم غزو فلورنسا من فرنسا عُين مكيافيللى مستشارا وأمينا عاما للدولة لمدة ١٤ سنة، إذ أصبح شاهداً على ما كان يجرى فى كواليس السياسة وسقطت الجمهورية عام ١٥١٢ عندما غزا الجيش الفرنسي مرة أخرى واستدعيت أسرة " دى مديشى " مرة أخرى، ونفى مكيافيللى ليكتب في منفاه كتاب " الأمير" توددا للأمير" لورنزو بييرو" لإعادته من منفاه، والذي لم يعيره أي اهتمام لينقلب الكتاب ضده بدلا من أن يكون ساندا له، حتى ان البابا منع تداول الكتاب الذي بقي ممنوعا حتى نهاية القرن الـ ١٩. للمزيد عن هذه الشخصية المثيرة للجدل يراجع : شوفالييه، جان جاك، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة محمد عرب صاصيلا، ط٤، بيروت ١٩٩٨ ؛محسن محمد حسين (الدكتور)، مكيافيللي في الميزان، طبعة دار التفسير اربيل، ٢٠٠٦.

ـ قصة كتابته لمذكراته :

دفعني الفضول للتعرف إلى حياة أستاذي، إذ واجهته بسؤال عن مذكراته وكنت مسبقاً أعلم بأنه يحرص بشكل يومي على تدوين كل شاردة وواردة في حياته على الرغم من انشغاله بأبحاثه ودراساته ومسؤوليات الأسرة..... صمت لبرهة وكأنه يسترجع في أثناء تلك القيلولة من الزمن، ذلك العمق في رحلة العمر السريعة في خطواتها، ليبادرني بكلام، وكأنه يروم الحديث بطلاقة وعلى فرض أني أذنت للسجان أن يطلق سراحه : قلت له يا سيدي حدثني إن شئت عن رحلة المنافي في حياتك، وان كانت عصية البوح بها، فأنا اعلم أنها أكثر من محطة، وفي داخل الوطن كنت تشعر بالمنفى !!! فكيف بك وأنت منفي في ذلك المنفى بآلاف من الكيلومترات عن الوطن ؟ كيف كانت علاقتك بالأسرة وأنت الذي اعتدت الاندماج بأبسط جزئيات أولادك ؟ وكيف كانت ترتسم في مراسلاتك مع أم دلير، تلك الأماني وما كنتم له تهدفون ؟؟ ......

أجابني بالقول وكأني أشعر بثقل كلماته على لسانه، فأنا أعلم انه صعب المراس للبوح بأسراره : أن أيامه بمجملها كانت منافي، وما بين المنفى في داخل الوطن، وبين المنفى في خارجه، لم تكن

---

[1] فيلسوف وروائي ومؤلف مسرحي فرنسي. بدأ حياته العملية أستاذاً. درس الفلسفة في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية. حين احتلت ألمانيا النازية فرنسا، انخرط في صفوف المقاومة الفرنسية السرية. فقد بصره نهاية عمره، وتوفي سنة ١٩٨٠ اثر مرض برئتيه.

٥٣ أحد أهم كتاب القرن العشرين في إيطاليا، أصدر روايته الأولى (الهاربة) وبعدها صدرت له روايتان، هما المرحوم (ماتيا باسكال) و(الشيوخ والشباب)..

[3] منظّر المسرح الملحميّ .

[4] هنريك يوهان إبسن (**Henrik Johan Ibsen**؛ ٢٠ مارس ١٨٢٨ – ٢٣ مايو ١٩٠٦) كاتب مسرحي نرويجي، يعرف بـ "أبي الدراما الحديثة". له (٢٦) مسرحية.

[5] جان أنوي (١٩١٠ ـ ١٩٨٧) **Jean Anouilh** مؤلف مسرحي فرنسي ولد في مدينة بوردو الفرنسية. وهو مؤلف مسرحية (بيكيت الشهيرة، و(المسافر بلا متاع)، و(السمور الابيض) وغيرها من الأعمال اللاحقة.

[6] كاتب مسرحي فرنسي(١٨٨٢ ـ ١٩٤٤)، من مؤلفاته (سيجفريد و(الكترا) ونشيد الانشاد) و(أوندين)وغيرها.

بأكثر من تنويعات للمكان والزمان وتوزيعهما ، بل ولكل منفى وتحول لآخر، علة. ومن ذلك يؤكد مؤرخنا أن كتاباته عن تلك الأيام، كانت الدواء الذي خفف عنه وطأة الغربة وشدتها[1].

لقد أعتاد كتابة مذكراته منذ زمن مبكر، إلا انه أقدم على حرق مدونات سنين عديدة عام ١٩٦٣ في قلعة صالح، اثر انقلاب (٨ شباط ١٩٦٣)، خشية من تفسير فحواها تفسيراً مؤذياً ينعكس على مصيره وهو بعيد عن موطنه. وقد حزن لهذا الأمر كثيراً، وكذلك أشار إلى حزن شقيقته (صبا) التي كانت ترافقه في جنوب العراق، إذ صور لنا آلية حرق تلك الأوراق وما مثلته له تلك النار التي راحت تلتهم كلماته المعبرة عن عمق إحساسه بالحياة، مؤكداً أنه حين وجد فعل النار هذا وقد ألغت ما كان يواسي بها نفسه، أشار أن شقيقته صبا منعته من إحراقها وراحت تضمها إلى صدرها لتحملها هي وتخفيها في مكان آمن آخر، إلا انه كان يخشى أن يصيبها ما سيصيبه من أولئك الأوغاد، لا سيما وقد وردت له معلومات مؤكدة وقتذاك تشير إلى أن رجال الأمن لديهم معلومات عن أنشطته حين كان في الكلية بالأخص في سنة ١٩٦١ -١٩٦٢ حين أصيب في إحدى المواجهات مع رجال الأمن ورقد في المستشفى وفقد في هذه المواجهة حقيبة في داخلها منشورات حزبية، وكان حينها في السنة الدراسية قبل الأخيرة[2].

ومع انه فقد جزءاً مهماً من تلك المذكرات التي تتحدث عن مرحلة حساسة وخطيرة في حياته، إلا انه لم يتراجع عن تدوين ما كان يصادفه في يومياته، ليعود إلى كتابة مذكراته اليومية، مؤكداً أنه لا بد أن يأتي اليوم الذي يتمكن فيه بعون الله تعالى، من غربلة تلك المذكرات وإبراز فحواها، وإعادة كتابتها بشكل منهجي. والى ذلك يرى أن مذكراته تلك لا تشبه مذكرات الزعماء السياسيين والقادة العسكريين، أي أنها ليست غنية بالأحداث الخطيرة، لكنها غنية بالمعاناة وآلام الغربة.

أما مراسلاته من (المنفى / ليبيا) مع زوجته (أم دلير)، فقد سطّر أحرفها في محطته الأولى، حين وصل إلى دهوك ونزل في مبيت المركز الثقافي للجامعة مؤكداً انه لم ينم ليلتها، وفي الليلة

---

[1] من مذكراته، ص٤٩.

[2] المصدر نفسه، ص٥٠.

التالية وفي منزل صديقه الدكتور (عبد الفتاح بوتاني) وتحديداً في ١٩٩٦/١١/١٩، يكـون مؤرخنـا قد واصل الكتابة حتى وهو على ظهر الباخرة (غرناطة) الـتي أقلتـه مـن أزمـير إلى طـرابلس، إذ راح يكتب دون انقطاع . ويذكر أن تلك الأوراق كانت قد امتلأت بمشاعر الشوق ألمض إلى أسرته وأحبته وأصدقائه. لقد كتب حينها رسائل عديـدة إلى هـؤلاء جميعـاً. وبعـد حـين وانقـضاء أجـل السنين في ليبيا، اعتاد على قراءة ما كان قد خطه بيده ليشعر وكأنه يقرأ قصيدة جميلـة أو يـسمع سيمفونية جميلة، فكانت كتاباته تلك بمثابة (لهوه الجميل) إذ لا بديل لـه عنهـا. وأشـار إلى أن تلك المرحلة كانت قد ألهمته عشق القراءة نوعاً وكماً أكثر من ذي قبل، وخلال تسعة أشهر يكـون مؤرخنا التدريسي الوحيد في القسم الداخلي الخاص بالعزاب وأكثرهم عراقيون، الـذي لم يغـادر المبنى إلا عند الضرورة. فلم يكن يخـرج حتـى أمـسيات الخمـيس علـى الجمعـة، وكأنـه يحـرس المبنى، وقد عرف ذلك زملاؤه وربما كان السبب ـ من حيث لم يعلم ـ انه لا يريد مغادرة دفاتره التي راح من خلالها يخاطب أسرته ومدينته ووطنه، بمعنى انه حـين يغـادر المبنـى يكـون كمـن يغادر أوراقه العزيزة ويبتعد عن أسرته ويغترب في عمق غربته[١]. وفي ذلك، كتب العـشرات مـن الرسائل، إلا انه لم يبعثها كلها واحتفظ بها. وكتب في ذات مـرة رسـالة وهـي مـستلة، حـسبما علمنا من رسالة بعثتها له أم دلير وكأنها تخاطبه إذ كان يشعر حيالها بمذاق خاص ولطالمـا كـان يتلذذ بقراءتها على مسامع عائلته فيما بعد، اذ اقتطف منها تلك الكلمات ـ حين التقيا في تركيـا ـ المحطة الأخرى من المنافي في نهاية آب سنة ١٩٩٧ ومنها هذه الـسطور الـتي تختـزن فيهـا أم دلير ذاكرة سنين طوال بكل تفاصيل حياتهما وتحركات زوجها المهاجر :

" آلاف من الأميال تفرقّنا... تبعدنا جبال... سهول... أودية.. غابات... صحارى... بحـار... أين أنت... ابحث عنك.. أمد عنقي نحو الباب... هل عدت من التبضع.. من الكلية.. أين نحن... أين انت َ.. أبحث عنك في ركنك الأثير اذ تقرأ وتكتب فيه..ثم أتذكر.. لقد أخذتك مـني.. منـا.. الغربة.. أنك لم تخلق لتغترب.. لذا أعرف ما تقاسيه ألآن... إنهـا الغربـة فرضـتها عـذاباتك.. علينا.. جميعاً.. أنا هنا مع الأولاد.. وأنت وحدك مهاجر.... وتستطرد قائلة:

---

[١] من أوراق مذكراته، ص ٥٠

اشعر بالأسى المزوج بالخوف من المجهـول... مـن الآتـي ... كلماتـك تـأتيني عـبر الرسـائل... تواسيني... تدعوني إلى الصمود... إلى التحمل.. تدعوني أن أكون أماً... وأبـاً لهـم.. لكـن مـن أيـن لي هذه المقدرة... هذه القوة أن أحل محلك... أن أعوضهم عنك. لقد قسا علينا الزمن وفرض علينا هذا التشتت.. فتوزعنا بين القارات الثلاث.. بين أربعة مدن... لماذا ؟

أتساءل في سرّي... مخافة أن يتضايق صغارنا... أتساءل مرات ومـرات : متـى يلتـئم الـشمل.. متى تلتئم الجراح... متى نجتمع.. هل سنجتمع فعلاً ؟ سـاعات النهـار تنقـضي بثقـل وتـراخ... تخنقني ثم أسكت عبراتي في المطبخ وفي حجرات المنزل. وحين أجلس في الحديقة.. أحاورك وأنت تسقي الشجيرات والزهور... ثم انتبه لواقعنـا.... في الليـل تتباطـأ الـساعات... فبعـد ان تنتهـي مذاكرات الأولاد، آوي إلى فراشي يهدهدني التعب.. ينال مني التفكير.. أسمع نحيباً.. أخرج من الغربة.. ها هي (بناز) تخاطب صورتك تقسم أن (بابـا) يحاورهـا ويبتـسم لهـا.. ثـم تنخـرط في البكاء، فأهدّئ من روعها.. وروع (هاوناز).. و(علـي).. ادعهـم ينـامون بـين ذراعـي.. أتقلـب في الفراش يعاديني النوم ويغادرني الهدوء، ثم يغلـبني النـوم اذ أتـذكر كلماتـك... نـردد عباراتـك التي لم تفارقنا منذ أن فارقنا ظلك .. وتتواصل في طرح لواعجها بقولها :

أسـتيقظ صـباح اليـوم التـالي فرحـة مستبـشرة... لقـد مـضى يـوم آخـر.. أتعجـل النهـارات والليالي.. وأنا... ونحن... نصارع الأيـام لتوصـلنا إليـك... وكـأني أتعجـل العمـر.. أليـست هـذه الأيام.. ونحن في منفى.. محسوبة من أعمارنا ؟؟ أقول لنفسي وأنا أقلب صفحات رسائلك. وحين ارتشف شاي العصر، أنـسى وضـعنا... أقـدم لـك شـاياً ثـم انتبـه... لا أريـد شـيئاً أكثـر مـن أن نلتقي... أن يجتمع الشمل. لم استطع أن لا أبوح بما أنـا فيـه... أن اكـتم حزنـي... فهـل أقـترب موعد الصبح الأخير ؟[1] ....

---

[1] لقد سجل مؤرخنا رسالة زوجته تلك ودون كلماتهـا في دفـتر أعطـاه أحـد أسمـاء دواويـن الـشاعر الكـبير مظفـر النواب (وتريات ليلية) يا أميرتي أنا أناديك (مصراته / ليبيا) ١٩٩٧/٧/٨.

وأمام ذلك لم يكن لمؤرخنا وهو متأثر أيمَ تأثر من وقع تلك الكلمات المعبرة، سوى أن يلجأ لقول الشعر فهو ملجأه حين تهرب منه المُنجدات، إذ رد على تلك الرسالة بأبيات من الشعر منها :

لقد تولّهتُ بصمتي

أني حين أصمت أُصغي إلى وجيفه

فأرتوي بحبك... وهو يناديك

ولندخل في مباريات مناداتنا.

أنه يخفق حتى يحاورك ويبوح بسرّي

الذي تعرفينه

وها أنا أرمّمُ نفسي لكي نتعانق

* *****

أعدت تثبيت ملامح الزمن الثاوي

في الشفق

أستدعيك (يا نجمة الصبح) في حالك الدجى.

وفي صهد نهار يحترق

استدعيتك عبر المسافات لتشاركني

الحياة في خلايا هذه البلاد ....

في منفاي

لأبث فيك هذه المشاعر من جديد.

ولأمنحك أحداقاً ملأى بالدموع.

سنعيش في هذه القارة المنكوبة بالـ..........

الخائنة لجلدها و (لسنكور)[1]

ننشد الخلاص معاً

لتبوحي لي أحزانك وأنت غريبة وطناً..

أني أهفو بنبضاتي إلى المدينة العتيقة المنهوبة

المنهوبة بأيدي الأجلاف...

في لحظة ارتقاء الباخرة أسقط في يدي مؤرخنا مسألة العودة إلى الديار، فراح يردد مع نفسه، وهو يمسح مقلتيه كلمات للشاعر الراحل يوسف الحيدري :

مّزق أوراقك منذ اللحظة

وانشرها في وجه الريح

فقد آن لك أخيراً

أن تستريح

* * * * * * * *

مدينتي يغلفها صمت كئيب

وأنا يا حبيبتي

مسافر حزين

* * * *

في عيوني ثلاث دمعات

دمعة لمدينتي

ودمعة لأنني لن أعود

ودمعة لأنكِ حزينة.

* * * *

---

[1] سنكور، ليوبولد (L. Senghor.) رئيس جهورية السنغال (١٩٦٠ ـ ١٩٨٠) وهو شاعر كبير، كتب باللغة الفرنسية ودافع عن الزنوجية " ثقافة الزنوج".

وبعد عام ١٩٩٣، كتب في بغداد بعد أن طفح الحنين فبات يعود إلى ذكريات الطفولة في بيت الأسرة العتيق في محلة طيراوه إذ قال :

يلّح عليّ الحنين أن أعود

ويخدعني أن شجرة التوت

ما زالت تظلل الباحة النديّة

غدوت منفياً معلقاً في البرّية

معلقاً بين منفى ومنفى

منفياً في جوف الحوت

....

ساد الخراب ... وصمتت الساعة

نعق الغراب

واحرق الغول الشبابيك والأعناب

وتوقف الحاكي والمزراب

لم يعد أبي يدق الباب

دقّاته بصوتها المعهود

وقت مُقدمه المعهود

وقت مُقدمه المحدود

وهوى على شجرة التوت بفأس الحطاب

والـ (سماور)[١] لا يصدر أزيزه الرتيب

ولا نجتمع حول (سنية)[٢] والصينية

نحتسي شاي العصرية

---

[١] جهاز لغلي ماء الشاي، كان يحشى فحماً ويصدر أزيزاً حين الغليان.

[٢] ألأخت الكبرى للدكتور محسن، كانت مسؤولة عن إعداد الشاي وصبه.

وبعنا الأواني النحاسية

وغابت عنا الباحة الندية

إلى يوم الأبدية.

لقد استصعب مؤرخنا رحلته من دون عائلته كثيراً، إذ لا يمكن أن يخوضها من اعتاد الحياة الأسرية الحقة.

ـ قصة رحلته إلى ليبيا :

لا شك أن لكل فعل، ردة فعل، وقد كان العوز الذي ألّمَ بمؤرخنا من جراء محاصرة السلطة لـه وإجباره قسراً على ترك ما كان يمتلكه مـن بيـت وأثـاث في بغـداد، وبالتـالي مجيئـه إلى مدينتـه العتيقة وما لقيه من جفـاء المـسؤولين، وغـير ذلـك مـن الأمـور الـتي حالـت دون تحقيقـه لأدنـى متطلبات العيش الكريم لعائلته التي بدورها ذاقت الأمرين، كـل ذلـك كـان قـد شـكّل لـه تحـدياً استدعى الاستجابة عليه، لئلا تـزداد الوطـأة ثقـلاً، فيعجـز عـن حملـها. ولم يكـن أمامـه إلا أن يختار محطة أخرى من محطات المنافي البعيدة، فكان الـتفكير في الـسفر إلى ليبيـا الحـل الأمثـل لذلك، وقبل أن يتخذ قراره النهائي إزاء هذا الأمر، كم تمنى ـ حـسبما أعلمـني ـ أن يبـادر أحـد إلى منعه من السفر بأن يحول دون ذلك، بيد أنه تجرع مرارة القرار، وراح يلعن من كان السبب.

وتمضي الأيام ويصل إلى ليبيا، والى "مصراته"[1] بالذات، وهناك إذ الغربة بأوضح صـورها، لم يكن له سوى كتابة الخـواطر ليهـدئ مـن روعـه[2]. فكتـب ذات مـرة خـاطرة عـن عـودة خياليـة (فانتازيا)، إذ ذهب بـه الخيال وكأنه غادر ليبيـا وعـاد خـاوي الوفـاض، فمـا الـذي حـصل لـه ولعائلته ؟ وقد باع مسكنه المتواضع في اربيل بثمن بخس دراهم معدودات، باعه في لحظـة غـضب

---

[1] ثالث مدينة في ليبيا تقع على البحر المتوسط عند الحافة الغربية لخليج السدرة وتبعد عن مدينة طـرابلس ٢٠٨ كم شرقاً، بلغ مجموع سكانها حـسب التعـداد العـام للـسكان العـام ٢٠٠٦ نحـو ٥٤٣,١٢٩ نـسمة. تتميـز المدينـة بخصوبة أراضيها، وأهميتها الاقتصادية، ويقع فيها مركّب الحديد و الصلب الوحيد في ليبيـا وهـو مركّـب ضـخم يعمل به أكثر من ستة آلاف مستخدم. وقد شـهدت المدينـة نهـضة عمرانيـة ضـخمة منـذ الـسبعينات مـن القـرن العشرين، بسبب تحولها إلى منطقة جذب للسكان ويخشى ان يكون ذلك علـى حـساب الأراضـي الزراعيـة. لقبـت مصراتة بذات الرمال لوجود حزام من الكثبان الرملية العالية المتكونة من عمليات المد البحري عبر آلاف الـسنين تمتد من شرقها اذ قرية قصر أحمد والتي يوجد بها ميناء قصر أحمد والمنطقة الحـرة بمـصراته وحتـى غربهـا اذ قرية الدافنية. وتعد مدينـة مصراته من المدن القابلة للتوسع والنمو العمراني لما تتمتـع بـه مـن مـساحات واسـعة علاوة على انبساط الأرض وعدم وجود العوائق التي تحد من نموها، وفي المقابل فهي تعتبر من أفضل المـدن الليبيـة تنظيماً وتخطيطاً، الهيئة العامة للمعلومات، ليبيا، ٢٠٠٩

[2] من أوراق مذكراته.... ص٥٥

وإرسال اللعنة.. فصار كمن أحرق سفينته بعد أن وطأت أقدامه البّر لكيلا يفكر امتطائها ويعود القهقرى، فلم يعد لك مسكن يا فلان، وصار حينذاك يعيش عيشة لا يحسد عليها ؟.. فكيف يعود أذن ؟ ولماذا يعود ؟ لقد كانت سطور الأقصوصة بمثابة تعويذة... اعتاد حملها معه في كراسة وضعها في حقيبته.. وراح يعاود قراءتها حين يجلس بمفرده في مقهى في مصراته... أو في فترات الراحة بين المحاضرات أو حين يتلقى رسالة تعيد إليه الحيوية ليداوي به جرح البعد. وأمام ذلك بدا مؤرخنا ملماً بوضعه، وأن الرحلة في تقديره ستفشل، فهل ثمَّ من يأخذ بيديه ويثنيه عن عزمه... ليمنعه عن قرار السفر، فبمعية صديقه الدكتور محمد حسن يونس (أبو شوان)[1] ذهبا سوية إلى أحد الوزراء في حكومة الإقليم وشرحا له الأوضاع والمواقف ، على أن فكرة رحيلهما لم تكون إلا على مضض، وأنهما قد غادرا جامعة بغداد والموصل للعمل في جامعة اربيل (صلاح الدين) وقد وعَدهما الوزير المذكور خيراً بعد أن قدّر الموقف وطلب منهما التريث، فتريثا... ثم تريثا... إلا أن أمرهما لم يكن يعنيه رغم إظهاره اهتماماً بهما، اذ تبين انه كان معنياً بأمور أخرى. وكان سبب اختيارهما وزيارتهما لهذا الوزير هو قراءتهما لكراس كتبه، كان يطفح بمشاعر قومية جميلة (كوردايه تي) شعراً ونثراً، فنكث عهده، وكان هذا اختباراً لمدى صدق ما كتبه. وحينذاك اتصل به الدكتور محسن، ولكن من دون فائدة، إذ لم يرد على الاتصال، وأكثر من ذلك عمد إلى التهرب اذ راحت سكرتيرته تتحجج بأنه في اجتماع... لم ينته اجتماعه ذلك بل استغرق أياما ما داما يطلبانه حتى غادرا الوطن، ولعل اجتماعه هذا لم ينته حتى ألان !!!.

في الغربة، اضطر أن يتكيف، أن يتأقلم رغم مرارتها، فالمرء يتكيف مع القهر أو مع جدران سجنه أحياناً وأن للغربة وجهها الآخر، غير القبيح... وهذا الوجه قد يتغير حسب البلد الذي ينتهي إليه المطاف وهذا الوجه " غير القبيح" لا تعثر عليه في مقامك في موطنك، فالغربة بمرارتها تصنع الإبداع أحياناً، رغم مذلتها.فانشد حيال هذا الوضع لأحد الشعراء :

[1] الأستاذ في كلية الهندسة في السليمانية حالياً، وكان قد غادر اربيل إلى ليبيا مسبقاً وعمل في جامعة مدينة أخرى، وذاق مرارة الغربة، ثم عاد إلى مدينته، وله كل الاحترام الوافر.

فإذا الوطن تغيّر عن حاله فدع المقام وبادر التحويلا

والبقية معروفة

وراح يتمتم ببيتين اكتفى بقولهما :

ما في المقام لذي عقل وذي أدب من راحةِ، فدع الأوطان وأغتربِ

أني رأيتُ وقوف الماء يفسدهُ إن سار طاب، وان لم يجر لم يطبِ[1]

لقد أدرك مؤرخنا تلك الحقائق، فدونها بياناً يفصح عن الغربة والحنين، كما كتب وقرأ الكثير عن (الاغتراب **Alienation**) وحالاته في مجالات الأديان (الصوفية) وفي الفلسفة وعلم النفس.... الخ. إلا انه كتب معبراً عن لواعج راحت تطوف به إذ لا يدري قائلاً :

مكتبتي ممزقة بين مدن سجينة

تبحث عن حلّ مستحيل

يلملم شتاتها

تذكرت ـ وأنا أطير فوق (آمد)[2]

نار الدليل

كفكفت ذُلّي

وقمت بعد الرحيل

لأمزق أسمالي

وأحمل أوراقي عبر السهول

والوديان والقفار

وفوق الثلوج.... فوق التلال

فوق البحار

أتسلى بحروف الصلاة

---

[1] من مذكراته، ص٥٦

[2] التسمية الكردية القديمة لمدينة (ديار بكر) في كردستان الشمالية (تركيا).

في دوامة البحار

...

في يقيني إنا سنلتقي

أو أعود

أعود عاشقاً من جديد

ها أنا أصغي ـ وقد أرخى الليل ثانية سدوله ـ

أصغي إلى عاشق الليل

يغني بقيثارة الغجري

ينشد أغنية يدعونها (اربيل)

يقول : أنت لست منفياً

وقد مزقت الأسمالَ والأستار

وبصقت في وجه الذليل

في وجه المتسّولين على أبواب السلاطين

ويقول لي : لا تبك أيها المعلم

هوّن عليك يا معلمي

فأنت لم تغب لحظة

فغيابك كشف للأسرار

وهتك للأستار

وها غيابك كوجودك بألف دليل

رحلتَ يا سيدي بجسدك المتعب

غادرت مدينتك الحُبلى

بألف سؤال وسؤالِ

فقد كشف رحيلك يا سيدي، وجوهاً حالكة

وعرّتَها العاصفة

وأنت الآن فوق جوادك الأشهب

ترحل عنا ... لكنك ستعود

إلى عشاقك بلهفة... بلهفتنا[1]

عشاقك في بغداد وفي مدينتك العتيقة اربيل

وكأوراق الخريف... يتساقط المتسكعون

وعن وجوه منشدي البلاط ... سقطت أقنعة

وأخرى غيرها... ستلحقها اللعنة[2]

والى ذلك، يبدو واضحاً ان ما كان يعانيه من أرق السفر وشوقه الجارف إلى عائلته التي أُبعد عنها قسراً لأسباب مادية وسياسية وإدارية، كل ذلك بلور في جعبته أفكارا راحت تثقل كاهله فتدور وتدور، وحين لم تعثر تلك الأفكار المتراكمة عبر الزمن المنسي على متنفس لها، يجد في قول الشعر ضالته، وكأنه يحاكي ذلك الواقع الذي يريد أن تصير إليه الأشياء، لكن الأمر ليس بالمنال. فراح يكتب مئات بل آلاف الصفحات في دفاتره، لدرجة انه ينسى أن الزمن يجري بل تراءى له انه متوقف، ولا بد ان يسبقه!! ترى كيف ؟ فكان كتابة الشعر، وان لم يُكثر منه، وان لم يكن متخصصاً فيه، وان لم يتقن النظم، تعبيراً صادقاً عما يريده ويبتغي، ولعل ذلك ما أسبغ عليها من الجاذبية شيئا، فكتب كل تلك القصائد في دفاتر، سرعان ما تلاشت وسط تلك الزحمة من المنافي، في مدن بلاده في الجنوب وما عاناه، وفي الوسط في عاصمة وطنه وفي خضم خمسة وعشرون عاماً من العطاء والمثابرة، ومن ملاحقة العيون ورقابة الفكر، وفي مدينته العتيقة بعد الهروب من منفاه في بغداد، ضاعت بعض تلك الدفاتر مع ما ضاع من كتبه في قلعة صالح وفي شقلاوة وأربيل وبغداد وفي أزمير..... وفي... مصراته.. وإزاء ذلك، كتب في ليلة قائلاً :

غيبّتم عني أمكنة الحنوّ

حين اعتقلتم فرحي

---

[1] من مذكراته، ص٥٨

[2] كتب مؤرخنا تلك الأبيات الشعرية قبل أن يكتشف سرقة كتبه في طريق الموصل .

......

أودعتُ أسراري في البلّورة المسحورة...

وفي حقيبة كتبي ... وحقيبة أسفاري

وحين كشفوها رجموني

رجموا جسدي المسجّى في ساحة

مكسوة بزفتٍ مغَلّي.. وعلقوني.

علقوني في ساحة تلفّها جدران لم تشيّد على أرض.

....

صرخت بوجه لاعب أفّاق

أمام سيّافٍ وجلاّد :

أحلامي رؤى

تكشف خباياكم

تكشف أسراركم المطمورة

.....

هل مسحتم دموع مدينتي ؟

هل هدأ حريق روحها ؟

روحها التوّاقة للارتواء

لترتوي من نبع صار يسقي الأغراب... فيرتوون

ثم يرمون حجارتهم الملوثة فيه ويمشون

ويشتمون ماءها الزلال

ويقذفون هامتها ويضحكون

ويرمون مئذنتها ويترنحون....

...

ويعود الشوق الجارف لمدينته مستأذنا أن تكفكف دموعها فهي بمثابة قبلة له إذ يقول :

مدينتي يا مدينتي كفكفي دمعك

واتركي لي فسحة لأحلم فيها.

أرشديني إلى أرضٍ أُصلي عليها

ارفعيني إلى شرفةٍ أطّل منها على روابيها

أشم رائحة الزهو في روابيها.

أتركي لي كَوّة ينفذ منها نورها.

أيها الحيارى... يا أحبتي

لن أملّ من معانقتكم

وهنا تتجسد إنسانيته ممزوجة بأبوية مشفقة حتى على المقصرين بحقوق الآخرين من أبناء شعبه، وكأن من أهمل البلد، بحاجة لمن يعيدهم إلى رشدهم إذ يقول عنهم :

فامنحوني أملاً أعيد به الضالين.... إلى آخر ما قال : أعيده... إلى حب الوطن [1] .

---

[1] من أوراق مذكراته.... ص٥٩

ـ من أفكاره ورؤاه :

حادثة حلبجة.... رؤية وذكريات :

ولأن قلبه على شعبه، فلشد ما أحسست بتأثره، حين أومأت إليه بما تعنيه " حلبجه " في وجدانه. فهو لا يرى ما حصل لتلك المدينة، أمراً عابراً كبقية الأحداث التي تشهدها الأمم في تواريخها وحتى في حروبها ، فما حصل في حلبجة لم يكن كذلك، إذ يراه تماماً يختلف عن وقائع الحروب الأخرى، فهي فاجعة قل نظيرها ، لم يحصل مثيلها إلا في "الهولوكوست"[1]، ورمي الطيران الأميركي للقنبلتين النوويتين على هيروشيما وناكازاكي في اليابان إبان الحرب العالمية الثانية، أو ما فعله نظام (بول بوت)[2] لشعب كمبوديا قبل سنوات ، أو في بريشتينا في البوسنة بأيدي الصرب الفاشيست

---

[1] هولوكوست عبارة عن مصطلح تم استخدامه لوصف الحملات المنظمة لحكومة ألمانيا النازية وبعض من حلفائها لغرض الاضطهاد والتصفية العرقية لليهود في أوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية. كلمة هولوكوست هي كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية **holókauston**، **λόκαυστον** والتي تعني "الحرق الكامل للقرابين المقدمة لخالق الكون". في القرن التاسع عشر تم استعمال الكلمة لوصف الكوارث أو المآسي العظيمة. أول مرة استعملت فيها كلمة هولوكوست لوصف طريقة تعامل هتلر لليهود كانت في عام ١٩٤٢ ولكن الكلمة لم تلق انتشاراً واسعا لحد الخمسينيات، ومع السبعينيات أصبحت تستعمل حصرياً لوصف حملات الإبادة الجماعية التي تعرض لها اليهود بالتحديد على يد السلطات الألمانية أثناء هيمنة الحزب النازي بقيادة أدولف هتلر. اليهود أنفسهم كانوا يستعملون كلمة شواه (שואה) في الأربعينيات بدلا من هولوكوست وهي كلمة مذكورة في التوراة وتعني الكارثة.

Jon Petrie , The Secular Word "HOLOCAUST" Scholarly Sacralization, Twentieth Century Meanings.

[2] بول بوت (**Pol Pot**) أو سالوث سار (**Saloth Sar**) ١٩ مايو ١٩٢٨ – ١٥ ابريل ١٩٩٨ و الملقب بعدة أسماء أولها بول بوت و بالأخ رقم ١ و **Pol, Pouk, Hay, Grand-Uncle, '٨٧', Phem, '١٩٩'**. قاد بول بوت الحركة الشيوعية والتي كانت مشهورة بالخمير الحمر. تولى منصب رئيس وزراء كمبوديا لفترة ثلاث سنوات من ١٩٧٦–١٩٧٩ و كان الحاكم الفعلي لكمبوديا منذ منتصف العام (١٩٧٥). واشتهر بسياسات مثيرة للجدل قمعية في أغلبها. في العام ١٩٧٩ وبعد اجتياح القوات الفيتنامية، انهارت حكومة الخمير

وقبل أن يفصح عن رؤيته بالتمام، وبعد تلك المقدمات، أكد الدكتور بأن حلبجة أصبحت بمثابة قضاء مع النجف الاشرف والكويت قبل (١١٠) سنة، أي عام(١٨٩٩)، ويمكن القول أنها أكبر مركز قضاء في كردستان ربما بعد زاخو. وأورد رؤيته تلك بدءاً بالإشارة إلى اللحظات الأولى لقصفها من قبل النظام البعثي ففي الساعة (١١،٤٠) صباح يوم (١٦من شهر آذار ١٩٨٧) قُصفت هذه المدينة من الجو بقنابل النابالم المحرمة دولياً[١] فمات من مات، وهرب من هرب خارج البلدة، وهرع بعضهم إلى سراديب شُيّد بعضها لتفادي قصف الطائرات الإيرانية الذي لم يحصل، إذ راح "علي حسن المجيد" الملقب بـ "علي كيماوي"[٢] وبأمر من رئيسه "صدام حسين" بجلب طائرات أخرى لقصف المدينة بالكيماوي ، لكي تنفذ السموم التي هي أثقل وزناً من الهواء، وتنبعث منها رائحة التفاح الطيبة اذ تسهل عملية استنشاق المرء لها ويتقبلها، فيتحول معها الأطفال والنسوة والشيوخ والشباب والمرضى والحيوانات معهم، كل أولئك يتحولون بملابسهم المزركشة إلى أسمال مرمية في السراديب... في الطرقات وأمام مهد صغارهم وهم يرضعون... ويسقط الأب (عمر خاور) وهو يحتضن رضيعه... ويحضرنا شاهد عيان لتلك الفاجعة، بتصوراته الصامتة ودموعه المنهمرة عبر زمن موغل بالألم.. انه.. رزكار كريم من حلبجة.. طالب مواظب.. بشعره الأشقر.. في قسم التاريخ، وكان مؤرخنا قد درّسه فلسفة التاريخ.. غاب أياما على غير عادته، وحين سأل تلميذه رسول وهو من بغداد وزميل مقرب من رزكار، لم يجب على تساؤل أستاذه في بادئ الأمر، بيد أن الدكتور ألّح في تساؤله، فاغرورقت عينا رسول ولمعت قطرة.. اعتقد فيها أن حادثاً قد وقع له.. ألح عليه بالسؤال.. فأجابه وبصوت مخنوق... سيعود رزكار.. فعاد من حلبجة... لقد كبر رزكار عشر سنين... لم يستطع فعل

الحمر و هرب بول بوت إلى منطقة الغابات شمال غرب كمبوديا، ولم يقدم لمحاكمة رسمية لكن جماعة الخمير الحمر قامت باعتقاله، ومات في العام ١٩٩٨ وهو تحت الإقامة الجبرية، حركة الخمير الحمر، مقال في مجلة ألف باء، العدد (٤٥)، بغداد، دت.

[١] النابالم خليط من بنزين و الومنيوم. ويكون هذا المزيج وقودا كثيفا ولاصقا يكفي لصهر الحديد.

[٢] حكم بالإعدام سنة ٢٠٠٨ للجرائم التي اقترفها بحق الشعب العراقي، لا سيما الشعب الكردي فيما عرف بعمليات الأنفال السيئة الصيت، وقد تم تنفيذ الإعدام فجر يوم الاثنين المصادف ٢٥ كانون ثاني ٢٠١٠.

شيء... لم يستطع أن ينقذ أحداً.. أو يسعف أحداً.. لكنه ذهب ليبكي ويدفن موتاه.. عاد مثقلاً بهموم لا تطاق... لم يبث بما حصل لأحد.. حصلت كبرى الجرائم والحرائق دون ضجيج.. دون إعلان.. هكذا إذن يكتب التاريخ ! رزكار تساقط شعره الأشقر... وأمام تلك المحنة.. دعا مؤرخنا تلميذه المفجوع إلى غرفته على انفراد، فانخرط في البكاء.. لم يطل صمته.. مما أصاب أستاذه بالهلع، لا سيما بعد أن أتته مكالمة من أهله في اربيل، مكالمات قال عنها أنها معبّرة برموز وشفرات.. لم يفهمها سوى أستاذه الراحل الدكتور حسين الداقوقي[1] الذي حزن كحزن زميله الدكتور محسن. وقد علم من خلال تلك المكالمة أن الناس تجمعوا في معسكر (كرده جال) في أطراف اربيل طوقتهم مجموعة من رجال الأمن البعثي، لإبادتهم جوعاً وبرداً، إلا أن هؤلاء الناس لم يبالوا بذلك وأرسلوا ـ سراً ـ شاحنات محمّلة بالمواد الغذائية وحليب الأطفال والفرش والأغطية والكسوة والمدافيء والوقود..... الخ .

وبعدما تغيرت الأحوال في العراق الى غيرها... زار الدكتور حلبجة بعد سنين من الالم، لم يتمالك نفسه أمام الحضور إذ صار ينوح أمام صور الفاجعة وأمام النصب التذكاري والمقابر الجماعية، قبور أسرة (حمه رشيد قادر) وزوجته، أولاده : كاروان، محمد كيلاس، ألوان، ودلكه ش وغيرهم، وراح وبصوت واضح يقول : وحلبجة مهما فعلت حكومة الإقليم وحكومة المركز، ستبقى بحاجة إلى المزيد، مشيراً إلى قصورٍ واضحٍ تجاه المدينة، عبرت عنه احتجاجات الأهالي بشتى السبل، فمن الضروري انتشال المدينة المنكوبة من وهدة الفقر بإيجاد فرص العمل لأبنائها المصابين، وأشار إلى أن المؤلم حقاً وما يحز بالنفس أن الإخوة في المدن العراقية الأخرى لم يؤدوا بما عليهم، بل أن الصمت عم الناس إزاء ما حصل، ليس في حلبجة وحدها، بل من مدن وقصبات كردستان من عمليات لا تليق إلا بالغزاة والمحتلين عبر التاريخ، مستهجناً ما أطلقه رأس النظام من تسمية مأخوذة من سورة في القرآن الكريم (عمليات الأنفال)، ومشيراً لعدم السماح لوسائل الإعلام، إعلام العالم بنشر أخبارها، أو حظر وصول صحف عالمية كتبت عن المدينة والعمليات والمجازر، وكذلك منع وصول البث التلفزيوني، لأن ذلك كان ممنوعاً حتى

[1] المرحوم أستاذ التاريخ الإسلامي في كلية التربية / ابن رشد.

ساعة سقوط النظام. إلا أن البث كان مسموحاً لرجال النظام ليتفرجوا على ما تبثه الفضائيات الأخرى من وسائل اللهو والمتعة.

وأمام ذلك، طالب الدكتور حكومة الإقليم وحكومة المركز، عقد علاقة توأمة روحية، إضافة إلى علاقة الوحدة الوطنية بين المدينتين العريقتين اللتين أذاق النظام ألبعثي، أهلهما مر المذاق، النجف وحلبجة، مؤكداً بأن أروع واقرب ما يربط بين هاتين المدينتين من قاسم مشترك أمام الطغاة، هو نقل رفاة (١٨٧) من المؤنفلين الكرد[١]من النجف الاشرف إلى أربيل[٢].

---

١ من ضحايا الأنفال

٢ من أوراق مذكراته.... ص٦٢لا

ـ ما بين اربيل والنجف :

ـ ما أثير من مسألة دفن سلطان أربيل الشهير (الملك مظفر الدين كوكبري) في مقبرة وادي السلام في النجف الاشرف :

من خلال مراجعتنا لمصنفات مؤرخنا العلمية، لا سيما تلك المتعلقة بتاريخ مدينة أربيل، وقفنا على رواية أوردها حول حقيقة ما أشيع من دفن السلطان المشار إليه في تلك المقبرة ـ وادي السلام ـ وقد طالبناه بتوضيح هذه الرواية، فجاء رده مستنداً إلى دلائل وأسانيد حين أكد أن تلك الرواية مؤكدة ومعروفة عند كل قاصٍ ودان، بل ويرى أن من غير الممكن أن يغفل من له إلمام بتاريخ مدينة اربيل تلك المعلومة التاريخية، وبالأخص في مرحلة رقيها إبان حكم هذا السلطان، وهذا ما حدا بـ (م. سترك ـ M.Streck) بان يعلن في دائرة المعارف الإسلامية، أن اربيل بلغت عصرها الذهبي في عهد مظفر الدين كوكبري[١]. وأشار مؤرخنا انه عمد إلى تثبيت تلك المعلومات في رسالته التي نال بموجبها درجة الماجستير سنة (١٩٧٤) عند الصفحة (٢٠٧) اعتماداً على روايات مؤرخي ذلك العصر، وكذا ما دوّنه مؤرخ تراجم رجالات الحضارة الإسلامية شمس الدين أحمد (أبن خلكان الاربلي) في ترجمة سيرة كوكبري (مظفر الدين) ومشاريع البر التي أقامها في اربيل، وتفرده في إحياء المولد النبوي في مهرجانات واحتفالات لم يحصل مثلها في تاريخ العالم الإسلامي كلها. وقد استشهد لبيان رواية دفن الملك كوكبري ، بما أورده ابن خلكان عن وفاة ودفن هذا الرجل بشكل مؤقت في قلعة المدينة العريقة، ريثما يحين موسم الحج، لأن الرجل قد أوصى أن يدفن في تربته التي أعدها لنفسه في جبل عرفات بمكة المكرّمة[٢]. والى ذلك

---

[١] طبعة ١٩٣٣، مادة اربل. مجلد رقم (١)، ص٥٧٠ وانظر : Encyl. Britannica" Irbil" v.١٢,p.٥٣٨

[٢] أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ، ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ج٣، دار صادر – بيروت، ١٩٠٠، ص٢٧٦، وانظر تقي الفاسي المكّي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: ج٧، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٨٦، ص١٠٦؛ ابن العماد الحنبلي (ابو

وفي سياق توضيحه لهذه المسألة أشار مؤرخنا إلى توجه حجاج اربيل إلى الحجاز في موسم الحج في العام التالي (٦٣١هـ/١٢٣٤م) وحملوا معهم الرفاة إلا أنهم لقوا متاعب جمة في رحلتهم لصعوبة الحصول على الماء في الطريق، وتعذر عليهم إكمال مراسيم الفريضة، فعادوا من عند بلدة (لينة) وهي بمثابة آخر منزلة "محطة" في طريق الحجاز، من جهة العراق، ومعهم رفاة سلطان مدينتهم، فحَاروا ماذا يفعلون، وكان الحل هو قرار دفنه بظهر الكوفة (النجف الاشرف الآن) بالقرب من مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ابن عم الرسول (ص) لما لهذه المدينة من مكانة خاصة جداً لدى المسلمين في العالم. والى ذلك يؤكد أن المؤرخين قد أجمعوا على هذه الحقيقة[١].

والى جانب ما كتبه في مجلات وصحف وكراريس، إضافة إلى إجراء مقابلات تلفزيونية وإذاعية، كان آخر ما نشره هو بحثه الموثّق في مجلة (K٢١) الخاصة بنشر الوثائق والثقافة[٢] تحت عنوان ((وفاة ودفن السلطان مظفر ـ رسالة إلى محافظ أربيل المحترم))، طالب فيه كما طالب كل المعنيين في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ووزارة الثقافة، ومديرية الآثار العامة، الى البحث في هذا الخصوص... الخ، معولين على إعادة الحقيقة إلى نصابها.

وحين زيارتي لمدينة أربيل سنة (٢٠٠٨) شاهدت مزارا وسط البلدة القديمة قبالة مبنى المحافظة، وهو ما ينسب خطئاً إلى مظفر الدين كوكبري، وقد طالب مؤرخنا تصحيح هذا الخطأ، ولم يتلق أية استجابة حقيقية من المعنيين، وبذلك فأنه يعتقد أن محاولاته ذهبت أدراج الرياح حتى هذه اللحظة[٣]، فيما يرى أن المزار (المرقد) الذي ينسب إلى السلطان مظفر الدين كوكبري،

الفلاح عبد الحي بن العماد) (ت١٠٨٩ هـ /١٦٧٨ م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الجزء الخامس، دار المسيرة ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩، ص١٤٠.

١ للمزيد ينظر قائمة أصحاب الروايات في كتاب الدكتور محسن " أربيل في العهد الاتابكي، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٦ ص:٢٠٨.

٢ العدد المزدوج (٢ـ٣) صفحة (٣٥٤ـ ٣٦٣)، أصدرها الباحث ممتاز الحيدري في اربيل باللغتين الكردية والعربية عام ٢٠٠٨.

٣ من مذكراته : ص٦٨

ليس له، بل لوالده (زين علي كوجك بن بكتكين)، فهو بالتالي الوحيد من الأسرة البكتكينية الذي مات ودفن في اربيل[1]. ويمضي مؤرخنا مقرراً أن تلك حقيقة مسلم بها، وحسب روايات مؤكدة يعرفها المعنيّون بشأن التاريخ، إلا أنه يضع اللوم على المسؤولين، ممن يصمون آذانهم وكأن الأمر لا يعنيهم . مؤكداً انه لم يطالب يوماً بنقل رفات (مظفر الدين كوكبري) من النجف إلى اربيل، إلا انه طالب وسيطالب بإضافة أسم والده على اللافتة المرفوعة فوق بوابة المرقد التي كتبت عليها "مرقد سلطان مظفر الدين الكوكبري" في الوقت الذي عالج فيه تلك الأخطاء والنواقص التي تضمنتها ألفاظ اللافتة في مبحثه الأخير المذكور، وقد تأسف لحذف عبارة (زوج ربيعة خاتون أخت صلاح الدين) رغم أن اليافطة وضعت في غير مكانها أساسا. ومن ذلك يكون مؤرخنا قد أكد حقيقة دفن شخصية عظيمة وقائد فذ في جيش صلاح الدين الأيوبي، في أشهر مقبرة في العالم الإسلامي قاطبة، مقبرة النجف الاشرف (وادي السلام)[2].

---

[1] ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م) : الكامل في التاريخ، حوادث سنة ٥٦٣. وقد توفي هذا المؤرخ في السنة التي توفي فيها الملك مظفر الدين كوكبري، أي في سنة ٦٣٠هـ /٢٣٣ م.

[2] من أوراق مذكراته الخاصة....... ص٦٩

ـ الشعر والفن والتعلق بهما :

لعل الذي يعيش أو يرقب مترجمنا عن كثب ويتواصل معـه في حياتـه، سـوف يـشعر إلى أي مدى كان يميل إلى العزلة، بل وتراه وقد راح يجـول ببـصره متـأملاً مـا يحـدث مـن حولـه، ولأن الوضع يزداد سوءاً يوماً بعد آخر، فقد أضـفى عليـه هـذا الأمـر حالـة مـن مناجـاة الـروح بـصمت وحذر، حتى أصبحت العزلة لديه بمثابة الترويح عـن الـنفس المعذبـة بجراحـات الآخـرين. لقـد أعتاد مؤرخنا العزلة منذ طفولته ـ كما أعلمني هو بذلك ـ ثم رسخّتها أيـام بغـداد الـتي طالـت، فشجعه ذلك على الاستمرار على تدوين يومياتـه، فهيـأ لـه ألاف الـصفحات مـن المـذكرات منـذ الستينيات والسبعينيات والتسعينيات وحتى هذا اليوم.

١والى ذلك فللدكتور محسن، هوى في قول الشعر وكتابته، فمنذ أكثـر مـن أربعـين عامـاً وهـو يكتب الشعر، وقد علمت أن لديـه أكثـر مـن قـصيدة كتبهـا، لا سيما حـين كـان في ليبيـا اثـر خروجه القسري من بلاده، إذ كتب قصيدة خاطب بها ولده " دلير" بعد إن اسـتحال عليـه سمـاع صوته وقتذاك.

وفضلاً عما أفاض عليه الله تعالى بنعمة خاصية كتابـة القـصص، فقـد وهبـه سـبحانه وتعـالى نعمة أخرى تمثلت بفن الرسم والتي نعتقد أنها نابعة وما سبقها في معظم جوانبهـا، مـن طبيعـة الواقع المعاش الذي كان عليه، وما كان له من انعكاس مؤثر على تفكيره، يضاف إليه اسـتبدادية وسلطوية الحكم مما كان يحول دون إعلان المرء لرأيه. كل ذلـك شـكل في داخلـه تفـاعلاً حيـاً مـع الواقع المعاش دون الإعلان عنه صراحة، بيد أن التنويه عنه كان يجري من خلال القصة والرسـم. وفي هـذا الـسياق، فقـد أَحـب الاسـتماع للموسـيقى، لا سـيما سـيمفونيات بيتهـوفن[١] ومـوزارت[١]

---

[١] لودفيج فان بيتهوفن (١٧٧٠–١٨٢٧م) مؤلف موسيقي ألماني ولد عام ١٧٧٠ م في مدينـة بـون. يعتـبر مـن أبـرز عباقرة الموسيقى في جميع العصور، وأبدع أعمالاً موسيقية خالدة. له الفضل الأعظم في تطوير الموسيقى الكلاسيكية. قدم أول عمل موسيقي وعمره ٨ سنوات.تشمل مؤلفاته للأوركسترا تسـعة سيمفونيات وخمس مقطوعات موسـيقية على البيانو ومقطوعة على الكمان. كما ألّف العديد من المقطوعات الموسيقية كمقدمات للأوبـرا.بـدأ بيتهـوفن يفقـد سمعه في الثلاثينيات من عمره إلا أن ذلك لم يؤثر على إنتاجه الذي ازداد في تلك الفترة وتميز بالإبداع. من أجمـل

وجايكوفسكي[2] وشوبرت فرانز[3] ، فضلاً عن امتلاكه ويمتلك لمكتبة شبه كاملة من الأقراص المرنة (سيديات) ، جلبها معه من سويسرا وألمانيا وهولندا وتركيا[4] بنسخها الأصلية[5]، بل أن ولعه هذا دفعه إلى اقتناء مكتبه متكاملة لتسجيلات كبار الفنانين مثل (رودريكو وشوبرت وفيردى، والمطربة الفرنسية الأشهر (اديث بياف)[6]، وأم كلثوم، وعبد الوهاب، وفريد الاطرش، وعبد الحليم حافظ، وفيروز، وأسمهان إلى جانب تسجيلات لفنانين عراقيين وكرد، مثل داريوش،بلند ارسوى، وفردى (جيوسبي)[7] وتيفور ومن الترك والفرس، مثل ظاهر توفيق وزكريا، ونزاهت بيرام ومخلص أكارصو.. الخ [8].

أعماله السمفونية الخامسة والسادسة والتاسعة. وقد توفي في فيينا عام ١٨٢٧م،حسين فوزي،بيتهوفن،دار المعارف ١٩٨٩ .

١ فولفغانغ أماديوس موزارت (٢٧ يناير ١٧٥٦ – ٥ ديسمبر ١٧٩١) مؤلف موسيقي نمساوي يعد من أشهر المبدعين في تاريخ الموسيقى رغم أن حياته كانت قصيرة، فقد مات عن عمر يناهز الـ(٣٥) عاماً بعد أن نجح في إنتاج(٦٢٦) عمل موسيقي.

٢ جايكوفسكي **Tchaikovsky** (١٨٤٠ ـ ١٩٨٣) موسيقي روسي، له اوبرا وسمفونيات، وباليه ومنها (بحيرة البجع) و(كسارة البندق)

٣ شوبرت فرانز (**Schubert**) (١٧٩٧ ـ ١٨٢٨) مؤلف موسيقي نمساوي، اشتهر بالحانه الكئيبة الفياضة بالوحي الشعبي.

٤ عاد من رحلته في أوائل تشرين أول (أكتوبر) ٢٠٠٩.

٥ الدكتور، مقابلة معه، اربيل ٢٠٠٩

٦ أديث بياف **Piaf** (١٩١٥ ـ ١٩٦٣) مطربة فرنسية أحرزت شهرة كبيرة وأسرت الجماهير بنبرة صوتها المثيرة للمشاعر، وبأداء فنّي قوّي معبّر.

٧ فيردي (**Verdi**) (١٨١٣ ـ ١٩٠١) مؤلف ايطالي عالمي في فن الأوبرا، له ريكو لينو ، عايدة، تميز فنه بالدراما، وبنفحة غنائية قوية.

٨ الدكتور : مقابلة معه، اربيل ٢٠٠٩.

أولاًـ رجل السياسة في نظر الدكتور :

من خلال مطارحتنا لبعض أفكار وتوجهات مؤرخنا ممن راحت تختلج في ذاكرته، وجدنا انه يبدي احتراماً مميزاً للرجال السياسيين الذين يذودون عن حياض الوطن، ويدافعون عن مواطنيهم ولا يسرقون قوت عيشهم بل ويقبلون الآراء والأطروحات ألبناءة المخالفة لآرائهم وطروحاتهم، ولا يعتقدون أنهم على حق دائماً ولا يستهينون بعقول غيرهم، وان كان هذا الغير على باطل، فقد يكون الأمر معكوساً. وباختصار شديد يؤمنون بالديمقراطية وتبادل المواقع والأفكار في لعبة الكراسي والحكم، ولا يصابون بالهلع حين يرون أن الآخرين، أي أندادهم، هم أقوى منهم وان الناس صاروا يعرفون عنهم وعن خفايا أمورهم، ولا يستميتون في حماية كرسيهم حتى الموت " أو يحبون المال حباً جما" إلى حد الهوس ويعتبرون أنفسهم أمناء على الخزينة وهي ليست بخزينتهم كقوله تعالى : " اجعلني على خزائن الأرض، إني حفيظ عليم"[1].

إن جدلية الصراع بين المثقف والسلطة، كما يفهمها مؤرخنا، قد عرفت منذ أن وجد الحكم والتحكم، حين وجدت الفوارق والصراعات بين فئات المجتمع. وحينئذ، احتاج الأقوياء الذين صاروا ينتجون أكثر، إلى من يحمي المنتج والإنتاج، فظهرت أولى بوادر السلطة، لكن ظهر إلى جانب هؤلاء من يرى أن من يحمي هؤلاء لا يحمي الجميع، وانه لا يحمي إلا لقاء ثمن، فوجد أن من واجبه أن يعترض، ومن المجحف أن يسكت ولا يحتج، فظهرت تنظيرات عديدة بهذا الصدد وقد عالج هذا الموضوع بفصل مطول في كتابه " اللامنتمي في التراث الإسلامي " وفي كتابه " رؤية شرقية " كما عالج شيء منه في كتابه "مكيافيللي في الميزان ". وبذلك، فأنه يدعو رجال السياسة في بلادنا إلى ضرورة إدراك أن حكمهم حين يكون شرعياً، وفق دستور وانتخابات غير مزورة فأنهم سيشعرون بالطمأنينة ويتلمسون حب الناس حين يرنون إلى حدقات أعينهم.

---

[1] يوسف /٥٥

ثانياً ـ من رؤاه وتوجهاته العلمية :

لطالما كنت أتودد وأنا استمع للدكتور محسن وهو يلقي علينا محاضراته، أن يكشف لنا عن رؤيته إزاء فلسفة التعليم في مؤسساتنا العلمية والتربوية، وان يفصح، وهو الصريح في كل شيء عن طبيعة العلوم الصرفة ودورها في الحياة، وما قيمة التوازن بين المعارف في خلق مجتمع صحي ؟ فوجدته يؤكد على قيمة العلوم الصرفة ودورها الأساس في دفع عجلة الحياة إلى الأمام بشتى مضامينها ومفاصلها، ولا يعني بذلك أن الإنسان قد توصل إلى معارف أخرى، كوّنها في مدارج تطوره العقلي والفكري عبر مسيرة ممارساته وتجاربه ونجاحاته إلى جانب إخفاقاته، بل أن هذا الإنسان كما يراه، قادر على أن يخلق لنفسه محيطاً يعيش فيه مع أقرانه منذ آلاف السنين[1].

ووفق ما يجده من دور مؤثر لفلسفة التعليم في الدولة وما أقرته من مناهج دراسية، يشعر أن جدلاً ولغطاً يدور بين الناس حول ارجحية ما موجود من تلك المناهج، من خلال إدراكه أن الناس يتجادلون في الوقت الراهن و يتباحثون حول ضرورة إعادة النظر في نظم التعليم السائدة وفي مناهج الدراسة لصالح العلوم البحتة والطبيعية والرياضية والتكنولوجية... الخ، بل ويرى أن هؤلاء الناس على صواب، بناءاً على منطقية نظرتهم المنطلقة من تقديرهم الصحيح لدور هذه العلوم، ولطبيعة العصر الذي وجد فيه المجتمع العراقي نفسه، وعلى فرض انه يتطلع إلى مستقبل أفضل، إلى جانب حرصهم الشديد على اللحاق بركب الحضارة الإنسانية التي تسير عجلتها بخطىً حثيثة وبسرعة مذهلة، بل ولا ترحم من يعيش في الهامش، أو يتشبث بماضٍ مهما كان هذا الماضي عتيداً مشرقاً ، فهو يرى في الماضي المشرق عاملاً مهماً في دفع المجتمع ليكون أمام مسؤولية خطيرة حين يقرأ أبناء هذا المجتمع في كتب التاريخ أن أجداده لم يألوا جهداً في ماضٍ صعبٍ، فلا يعقل أن يرضى بحاضر يجعل نظرته إلى ذاته نظرة دونية، ولا يعقل أن يكونوا متفرجين لما يصنعه الآخرون، فالإنسان العاقل كما يراه مؤرخنا يمكن أن لا يجعل ماضيه ـ على فرض انه ماضٍ مشرف، أداة لعرقلة حركته الراهنة بحجة أن ذلك الماضي يمكن أن يعود! !.

---

[1] الدكتور محسن، من مذكراته، ص٢٩.

وأمام هذا الفهم والرؤى لماهية ما يجب أن تكون عليه حركة المرء في تاريخه الراهن،حاولنا أن نتوصل إلى فهم ما إذا كان يعني بهذا التطلع إلى التقدم (العلمي)، أن نعمد إلى لوي أعنّة فَرسِنا عن المعارف الأخرى، ونكتفي بالعلوم ؟ بمعنى أن لا يتزود الإنسان بزاد يجعله يشعر بقيمته بوصفه إنسان، وألا يغور في دواخله يستطلع كنهها ويهمل شؤون الذات البشرية ولا يبالي بما أبدعه العقل البشري من فنون وآداب بمختلف أجناسه إلى جانب الفنون التشكيلية والسمعية، أو ينسى تأملات عباقرة الفكر في مجال الفلسفة وعلوم المجتمع مضافا إليه دراسة أعماق النفوس ؟[1]

وبعد أن طارحناه تلك الأفكار والرؤى، تبين لنا انه يرى في تطلع الإنسان إلى التقدم المنشود في مجالات العلوم المختلفة، ينبغي ألا يتم على حساب أحاسيسه، فيتحول إلى آلة منتجة فحسب، بان يتمتع برفاهيته في العمل والسكن والملبس والقوت، على الرغم من أن هذه الرفاهيات هي هدف أساسي،فقد كابد الإنسان عبر الدهور كثيراً لتحقيقه، بل وجد من الضروري الالتفات إلى مشاعر هذا الإنسان، فلم يكن عبثاً ما أقدم عليه من عمل حين حوّل كلامه الدارج إلى قصيد معبّر والى غناء يطرب به داخله ويزيد حبّه ((وكرهه أحياناً)) لما حوله، فلا يشعر معها المرء بطعم رقيه وبسعادته إذا لم يسمو بروحه، ومن ذلك وجد من الضروري ألا يغض الطرف من منزلة الثقافة والفنون، كما يتعين ألا توضع مقابل العلوم، وكأنهما يقفان على طرفي نقيض، كندّين لا يلتقيان، فالمجتمعات الراقية تحسب حساب الطرفين، وهي مجتمعات صارت راقية ـ كما يراها مؤرخنا ـ لأنها خلقت توازناً بين طرفي المعادلة، فالطرفان يكملان بعضهما.

ومن الملفت للنظر ان نرى مؤرخنا يبدي رأياً فيه قد لا يتفق معه البعض، حين يقول أن التقدم قد لا يكون في صالح بعض المجتمعات، وعلى المدى البعيد، إذا حاول هذا المجتمع إهمال المشاعر ، وإذا حصل هذا الإهمال، فأن أناساً مرهفي الحس قد تدفعهم مشاعرهم إلى حب العزلة والتقوقع على الذات، ويغدون عاجزين عن المساهمة في صنع الحياة، وقد يصبحون عالة على أنفسهم وعلى مجتمعهم بسبب إهمال مشاعرهم، وكبتها أحياناً ويغدون حيارى مع أحاسيسهم.

---

[1] محسن محمد حسين (الدكتور)، مقابلة معه، أربيل، كانون ثاني ٢٠٠٨.

فهو يرى أن الفنـون والتـأملات تـصقل المـشاعر والأذواق، وتـساعد علـى نـشوء القـدرات العقليـة وتطورها، وتغرس في النفس حب الطبيعـة ومـن فيهـا وتبعـث في الـنفس الثقـة بالـذات والرؤيـة المتفائلة إلى الحياة. وبهذا الصدد استشهد بما قاله عالم الفيزياء الأشهر (ألبرت أينـشتاين)[1] أنـه تعلّم من (دوستويفسكي)[2] الأديب الروسي الشهير كثيراً في حقل الفيزياء والرياضـيات أكثـر ممـا تعلّمه من (اسحق نيوتن)[3] عالم الفيزياء الفذ، مؤكداً أن التفكير العلمي ينطوي دائمـاً علـى عنـصر

---

[1] ألـبرت أينـشتاين (Einstein Albert) (١٤ مـارس ١٨٧٩ – ١٨ أبريـل ١٩٥٥)، عـالم في الفيزيـاء النظرية. ولد في ألمانيا، لأبوين يهوديين، وحصل على الجنسيتين السويسرية والأمريكية. يشتهر آينشتاين بأنـه واضع النظرية النسبية الخاصة والعامة الشهيرتين اللتان حققتا لـه شـهرة إعلاميـة منقطعـة الـنظير بـين جميـع الفيزيائيين، حاز في العام ١٩٢١ على جائزة نوبل في الفيزيـاء. بعـد تأسـيس دولـة إسـرائيل عـرض عليـه تـولي منصب رئيس الدولة في إسرائيل لكنه رفض مفضلا عدم الانخراط في السياسة وقدم عرضـا مـن عـدة نقـاط للتعـايش بين العرب واليهود في فلسطين. والوثيقة التي أرسلها أينـشتاين تـدل أنـه كـان بعيـدا تمامـا عـن معرفـة الأمـور السياسية وتعقيداتها وبعيد عن أي معرفة بالأفكار الصهيونية التي تقوم عليها إسرائيل. للمزيد ينظر : الدكتور عبد الرحمن مرحبا، أينشتين والنظرية النسبية، دار القلم – بيروت – الطبعة الثامنة – شباط ١٩٨١م.

[2] فيودور ميخـائيلوفيتش دوستويفـسكيФёдор Михаилович Достоевский (١١ نـوفمبر ١٨٢١ – ٩ فبراير ١٨٨١) ولد في موسكو وتوفي في سان بطرسبرج، ويعد واحد من أكبر الكتاب الروس ومن أفـضل الكتاب العالميين وأعماله كان لها أثر عميق ودائـم علـى أدب القـرن العـشرين.شخـصياته دائمـاً في أقـصى حـالات اليأس وعلى حافة الهاوية، ورواياته تحوي فهماً عميقاً للنفس البشرية كما تقدم تحليلاً ثاقبـاً للحالـة الـسياسية والاجتماعية والروحية لروسيا إبان ذلك الفترة.

[3] السّير إسحاق نيوتن (Sir Isaac Newton) عالم إنجليزي،أشهر عالم فيزيائي، وفيلسوف ومن أعظـم علماء القرن الثامن عشر في الرياضيات و الفيزيـاء (١٦٤٣ – ١٧٢٧). قـدّم نيـوتن ورقـة علميـة وصـف فيهـا قـوة الجاذبية الكونية ومهد الطريق لعلم الميكانيكا الكلاسيكية عن طريق قوانين الحركة. يشارك نيوتن لايبتنز الحق في تطوير علم الحسبان التفاضلي والمتفرع من الرياضيات. وغيره من القوانين الفلكية وأساليب حلـول مـسائلها ممـا خلد ذكره في تاريخ النهضة العلمية.. للمزيد ينظر : ويـستفال، أر. سـي، حيـاة إسـحق نيـوتن، مطـابع جامعـة كامبريدج، ١٩٩٣.

شعري، بل ويرى أن موسيقى (باخ)[1] تذكره دائماً بالمنطق الرياضي، وهو أمام ذلك يجد استحالة أن يحيا المرء دون الاغتراف من ينابيع العلوم والفنون معاً.

ووجدنا مؤرخنا وفي سياق رؤيته للعلوم الطبيعية، يعرج على ما أشار إليه المؤرخ البريطاني الكبير " ارنولد توينبي" على أن فهم الإنسان لقوانين العلوم الطبيعية وسيطرته من ثم على تلك الطبيعة، يعد اقل أهمية من إثراء الجانب الروحي فيه، معولاً في ترصين ذلك على ما نقوله اليوم من انه لا يعدو أكثر من ترديد لما أعلنه سقراط قبل نحو ألفي وأربعمائة سنة، حين اعرض عن دراسة الكون أو الطبيعة، ليبدأ بالتوغل في أعماق الإنسان، ويبحث عن الطاقة الروحية الكامنة فيها، وهو على الأرجح ما يتفق معه مؤرخنا[2] .

وعلى وفق ما رافقته بوصفه الأستاذ الذي تتلمذتُ عليه أكثر من أي أستاذ آخر، تلمست منه ميلاً نحو إيران وتاريخ الفرس بالتحديد، مع انه ليس على مذهبهم أو قوميتهم، ومع إحساسي المفرط بهذا الأمر، تجرأت حينها مستفسراً عن فحوى انحيازه هذا، ولم اعلم أن هذا المصطلح يسبب له انزعاجاً لأنه حقاً لم يتحيز. فقد امتعض من هذا المصطلح مؤكداً انه لم يفكر قط حتى بلفظ الانحياز فكيف بالمعنى ؟ بل يرى نفسه بأنه مدرس للتاريخ، وله في (منهج البحث التاريخي) مؤلفاً وغيره في (فلسفة التاريخ)، وهذا ما هيأ له بالتأكيد اطلاعاً واسعاً على حقائق أمور غير قليلة، ظاهرها وخفاياها، وتأكد له أن لسكنة بلاد إيران، بقومياتها العديدة، دور مجيد في التاريخ القديم والتاريخ الوسيط " الإسلامي" وهو ما تخصص فيه واطلع على مجرياته بأن تهيأت له رؤية واضحة عما للفرس من أياد بيضاء في خدمة الحضارة الإسلامية، استناداً لتراكم تجاربهم ومعارفهم عبر آلاف السنين ، دون أن تتعرض بلادهم لعوادي الزمن من سلب ونهب إلا نادراً، ووجد أنهم اضطلعوا بدور كبير ومؤثر منذ أيام النبوة مما دفع بالرسول الكريم أن يطلق حديثه " لو تعلقت العلوم بأكناف السماء لنالها قوم من الفرس "، ويؤكد مؤرخنا ان هذا

---

[1] يوهان سباستيان باخ (Bach Johann Sebastian) عازف أورغان ومؤلف موسيقي ألماني ولد في سنة (١٦٨٥) ورحل في(١٧٥٠) ميلادية يعد أحد أكبر عباقرة الموسيقى الكلاسيكية في التاريخ الغربي.

[2] مذكراته...، ص٣١.

الحديث اعتمده المؤرخ والمفكر العربي ″ ابن خلدون ″، مدخلاً لدى كلامه عن دور العلماء الفرس ″ العجم ″ في خدمة أصناف العلوم والفنون (أدب وموسيقى ورسم).

والى ذلك، يبدو أن إعجاب مؤرخنا وانحيازه لتاريخ الفرس - إن جاز التعبير - دفعه إلى الالتفات والوقوف على طبيعة السياسة اليومية لحكام إيران تجاه الأكراد والأقوام الأخرى، وهي سياسة يراها مؤرخنا غير حكيمة بشكل عام، بل أنها تلونت وفق الأزمنة وسياقاتها المتباينة عبر التاريخ[١]. وعلى العموم، فهو يرى أن الفرس اختاروا المذهب الشيعي إبان العهد ألصفوي بالدرجة الأولى لأسباب عديدة، ومع ذلك فهو يؤكد انضمام صفوفهم إلى ألأصوات المعارضة للحكم الأموي العنصري ومن ثم العباسي قبل أن يختاروا مذهباً إسلاميا ما، بل ووجدناه يتمنى لو كان للكرد إسهاما يقارب إسهام الفرس، اذ يتحدث عنه مفكر مؤرخ فقيه يعيش بعيداً عن المشرق وعن بلاد فارس ويعني بذلك المؤرخ الفقيه ″أبن خلدون″ قاضي قضاة المذهب المالكي المنتشر في بلاد مصر وشمالي أفريقيا. فالدكتور يجرد ابن خلدون وهو العربي الحضرمي التونسي، من أي تحيز نحو الفرس، لعدم وجود مصلحة تربطه بذلك، معولاً في ذلك على كلام هذا المؤرخ بهذا الشأن في فصلٍ ورد في كتابه بعنوان ″حملة العلم في الإسلام أكثرهم من العجم ″ حين حدد البقعة الجغرافية لبلادهم من خلال قوله ″ ما دامت الحضارة في العجم وببلاد من العراق وخراسان وما وراء النهر″[٢]. وفي ذلك، تأكيد من مؤرخنا بأن هؤلاء الفرس صاروا يعتزون بحضارة أجدادهم، كما صاروا يتباهون بأنفسهم، ويتفاخرون بتراثهم الثقافي والمادي ″ العمران ″ وتفوقهم على غيرهم من الأجناس التي دخلت الإسلام. على أن مؤرخنا جعل من هذه الخاصية التي التصق بها الفرس من التفاخر والتباهي، سبباً لرفضهم من قبل الأمويين ومن ثم العباسيين والكتاب والشعراء التابعون لهم. وبسبب هذا الرفض ″ العربي ″ أطلقوا عليهم صفة ″الشعوبية ″ لأن الفرس أطلقوا على أنفسهم صفة ″شعوب″، واعتبروا العرب ″قبائل ″ حسب الآية الكريمة : بسم

---

[١] المصدر نفسه، ص٣٢.

[٢] ابن خلدون، المقدمة، ط دار الكتاب اللبناني -بيروت - ط٢. ص١٠٥١ ؛ وللمزيد عن دور الفرس والموالي - كما سماهم العرب - ، ولا سيما في مجال الفقه الإسلامي والشرع، أنظر : عبد ربه الأندلسي : العقد الفريد، طبعة دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٦، ج٢، ص٥٤٥.

الله الرحمن الرحيم " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم"[1] ". ويؤكد مؤرخنا، أن ابن خلدون لم يكن شيعياً حين أشاد بدور الفرس وغيرهم من غير العرب، وهذه إشارة بان الفرس وبقية شعوب إيران، يستحقون الاحترام والإعجاب حسبما يذهب إليه[2].

ثالثاً ـ الدكتور محسن شاعراً وفناناً :

أما عشقه الموسيقى، فليس لدى مؤرخنا سوى الدندنة لبعض الأبيات الجميلة دون أن يعمد إلى تسجيلها أو تدوينها، لجهله فن كتابة النوتات الموسيقية. وفي هذا السياق من حديثه عن الفنون وعشقه لها، وجدناه يزداد ولعاً بقراءة الشعر في أيام الغربة ومعاناتها، فكانت الرمزية في الشعر إلى جانب رموزه في الرسم، كما في الوشم على الرسخ واعوجاج الفم واضطراب الأرقام وعقارب الساعة، على عكس المعهود، تعبّير عن حزنه وألمه الشديد كما رسم لوحة، أنكر رحيل والدته المبكر، وقال في ذلك الشعر أيضا، وكذا الحال في رحيل ابن أخيه الوحيد (آرام) في (١٠/٧/ ١٩٨٥) في حادث مفجع حين عبّر عن أحزانه بلوحة متأثراً بالرسام الدادي[3] الشهير الاسباني (سلفادور دالي)[4].

---

[1] الحجرات / ١٣.

[2] من أوراقه الخاصة، ص٣٣.

[3] سلفادور دالي (١١ مايو ١٩٠٤ – ٢٣ يناير ١٩٨٩) (**Salvador Dalí**) فنان إسباني كاتالاني. يعد دالي من أشهر رسامي القرن العشرين. كرسام بارع، يعرف أكثر لأعماله السريالية المميّزة بصورها الغريبة الشبيهة بالأحلام. مهاراته التصويرية تكون منسوبة في أغلب الأحيان إلى تأثير سادة عصر النهضة، ووجد ذوقه الخاص حوالي عام ١٩٢٩ وتأثر بالنظريات الفيزيائية في عصره اذ نجد الساعات المنصهرة المرتخية علامة على نسبية الزمن، والزرافات المشتعلة. أكمل عمله الأشهر (إصرار الذاكرة) في عام ١٩٣١. بالإضافة إلى الرسم، تضمّنت ذخيرته الفنية الأفلام، والنحت، واحتلت زوجته (جالا) مكانا كبيرا في حياته وأدخلها كعنصر أساسي في كثير من لوحاته. كما عمل في فيلم الرسوم المتحركة (القصير) الفائز بجائزة أكاديمية وهو دزتينو (**Destino**)، والذي فيه تعاون مع والت ديزني؛ وتم إصداره أخيراً في سنة ٢٠٠٣.

[4] جمال هاشم : الرؤية التشكيلية، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، المطبعة الشرقية.

أما في مجال النقد الأدبي، فقد كان لمؤرخنا ميل في ذلك وان لم يـرق لـمستوى طموحـه، إذ نـشر في هذا المجال مقالين عن أدب الروائي المصري (نجيب محفوظ) الذي نال جائزة نوبل للآداب سـنة ١٩٨٨، أحدهما تحت عنوان ″ ترنيمة اليأس والرجـاء في روايـة الطريـق ″ والأخـرى في ″ رحلـة صابر بين الحضيض والقمة ـ ملاحظات على آراء الناقد رجاء النقاش ″[1].

[1] من أوراق مذكراته........ص٤٢

قراءة في نماذج من آثاره :

في هذا المبحث عمدنا لنماذج من مؤلفات الدكتور، لأن دراستها بمجملها والتعرف إلى منهجية كتابتها، يعد أمر غير ميسر،إذ سيأخذ مجالاً ووقتاً أوسع. ومن ذلك، ارتأينا التوقف عند بعض تلك الآثار، لتكون أنموذجاً لدراستنا في مؤلفاته وكما يلي :-

أولاً - في كتابه : الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين الأيوبي، تركيبه، تنظيمه، أسلحته، بحريته وابرز المعارك التي خاضها :-

أدرك الدكتور ومنذ الوهلة الأولى من رحلته في التآليف المتعة والمضنية في آن واحد، ما يعتور التاريخ العسكري من تراجع في التدوين، قياساً وما حظيت به جوانب التاريخ الإسلامي الأخرى من اهتمام من لدن الباحثين والمؤرخين، لا سيما التاريخ السياسي والفكري منه. وقد أكد هذا الأمر، بوصفه سبباً دفعه للتمحور في أكثر من كتاب حول شخصية القائد صلاح الدين الأيوبي. ولعل كتابه " الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين الأيوبي " يعد أهم ما تناوله عن هذا القائد وجيشه، إذ جاء قسم الكتاب الأول منه مخصصاً للحديث عن المؤسسات العسكرية لهذا الجيش، فتصدى في الفصل الأول من هذا القسم إلى بيان ظروف انتهاء الدولة الفاطمية وبروز الجيش الأيوبي، معولاً في إعطاء صورة واضحة لطبيعة الترابط العضوي بين وقائع سقوط تلك الدولة وبروز هذا الجيش، من خلال الحديث عن أوضاع مصر الفاطمية في الثلث الثاني من القرن السادس الهجري الموافق القرن الثاني عشر الميلادي، حين كشف عن الفوضى الضاربة أطنابها التي شهدتها مصر إبان تلك المرحلة، وكأنه يشير إلى بروز حاجة ماسة وقتذاك لقوة تفعل فعلتها وسط تلك التداعيات الملازمة لتدهور حال الدولة الفاطمية، وكان بروز جيش صلاح الدين، بمثابة سد لذلك الفراغ. وهو ما هيأ لمؤرخنا مجال الحديث عن أول حملة لنور الدين محمود على مصر سنة (٥٥٩هـ) بعد أن تمزقت البلاد من جراء مؤامرات الوزراء وقتل وزير ومجيء آخر محله في حكم الدولة الفاطمية، وما نتج عن ذلك من تسلط الوزارة على البلاد[١].

---

[١] الجيش الأيوبي، ص٣٥.

ولبيان استمرارية الصراع السياسي والعسكري في تلك المنطقة بسبب ما كان يحصل من تداعيات للدولة الفاطمية، نوه مؤرخنا بالحملة الثانية لـ "نور الدين" والتي جاءت بعد ثلاث سنوات من الحملة الأولى. وفيها كشف عن حقيقة الدوافع الكامنة وراء تلك الحملة، مع الإشارة لمشاركة "صلاح الدين" الواضحة في تلك الحملات العسكرية، وكأنه يمهد للقارئ إدراك البناء القيادي لتلك الشخصية بالإفصاح عن مشاركاته الفعلية في تلك العمليات، والتي كانت بمثابة تركيز واضح للملامح (الكاريزمية) في شخصية صلاح الدين الأيوبي، مشيراً إلى أن تلك الملامح تفاعلت في شخصيته، حين تسلم من قبل الخليفة الفاطمي الأخير" العاضد " منصب الوزارة وقائد الجيش الفاطمي، إذ ما لبث بعد ثلاث سنوات أن يتم الإعلان عن إلغاء الخلافة الفاطمية، ويستقل صلاح الدين بحكم مصر[1].

والى ذلك، تحدث وفي سياق عرضه لسيرة صلاح الدين العسكرية، عن طبيعة الفرقة النورية التي أُرسلت إلى مصر، مع التلميح لعلاقة صلاح الدين بها وكيفية وصوله لمركز القيادة بعد وفاة عمه وزير الخليفة الفاطمي "أسد الدين شيركو"[2]، منوهاً بالمشتركين في تلك الفرقة من الكرد والتركمان والعرب، ومشيراً بالمقابل إلى عناصر الجيش الفاطمي، محاولة منه لإبراز مقدار ما أوجده صلاح الدين من تغيرات في طبيعة وتركيبة جيش مصر، إذ أشار إلى المغاربة (البربر)[3]، فتحدث عن نسبهم وعن جذورهم التاريخية وكيفية دخولهم الجيش المصري إلى جانب بيانه الآلية التي تمكن فيها صلاح الدين من القضاء على هذه القوات. وتحدث فضلاً عن ذلك، عن الجند

---

١ المصدر نفسه : ص٤٣

٢ المصدر نفسه، ص٤٣

٣ والبربر في العربية كلمة منقولة عن الجذر اللاتيني الإغريقي باربار (**Barbar**) وهي كلمة استعملها اللاتينيون لوصف كل الشعوب التي لا تتكلم اللاتينية أو الإغريقية اعتقادا منهم بتفوق الحضارة اليونانية والرومانية على كل الحضارات، كما كان يسمي الهنود غيرهم "مليج" ويسمي العرب غير المتكلمين بالعربية بالعجم. ويجدر الذكر أن لقب البربر أطلقه الرومان أيضا على القبائل الجرمانية والإنكليزية المتمردة عليهم أيضا وليس فقط على القبائل الأمازيغية. ينظر : أحمد بن نعمان: فرنسا والأطروحات البربرية ـ دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع ـ طبعة ثانية، الجزائر ١٩٩٧.

(الزنوج)[1] وهم من السودان (العبيد)، مؤكداً على قدم استخدام هذه الجماعة في الجيش المصري والذي يرقى حسبما يشير الدكتور إلى العهد الإخشيدي كجنود مرتزقة، واستمرار وجودهم حتى العهد الفاطمي، مشيراً إلى أن استقدامهم كان يجري عن طريق الشراء أو الغزو، مفصحاً عما تسبب من جراء وجود هؤلاء من اضطراب وفتن ، لا سيما وان عددهم كان كبيراً في الجيش الفاطمي، إذ تمكن صلاح الدين من القضاء عليهم.أما العرب في الجيش الفاطمي، فيبدو أن مؤرخنا لم يلمس أي ثقة متبادلة بين الخلفاء الفاطميين، وبين المصريين حين وجد أن أكثرية العرب كانوا من خارج مصر بما فيهم بدو الحجاز، أما الجنس الآخر من تشكيلات الجيش الفاطمي، فكانوا من الأتراك إذ تحدث عن مرجعيتهم وعن الآلية التي وصلوا بها إلى جيش الخلافة المصرية، وبالتالي عمد إلى بيان استهتارهم بالسلطة واستخدام قوتهم في تحقيق مطالبهم، مما أدخلهم في صراع مع المغاربة ومن بعدهم الزنوج ((السودان)). ووجد أن استفحال قوة الأتراك وزيادة تعاليهم كان سبباً في استنجاد الخليفة الفاطمي بوالي الأرمن في عكا على هؤلاء الأتراك، ووجد أن ذلك كان غلطة أخرى ترتب عليها ضعف الخلفاء الفاطميين أكثر عن ذي قبل، وعدم قدرتهم على حماية أمن بلادهم، الأمر الذي دفع بهم إلى الاستنجاد بغير أبناء جلدتهم[2]. وهذا بالتأكيد ما شخصه ابن خلدون حين ذكر أن من علامات ضعف الدولة، استنجاد رأس السلطة بمرتزقة لإدامة حكمه، ومع أن الحكم وتحت هذه المظلة، زائل فأن عوامل سقوط الدولة فاعلة بأسباب داخلية وهي تمهد لهذا السقوط قطعاً.

---

[1] يقصد الجغرافيون بالزنوج،الأقوام التي تقع مناطقها في الأجزاء الشرقية من أفريقيا حول خط الاستواء وما خلفه، وهي المناطق التي يصطلح عليها بالزنج أو سُفالة، وأحياناً سفالة الزنج، وفيها يقع بحر الزنج الذي يفصل بين البر الإفريقي وجزر القُمر ويعتقدون أن أفريقيا تنتهي هناك، وان كان بعضهم يلمح إلى أقوام مجهولة تتردد أخبارها في أوساط بلاد السودان الواقعة إلى الشمال، وهي أخبار مشوبة بالمبالغات والأحكام السريعة التي غالباً ما يكون مبعثها الجهل، يراجع : شربل داغر، انطولوجيا الشعر الزنجي الأفريقي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٨.

[2] انظر المصدر نفسه : ص٥٣

أما عن تشكيلة الجيش الفاطمي، فقد أشار الدكتور محسن إلى عناصر أخرى أسهمت في هذا التشكيل كما في عناصر الأرمن مثنياً على فاعليتهم في عديد الجيش الفاطمي. وكذا الحال بالنسبة للكرد، إذ تم إشراكهم فيه لكن لم يكن يحسب له ذلك الحساب.

وحين تطرق لحجم الجيش الفاطمي، أشار إلى ما أورده المقريزي من روايات تشير إلى هذا المعنى، ومع ذلك فانه لم يغفل الإشارة إلى الظروف التي أدت إلى تناقص عديد هذا الجيش مستفيداً مما ورد من رواية لناصر خسرو قبادي وابن مماتي، وما أشاروا إليه من الظروف التي أدت إلى ذلك. وشيئا فشيئاً يقف الدكتور على أسباب تداعيات الدولة الفاطمية وما أدى إلى تدهورها من خلال تطرقه إلى ما حصل من اضطراب لأوضاع مصر وما وقعت من تصفية للجيش الفاطمي، لا سيما بعد معركة (البابين) وما أسفر عنه من توعد للقضاء على قادة الجيش الفاطمي الذي صار يتواطأ مع الأعداء الخارجين[1]. وتأمل الدكتور تلك الروايات وما أوردته من أنباء عن تصفية لقادة الجيش الفاطمي، حين أفادت بأن الخليفة الفاطمي "العاضد" قد ساند صلاح الدين بكل ما أوتي للوقوف بوجه الصليبيين، مبيناً الطريقة التي اتبعها الأيوبي في القضاء على هؤلاء القادة[2].

ولأن التاريخ، عبارة عن سلسلة من الحلقات تفضي بعضها إلى بعض، فقد استكمل مؤرخنا الحديث عن تداعيات الجيش الفاطمي وهزيمته أمام جيوش صلاح الدين، ليأت من ثم وكحلقة متممة لموضوعة دراسته إلى الحديث عن تأسيس هذا القائد لجيش خاص به، متناولاً البدايات ومستقرئا الجذور التاريخية لهذا التكوين، معولاً على ما أورده (ابن إياس) في كتابه (بدائع الزهور) لا سيما ما ورد عن التخلص من القوات المنتمية لأصول مختلفة[3]. ومنوهاً بما أورده أمين الخولي في كتابه " الجندية والسلم " من تشكيل صلاح الدين لجيش خاص من الأكراد، وما

---

[1] المصدر نفسه : ص٥٧

[2] المصدر نفسه : ص٦١

[3] المصدر نفسه : ص٦٣

أشارت إليه الروايات أيضا من ضم قوات من العرب (البدو) ومن المغاربة والذين كانوا يديرون شؤون الحمامات الخاصة بالجيش الأيوبي[1].

وبعد هذا التقديم للتشكيلة، عمد مؤرخنا إلى بيان حجم هذا الجيش ليقف واستناداً لذلك على مستوى أدائه القتالي والتعرف لمراحل تطوره، معولاً على ما أورده المقريزي نقلاً عن القاضي الفاضل كبير مستشاري صلاح الدين بما أشار إليه من تشكيلات الجيش والحملات التي قادها ضد الصليبيين إلى جانب بيانه العناصر التي أشركها في تلك الحملات[2].

أما في فصل الكتاب الثاني، فقد تطرق إلى بيان طبيعة تنظيمات الجيش الأيوبي متحدثاً عن مدينة دمشق بوصفها مركز تجمع الجيش الأيوبي، على فرض أن بلاد الشام أصبحت مركزاً للمقاومة الإسلامية ضد الصليبيين وبذلك فهو يجعل من هذه المدينة محوراً رئيساً لبناء هذا الجيش. ومن أجل إبراز جهود الأيوبي للمحافظة على تشكيلة الجيش واستمرار عطائهم، أفصح عن مضمون ديوان الجند وما شكله من ثقل واضح في حياة هذه المؤسسة والتي هي مشابهة لعمل وزارة الدفاع إزاء الجيش. وتناول أيضا وفي هذا السياق ما كان الجند يرتدونه من الزي، معولاً على ما أورده القلقشندي من حديث مسهب عن مظاهر الجيش في مصر ومنوهاً بما أحدثه الأيوبي من تغيرات في طبيعة زي جيشه[3].

وتحدث عن تموين الجيش مستفيداً مما أورده العماد الكاتب وأبن شداد، وكذا الحال في حديثه عن الإقطاع العسكري حين لم يجد اختلافاً كبيراً في نظم صلاح الدين عما كانت عليه في زمن نور الدين محمود لتداخل الدولتين. ومع ذلك فقد أشار إلى أن النظام الإقطاعي، أي إقطاع الأرض للقادة العسكر في زمن صلاح الدين، اختلف عما كان عليه في السابق في بعض الأمور ، لاختلاف البيئة الاقتصادية والسياسية. وبغية توضيح هذا الأمر أستوضح طبيعة الإقطاع في

[1] المصدر نفسه : ص٦٥

[2] المصدر نفسه : ص٧٣

[3] المصدر نفسه، ص٧٨

عهد صلاح الدين، مشيراً إلى امتلاكه لنصوص معاصرة توضح ما كان يعنيه النظام الإقطاعي ألنوري ومن ثم الأيوبي[1].

أما التعبئة العسكرية فقد أشار إلى معناها مستعرضاً ابرز نظمها بما فيها نظام التخميس والحلقة الخاصة والمماليك السلطانية. وحين تحدث عن الاطلاب وأصناف الجيش حسب سلاح كل صنف، ذكر اصنافها بما فيها صنف الفرسان (الخيالة) وصنف المشاة (الرجالة).

أما في حديثه عن المتطوعين في الجيش الأيوبي، فكان يعني بهم من تطوع حباً في الجهاد في سبيل الإسلام. محدداً واجباتهم التي أكد أنها تختلف عن الجند، و مثبتاً انتماءاتهم الاجتماعية في المجتمع الإسلامي[2].

والى جانب ذلك، تحدث عن الفرق الملحقة بالجيش مثل الفرقة الهندسية والفرقة الطبية وفرقة الموسيقى العسكرية فضلاً عن حملة أعلام الجيش. وهو بذلك يبتغي الإشارة إلى الحالة المتكاملة للجيش الأيوبي إذ لم تقتصر التشكيلات على الفرق القتالية، بقدر ما ضمت إلى جانب ذلك الفرق المساندة لتلك القتالية، وهو ما تمتاز به الجيوش المقتدرة[3] .

أما فصل الكتاب الثالث، والذي جاء تحت عنوان "مؤسسات مساعدة في تنظيم الجيش وإدارة شؤون القتال والسلم والأسرى"، ففيه حديث مركّز عن جل الخدمات التي أُقرت لإدامة عطاء تلك المؤسسة العسكرية . فتطرق الى (البريد والاستخبارات) لارتباطهما بأواصر عمل مباشرة، مشيراً إلى ما كان عليه البريد من تنظيم، بما فيه سعاة البريد وآلية اختيارهم وعملهم، معولاً على ما أورده (الأوسي الأنصاري) في كتابه " تفريج الكروب في تدبير الحروب "، فيما تحدث عن اليزك أو " فرقة الاستكشاف " مؤكداً على المعنى الفارسي لتلك الكلمة. ومنوهاً بالمهام المناطة بأتباع تلك

[1] المصدر نفسه : ص٨٣

[2] المصدر نفسه : ص١٨٢

[3] المصدر نفسه : ص١٨٦

الفرقة إلى جانب بيانه التطور التاريخي الذي أصاب مهام هذه الفرقة حتى وصل إلى تنظيم حربي يدافع عن قواعد الجيش الأيوبي[1].

وعن "حمام البريد" وهو جزء مهم من تشكيلات بريد الجيش الأيوبي، عمد الدكتور إلى بيان تلك الوسيلة من الاتصال لأهميتها إبان العصور الوسطى، مستفيداً مما أورده القاضي الفاضل ونقل عنه أبو شامة كتابه (الروضتين) عن هذه الوسيلة. وأشار إلى طبيعة هذا الحمام والمواصفات التي امتاز بها إذ جعلت من استخدامه وسيلة اتصال ناجحة، معلقاً على الطرق التي اتخذها أرباب البريد لضمان وصول الرسائل عن طريق الجو باستخدام الحمام، إلى جانب بيانه الآلية التي اتبعها الجيش في اعتماده هذه الوسيلة للاتصالات بقطعاته المتباعدة[2].

وتناول بالحديث "الكمائن" على فرض أنها ألأساس الذي بنى عليه الجيش الأيوبي، نشاطه بعد حصار عكا من قبل الصليبيين. فأشار الى مواصفات الكمائن كما أوردها "الأوسي" المذكور، ومنوهاً بأبرز حوادث وضع الكمائن التي أرسلها صلاح الدين، معتمداً هذه المرة على ما أورده ابن شداد في كتابه " النوادر"[3] .

أما المحور الثاني من حديثه عن تنظيمات الجيش الأيوبي، فكان إدارة شؤون القتال والسلم والأسرى تناول مجلس حرب جيش صلاح الدين، بإشارة إلى الصفة القيادية التي امتاز بها صلاح الدين حين جعل له مستشارين ومعاونين لإبداء الرأي، مشيراً إلى تواريخ عقد اجتماعات هذا المجلس ومنوهاً بأبرزها، تلك التي عقدت عند أسوار مدينة صور العاصية، والأخرى التي سبقت عقد الصلح بين المسلمين والصليبيين ومغادرة ريتشارد قلب الأسد أرض فلسطين[4] .

والى جانب ذلك، أشار الدكتور إلى طبيعة الخطط التي وضعها صلاح الدين لمسيرة جيشه فضلاً عن بيانه الأساليب القتالية التي لجأ إليها والتي جاءت متناسقة وظرف الزمان والمكان المتعلق

---

[1] المصدر نفسه : ص١١٥

[2] المصدر نفسه :ص١٢٨

[3] المصدر نفسه : ص١٢٣

[4] المصدر نفسه : ص١٣٨

بالمعركة لا سيما تلك المتعلقة بفرضه آلية لأضعاف قوة الصليبيين التجارية وما نتج عن تلك السياسة من إنهاك لقواهم وهبوط معنويات جندهم[1].

وبغية بيانه التخطيط الأمثل واختيار الوقت الملائم لشن جيش صلاح الدين لهجماته، تطرق لموضوعة موسم القتال، مفصلاً القول عن تلك المعارك التي خاضها هذا الجيش ضد الصليبيين، ومنوهاً بأدائها وأوقات خروجها للمواجهة، وآلية رفع معنويات الجند واستخلاص النصر في تلك الهجمات. والى ذلك وفي سياق حديثه عن خوض المعارك مع الصليبيين، أشار إلى ما حصل من تباين ملحوظ في طريقة التعامل مع الأسرى ولا سيما في عهدي نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي، محدداً أسباب ذلك في اختلاف أساليب التعامل لعدم وجود قواعد متفق عليها بين المسلمين ومن يحاربونهم. ومن ذلك بقي الأسرى تحت رحمة الجانب الآسر، يتصرف بمصيرهم كيفما يشاء، مثل البيع أو الاستغلال أو القتل. وقد أسهب مؤرخنا في بيان أهم المعارك التي حصل فيها الأسر، مع التنويه بالحالات اللاانسانية في التعامل مع كلا الطرفين، المسلمين والصليبيين، مستشهداً على ذلك بروايات تؤكد حرق كل طرف لأسير من الطرف الأخر، مستفيداً مما أورده ابن شداد والعماد الكاتب في كتابيهما " النوادر والفتح القسي"، إلى جانب إشارته إلى الحالات التي تمت فيها تبادل الأسرى بين الطرفين[2].

وجرياً على التسلسل في تناول مفردات موضوعات كتابه، وجد أن إبرام المعاهدات يأتي عادة بعد أن يشعر المتحاربون بأن الحرب أصبحت أشد وطأة عليهم، وهذا بالتأكيد بداية لتضع الحرب أوزارها، فجاء لهذا الموضوع بعنوان " المعاهدات بين صلاح الدين والصليبيين " متحدثاً عن "صلح الرملة" الذي تم التوقيع عليه بسبب الضغوط السياسية والاقتصادية والعسكرية، حين استقر صلاح الدين في بلاد الشام مما نتج عنه توقف للقتال، على الرغم من أن عدداً من المعاهدات أُبرمت دون أن تؤدي إلى توقفه. و في هذا السياق تحدث عن تفاصيل تلك الهدنة والأسباب التي أدت إليها وما نتج عنها من ظروف. ومع ذلك تخللت تلك الفترة معارك بين

[1] المصدر نفسه : ص١٣٣

[2] المصدر نفسه : ص١٤٠.

الطرفين إشارة إلى أن تلك المعاهدة لم تسهم إسهاما فاعلاً في إنهاء حالة الحرب بين الطرفين. ومع ذلك تطرق إلى الهدنة الثانية مع إنطاكية (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)، مشيراً إلى الظروف التي دعت إليها وآلية عقدها وموقف صلاح الدين منها. وتناول أيضا "معاهدة الرملة (٥٨٧هـ/١١٩١م) المذكورة، إذ تأتي أهميتها بوصفها آخر معاهدة صلح عقدت بين الطرفين، وان الملك الانكليزي "ريتشارد قلب الأسد" يكون قد غادر القدس عقب إبرامها. والى ذلك أشار إلى بنود المعاهدة ونتائجها. ولعل أهم ما أشار إليه هو المغازلة السياسية الحاصلة أحيانا بين صلاح الدين والملك ريتشارد، ومناورات بعضهم للبعض في أحيان أخرى. على انه لم يغفل الإشارة إلى الأسباب التي دفعت صلاح الدين لتوقيع تلك المعاهدة، والتي فارق الحياة بعدها بستة أشهر[١].

وفي فصل الكتاب الرابع، تطرق إلى بيان معالم أسلحة الجيش الأيوبي، فجاء بمدخل، عرج فيه إلى الكشف عن مسوغات الاهتمام ببيان ما كان عليه جيش صلاح الدين من استخدام لنوعية السلاح، لأن ذلك في تقديره يوضح مستوى تقنية السلاح مما يعكس ما كان عليه العصر من مستوى إبداع وتحضّر. فتحدث عن خزانة السلاح و صناعة الأسلحة معولا على ما أورده ابن "مماتي" في كتابه " قوانين الدواوين " وكذا الحال لما أورده القلقشندى في كتابه "صبح الأعشى"، والى بعض المخطوطات النادرة التي حصل عليها من بريطانيا (أكسفورد). فأشار إلى أسماء الأسلحة وأنواعها وآلية صنعها على الرغم من ندرة المعلومات عنها[٢].

والى ذلك عمد الى الحديث عن أنواع الأسلحة وتقسيمها إلى أصناف عديدة، بما فيها الأسلحة الفردية والأسلحة الثقيلة وأسلحة وقاية الجسم والمثلثات والعجلات، مفصلاً القول في أجزائها[٣]. وحين عرج على موضوعة البحرية الأيوبية، تحدث عنها في فصل الكتاب الخامس من خلال إطلالة على جملة ما قام به صلاح الدين من إصلاحات في مجال البحرية، بالاخص ما يتعلق بملكية الدولة المصرية للغابات وتأسيسه لديوان خاص بالأسطول وبرفع المستوى المعاشي

---

[١] المصدر نفسه : ص١٥٣ وما بعدها.

[٢] المصدر نفسه : ص١٦٥

[٣] المصدر نفسه : ص١٦٦ وما بعد

لرجال البحرية والعاملين بصناعة السفن وغير ذلك من الإصلاحات. وبغية الكشف الدقيق عن ماهية ما من شأنه تنمية تلك المؤسسة الهامة في حياة الجيش الأيوبي[1]، توقف عند إشارات وردت، تتحدث عن أنواع المراكب في البحرية وكيفية صناعتها وطبيعة عملها وما تؤديه من واجبات، مشيراً إلى أنواعها بما فيه أسمائها ومعداتها، إلى جانب الحديث عن نشاط البحرية مؤكداً على ثلاث مراحل وضعها ليوضح فيها مراحل التطور الذي مرت بها تلك البحرية بما فيها مرحلة التمهيد ومرحلة قوة الأسطول الأيوبي في مصر فضلاً عن مرحلة ما بعد حطين إلى صلح الرملة (٥٨٣ - ١١٨٧/٥٨٨-١١٩٢م) [2].

وبعد استكمال بيان ملامح الجيش الأيوبي، راح مؤرخنا وضمن فصل كتابه السادس، يفصل القول في أبرز ما خاضه هذا الجيش من معارك متحدثاً عن معارك الأسوار، مبتدءاً الحديث عن حصار الإسكندرية وملابسات الاعتداء الذي كان مخططاً له من قبل الصقليين بالتعاون مع أنصار الفاطميين، ممثلاً بالشاعر المعروف "عمارة اليمني" [3]. وكذا الحال في حديثه عن معركة حصار الكرك المتكرر بعد وقوعها بأيدي الصليبيين، مشيراً إلى الآلية التي اتبعها صلاح الدين في استرجاع تلك المدينة المهمة سنة (٥٨٤هـ / ١١٨٨م) لأهميتها الإستراتيجية عند صلاح الدين[4]. وتحدث عن معركة "حصار بيت الأحزان" ، الذي تحصن فيه الصليبيون منوهاً بالطريقة القتالية التي اتبعها صلاح الدين في استرجاع هذا الحصن. ولم يغفل الإشارة إلى ما شهدته عكا من حصار الجيش الأيوبي لها بعد أن كانت بأيدي الصليبيين، وما أبداه هذا الجيش من قتال انتهى إلى تسليم "جوسلين " القائد الصليبي لهذه المدينة، للجيش الأيوبي الزاحف عليها. والى ذلك تحدث

---

[1] المصدر نفسه : ص٢١٠

[2] المصدر نفسه، ص٢١٣

[3] وُلد الشاعر العربي الفقيه نجم الدين عمارة اليمني في مرطان باليمن سنة ٥٣١ هـ، وتنقل بين اليمن ومكة ومصر، كان على جانب عظيم من العلم والفضل والأدب، وترك بصمات واضحة في الحياة الأدبية والسياسية في عهد الدولة الفاطمية ينظر : عمارة اليمني، النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية، الناشر: مدبولي، سنة النشر :١٩٩٧، ص مقدمة الناشر.

[4] المصدر نفسه : ص٢٣٨

الدكتور عن حصار "بيت المقدس" وفتحه، مشيراً الى مراحل هذا الفتح وما رافقه من أحداث، منتهياً إلى الحديث عن حصار "صور الشهير" عقب سقوط بيت المقدس بيد المسلمين، ومنوهاً بردة فعل الصليبيين على هذا الحدث الذي هز كيانهم. وأمام ذلك، وجد ضرورة الإشارة إلى الإجراءات التي اتخذها (المركيز كونراد مونتفرات) لتحصين تلك المدينة معولاً على مشاهدات " القزويني" ووصفه لهذه المدينة وحديثه عن سورها، ومحدداً الأسباب التي أدت إلى فشل المسلمين في استرجاعها[1].

أما المعارك المكشوفة التي خاضها صلاح الدين ضد الصليبيين في بداية تسنمه لمركز القيادة في مصر، فقد تصدى لها، مشيراً إلى معركة "الرملة" بما شكلته في مسيرة صلاح الدين من مرارة، موضحاً الظروف التي كانت تكمن وراء هزيمة الجيش الأيوبي ومحدداً ذلك بأربعة أسباب أشار إليها تباعاً[2].

وكردة فعل لهذه الهزيمة، وجد أن صلاح الدين وفي معركة "حطين " كان الله قد هيأ له سبل النصر وتعويض ما خسره في معركة " الرملة " قبل أكثر من عشر سنين من حطين. فأشار إلى سير تلك المعركة وما نتج عن توحد جبهة جيش صلاح الدين الداخلية في الشام ومصر والجزيرة وما ترتب على ذلك من تراص تلك القوات التي ألحقت هزيمة بالقوات الصليبية، مؤكداً استغلال صلاح الدين لأخطاء الصليبيين إلى جانب ما أبداه جيشه من بسالة في حسم الأمر لصالح المسلمين[3].

وعن الأحداث العسكرية ما بين حصار عكا وحصار يافا، ونظراً لأهميتها في المنظار العسكري، فقد تناولها ضمن الفصل السابع من كتابه موجهاً عنايته للحصار الطويل والمضني الذي فرضه الصليبيون على عكا عقب فتحها من قبل جيش صلاح الدين بسبب حاجة الجيش للميرة والتموين المستمر إلى جانب الحاجة لدعم معنوي من الخليفة، إلا أن شيئاً من ذلك الدعم لم يحدث، فتضاعفت مصاعب الجيش الايوبي. وفي هذه الأثناء وكحلقة مرتبطة بما سبقها، أشار الدكتور إلى

---

[1] المصدر نفسه :ص٢٤٨

[2] المصدر نفسه : ص٢٥٢

[3] المصدر نفسه : ص٢٦١

وصول حملة القائد الصليبي "ريتشارد قلب الأسد" لمساعدة القوات الصليبية المحاصرة لمدينة (عكا)، فأسهب في بيان المواجهات العسكرية بين الطرفين وما حصل من تداعٍ في جانب جيش صلاح الدين في عكا، انتهى إلى سقوطها بشكل فاجع. وأمام ذلك أشار إلى أسباب هذه الهزيمة منوهاً بما وصل من إمداد للقوات الصليبية وما اعتمدوه من أسلحة كثيرة ونوعية، قياساً ونوعية الأسلحة المستخدمة وقتذاك وما أصاب جيش صلاح الدين من تعب وشقاق (بشكل ما). وأكثر من ذلك تحدث عن المرحلة التي أعقبت سقوط عكا وما أحدثه من تأثير نفسي على المسلمين أفضت إلى هزائم متلاحقة أشار إليها، كما في عجزهم عن ثني جيش "ريتشارد" عن التوجه نحو (عسقلان) إلى جانب إشارته لوقعة " أرسوف" وما حل بجيش صلاح الدين من هزيمة إلى جانب دخول الصليبيين إلى (عسقلان) وما حل بها من خراب[1].

والتفت الدكتور إلى ذكر ما قام به "صلاح الدين" بعد تلك الهزائم، من تنظيم للدفاع عن بيت المقدس وما عمد إليه "ريتشارد" من إجراءات واستعداد لفتح هذا البيت[2]، موضحاً أهم الإجراءات التي اعتمدها صلاح الدين لإفشال هجوم "قلب الأسد ". وتواصلاً في حديثه وجد أن إبرام الصلح المذكور بين الطرفين كان رغبة من قبل الطرفين وهو ما حدث بالفعل[3]

---

[1] المصدر نفسه : ص٢٩٠

[2] المصدر نفسه : ص٢٩١

[3] المصدر نفسه : ص٢٩٨

ثانياً - في كتابه : نناشد صلاح الدين.. أم نحاسب أنفسنا ؟ استجواب قائد بعد ثمانمائة سنة :-

وفي سياق اهتمامه بشخصية صلاح الدين الأيوبي، واصل الدكتور التصدي للكتابة عنه من خلال كتابه الآخر "نناشد صلاح الدين"، حين أجرى السيد " بدران أحمد حبيب" حوارا معه حول عزوف " صلاح الدين الأيوبي " عن إقامة دولة كردية وعدم خدمته الأمة التي ينتمي إليها. وقد استخلص الدكتور من ماهية هذا الحوار كتاباً، بدأه بتمهيد من خلاله، حاول بيان مكانة الكرد بين إخوانهم المسلمين وكيفية دخولهم الإسلام مثل غيرهم ممن دخلوا هذا الدين الحنيف الذي لا يؤمن بتفضيل قومية على أخرى، وهو بذلك يبتغي الإشارة إلى ما لقيه شعبه على أيدي إخوانهم من المسلمين الآخرين وعلى مر العصور من عنت وتجاوز على حقوقهم. ووجد أن هذا الأمر كان سبباً في تحجيم الفكر الكردي من النهوض حتى ظهور الحركة الثقافية الحديثة في نهايات القرن التاسع عشر، مستشهداً على هذا الوضع للمثقف الكردي بأبيات للشاعر الكردي "حاجي قادري كويي" منتهياً إلى التأكيد على أن الوعي القومي الكردي بدأ مع الثورة الفرنسية (١٧٨٩). ومع ذلك فلا دولة قامت لهم ولا كيان يلجأون إليه، لدرجة أن أحال البعض تلك المحنة إلى تماهل صلاح الدين، حين لم يلتفت لبناء دولة كردية. وفي هذا الحوار خاض مؤرخنا حواره، إذ دافع فيه عن صلاح الدين وعن مواقفه، وراح يسرد رحلته في البحث في شخصية هذا القائد، وكذا الحال لأبحاثه الأخرى المتعلقة بجيش صلاح الدين الأيوبي، إلى جانب بيانه ما تمخض عن مشاركاته في المؤتمرات والندوات المتعلقة بهذه الشخصية. ومن خلال هذه الجولة، ألقى بالضوء على اسم ونسب صلاح الدين والظروف التي اتفق على أن يُكنّى بـ "صلاح الدين"[١]، وتأكيده على أن سيرته لم تكن مليئة بالانتصارات بل هناك انتصارات وعثرات وتراجع، وهذا هو ديدن الحرب. وفي مجمل ما أجاب عنها من تساؤلات، وهي بالتأكيد بمثابة تدوين لسيرة قائد لأحلك مرحلة من مراحل تاريخ صراع الأمة الإسلامية، لا سيما في فترة

---

١ أسمه الحقيقي (يوسف بن أيوب)

الحروب الصليبية، فقد اتبع مؤرخنا منهجاً اعتمد في أساسه على عرض مادته على وفق الموضوعات استناداً لما تعنيه تلك الموضوعات من حلقات تفضي بعضها إلى بعض، مؤسسة بذلك لمرحلة تاريخية هامة من مراحل تاريخ الكرد . وقد بدأ حديثه بوصفه إجابة عن تساؤلات وجهت إليه، عن الحروب الصليبية وطبيعتها، لأنها كما يرى، تمثل كشفاً جلياً لمقتضيات مرحلة تستوجب وجود رجل يقود أمة. وهذا ما سوغ به لنفسه أن يتتبع الخط البياني لوصول صلاح الدين الأيوبي إلى تلك المكانة الكاريزمية التي مكنته من رد الصليبيين عن البلاد. فعمد إلى التعريف بالحرب الصليبية وبالظروف السياسية والعسكرية والتجارية ونوايا الكنيسة التي كانت تقف خلفها وبدايات تحركها نحو الشرق المسلم مع الإشارة إلى تدرج صلاح الدين في المناصب حتى وصوله إلى منصب وزير مصر الفاطمية خلفاً لعمه شيركو، ومنحه الخليفة الفاطمي لقب الملك الناصر صلاح الدين والدنيا[١].

وحين أجاب عن تساؤل يبحث عن أسباب نزوح أسرة أجداد صلاح الدين عن موطنهم، أحال هذا الغياب من إظهار تلك الحقيقة إلى سكوت المصادر التاريخية عن هذا الأمر، وهو بالتأكيد ناتج عن جهلٍ بتلك الأسباب بل وبمثابة عتاب للكرد، لأنهم لم يدوّنوا تاريخهم أو لم يدونوا ذلك في كتاب ما، وهو على ما يبدو ما أوحى له إلى ترجيح أثر العامل السياسي في هذا التحول بقوله " ولكن من المحتم أن طموحهم السياسي ما كان يتحقق لو مكثوا في ديارهم "[٢]. منوهاً بأثر التحول من مكان إلى آخر، إذ توفرت فرص النجاح والتحرك أكثر من مكوثهم في المكان القديم. ووجد أن هذا هو ديدن الجماعات المتحفزة لتطوير حياتهم، كما هو الحال في الأمويين والعباسيين، والعثمانيين وقبلهم المغول، وكذلك والنورمانديين والفايكنك ومقاتلي البلاد الاسكنديناڤية الذين اشتهروا باندفاعهم لغزو مناطق عديدة حتى وصلوا الى العالم الجديد (أمريكا) قبل اكتشاف الأوربيين لها. ولتأكيد هذا التحول التاريخي، أشار إلى ما ذكره ابن خلكان حين وصفهم بالأعيان، وبأن لهم أوقافا وذكراً في بوابة قرية "أجدان قان". وبذلك فمؤرخنا

[١] ينظر نناشد صلاح الدين، ص٢١

[٢] المصدر نفسه : ص٢٣

يبتغي الوقوف أمام الأسباب الحقيقة لوصول جماعة من الكرد إلى مناصب قيادية رفيعة في تكريت أو حلب أو دمشق أو بعلبك أو الموصل وقتذاك، إذ لو لم يكونوا من الأعيان، لما تحرّكوا ولما تم اعتلائهم مثل تلك المناصب.

وفي سياق التعريف بأسرة " شادي " وهو جد صلاح الدين ، فقد راح يمعن النظر ويعرف ويقتبس ما استطاع من الروايات التاريخية التي تشير إلى تاريخية تواجد هذه الأسرة على ارض الكرد وتحديداً في بلدة (درين)، مؤكداً على حكم تلك الأسرة لقلعة تكريت، ثم سبب تركهم لمنطقتهم والتوجه إلى الموصل ثم تكريت. وفي بضعة صفحات تمكن من اختزال رحلة صلاح الدين في مسيرته الجهادية وصولاً إلى منصب الرأس في الدولة، حين استقر به الحال في بلاد مصر الفاطمية محدثاً انقلاباً إيديولوجيا، عندما أحل المذهب السني محل المذهب الاسماعيلي وحكم الكرد ومعهم الترك ، محل حكم عربي ينتسب إلى فاطمة الزهراء "ع"[1].

وحين تحدث عن دور الجند الكرد في جيش صلاح الدين، حاول أن يفصل في حديثه عن مهارات وانجازات الجند الكرد، عن انجازات إخوانهم من الترك والعرب، بوصفهم عملوا في ذات المؤسسة دون تفريق بين عناصرها. ومع ذلك نوه بأدوار قادة ونساء وقبائل كردية أسهموا في قوة الجبهة الإسلامية وبالتالي الدفاع عن حياض بلدانهم ضد البيزنطيين والصليبيين على السواء، مستشهداً لتأكيد ما يذهب إليه بشواهد من تاريخ تلك الحركات، ومنتهياً إلى القول بأن " دور الكرد المتعاظم في جيش صلاح الدين هو الذي دفع بعض الباحثين إلى إطلاق أسم " الدولة الكردية "عليها على الرغم من أن هذا الوصف تعوزه الدقة"[2].

ومحاولة من الدكتور لتأكيد سلامة الهدف الذي سعى من اجله صلاح الدين في نصرة الدين، وعدم جريه وراء الأفق الضيقة بتفضيل قوميته على غيرها من أبناء المنطقة، أشار إلى أن صلاح الدين قد تشرب في داخله حب الوطن إلى جانب الإحساس بخطر احتلال الصليبيين لتلك المنطقة ، فنشأ في حياض دولة تسعى للتخلص من المحتل، بل وأكثر من ذلك أشار إلى أن الدول

[1] المصدر نفسه : ص٢٦

[2] المصدر نفسه : ص٣٥

الإسلامية بما فيها الفاطمية والعباسية لم تكن بمستوى حماة الأرض ضد الصليبين، وهو بذلك يرسم مسار الموقف المتراكم عبر التاريخ لصلاح الدين وما تبلور في هذا الإطار المناهض من عزم ضد الوجود الغربي، إلى جانب إشارته إلى ما كانت عليه مصر من تداعٍ في جوانبها السياسية والإدارية، فكان ظرفاً مناسباً لإقامة دولة قوية تحل محلها، إشارة منه إلى نفي أي رغبة لصلاح الدين لإقامة دولته على ارض الكرد (كردستان) بوصف توجهه هذا، خالٍ من أي نفس قومي. ومع ذلك، فهذا لا يعني أن هدف وحدة الكرد قد تلاشى، بل أن التماسك من شأنه أن يؤدي إلى تحقيق هذا الهدف لكنه اشترط من أجل ذلك التخلص من حالة التنافس والشقاق بين أفراد هذه الجماعة التي تسعى لتوحيد الأرض، ملقياً باللوم كله على من يخاطب ويناشد الأموات من اجل إسعاف الأحياء (!) ، فيتركون الالتفات إلى الأحياء، محذراً من خطورة سحب الحاضر إلى الماضي ومحاسبة ومحاكمة هذا الماضي على وفق ما لم يتحقق في حينه إنقاذ الحاضر المعاش، إذ وجد في ذلك مفارقة كبرى، بأن تقاس قيم وأعراف الحاضر بالرؤية نفسها[1].

والى ذلك تطرق بالحديث عن صلات صلاح الدين بزعماء الكرد وقبائلهم، وما إذا كان لهؤلاء من تأثير في قيام دولته، مؤكداً أن صلاح الدين كان محوراً لكل الزعماء الكرد ممن انخرطوا في جيشه استناداً لما وجدوا فيه من الصفات الكاريزمية، في وقت نفى أن تكون هناك أية أمارة كردية فاعلة ـ يومئذ ـ باستثناء دولة صلاح الدين، مشيراً إلى سياسة الدولة السلجوقية ومن بعدها الاتابكية في اجتياح الساحة الكردية، إلى جانب ما كانت تمر به الدولة العباسية ومعها الفاطمية بخاصة، من ضعف مضاف إلى ما كانت عليه الإمارات العربية، ولا سيما في الشام من ضعف، مقرراً أن كل ذلك كان سبباً لبروز دولة صلاح الدين بوجه المحتل الصليبي[2].

وبالمقابل فأن مؤرخنا لم يغفل الإشارة والتنويه بموقف الدولة العباسية غير المبرر وغير المقنع من القائد صلاح الدين وموقفه من الحملات الصليبية، حين أشار إلى ما كانت عليه تلك الدولة من ضعف، وعلى فرض أن هذا الضعف في الدولة (الأم) يدفع بها إلى احتضان الأطراف، لا

---

[1] المصدر نفسه : ص٤٨

[2] المصدر نفسه، ص٥٣

سيما الفاعلين منها، وجد أن الدولة العباسية كانت على العكس من ذلك حين تعاملت مع دفاع صلاح الدين عن القدس وعن الدولة العباسية التي ما فتئ أن يبعث لها الهدايا والاعتراف بها بوصفها الدولة الشرعية، إلى جانب الرسائل الكثيرة التي كان يحررها كُتّابه ويبعث بها إلى دار الخلافة. كل ذلك لم يدفعها إلى التفكير بمناصرة صلاح الدين ولو من خلال ذكره في مدونات المؤرخين العراقيين مستشهداً بإغفال مؤرخ العراق المعاصر لصلاح الدين (ابن الجوزي) لذكر هذا القائد كلياً[١].

وحاول الدكتور إبراز عظمة صلاح الدين من خلال الإشارة إلى المنظار الذي كان الخليفة العباسي ينظر به لما حققه صلاح الدين من انتصارات على الصليبيين وكأنه خلق مجداً لنفسه لا لأمته، وهذا ما حفز في نفس الخليفة هوى عجيباً لتفجير موقفه هذا ضد صلاح الدين بحجة واهية لا ترقى لتفكير خليفة دولة تمثل الإسلام العظيم، ولو نظرياً. وقد استعرض مسار العلاقة المتموجة بين القائد صلاح الدين وبين الخلافة ممثلة بخليفتها، معرجاً على عدد المرات التي حاول فيها صلاح الدين كسب ود الخلافة التي بدورها كانت بعيدة جد البعد عن مشاركة هذا القائد في صنع المجد الإسلامي الذي تفرد به إبان تلك الحروب الصليبية على الرغم مما أشار إليه البعض من الباحثين حول حصول مشاركة ما، لكنها لم ترق الى الحد الأدنى المطلوب[٢].

وتطرق بالحديث في هذا الكراس عن مدى تعلق صلاح الدين بالفكرة القومية، مبتدءاً الحديث بالتأكيد على التصاق الفكرة القومية بالإنسان، وأنها تفرض نفسها فوق إرادته، مستشهداً بما كانت عليه الدولة الأموية من سلوك إزاء من هم من غير عناصرها وتفكيرها مثل الخوارج والشيعة والمعتزلة، وهذا الأمر انسحب على العباسيين حين وقفوا ذات الموقف من الجماعات ممن هم ليسوا من جماعتهم، وممن كان لهم دور في قيام الدولة العباسية ورسوخها، مستشهداً في ذلك بواقعة تاريخية حصلت بين الرشيد وبين البرامكة[٣] منتهياً إلى الإشارة إلى النظرة

---

١ المصدر نفسه : ص٥٦

٢ المصدر نفسه : ص ٧٠

٣ المصدر نفسه : ص٧٣

الاستعلائية التي كان عليها الخلفاء والتي كانت تقربهم إلى النظرة العنصرية، وهذا الحديث عن تلك المظاهر ، دفعت بمؤرخنا إلى الحديث عن تلك الملامح القومية في شخصية صلاح الدين، نافياً وبشكل قاطع أن يكون قد مال إلى هذا الفكر أو تلبسه كما هو الحال في الخلفاء الذين سبقوه أو الذين جاؤا من بعده، وهو بذلك يلغي فكرة القومية من الدول التي مثلت الخلافة الإسلامية، مؤكداً أن صلاح الدين الأيوبي، يعد امتداداً لهذا التفكير، أما اللغة والعصبة التي ينتمي إليها فلم يتخلى عنها أو يزيغ عنها، وهذا من أسس الوجدان الإنساني.

وحين أُثير تساؤل نوه بأثر العامل الاقتصادي المتدهور في أرجاء كردستان الكبرى والحيلولة دون قيام دولة على إرجائها وقتذاك، وقف بإجلال أمام منزلة صلاح الدين وشخصيته مؤكداً على أن شخصيته كانت فوق تلك الاعتبارات ، وان هدفه لا يقف عند تشكيل دولة كردية كما يتمنى البعض ممن يلقون اللوم على هذا القائد حين لم يفعل ذلك، مقرراً أن هذا التفكير يخص الضعفاء فقط[1].

وفي سياق بيانه لعوامل عدم قيام دولة الكرد ـ في الوقت الراهن ـ ألمح إلى مسألة خطيرة تمثلت بهجرة العقول من تلك المنطقة موضحاً ظروف تنامي تلك الظاهرة، وملقياً باللوم في ذلك على ما افتقرت إليه منطقة كردستان من عناصر الأمان إلى جانب الوضع الاقتصادي المتدني، مما لا يشجع على الاستثمار أو تنمية الثروات أو تراكم الخبرات وأخذ العبر من ماضيهم ومن ماضي غيرهم. وهذا الأمر انعكس سلباً بالتأكيد على مكانة وثبات علماء تلك البلاد، وهو ديدن كل مثقف، إذ يقترن استقراره وإبداعه بمدى ما يشعر به من أمان وحرية للفكر وما يكون عليه من مستوى اقتصادي مقبول[2].

ودافع الدكتور عن "صلاح الدين" وما وجهت إليه من انتقادات العرب والكرد على السواء ، مؤكداً أنها جملة تشويهات سياسية بوجهها السلبي وألاعيبها وأحابيلها حين تبتغي إخضاع

---

[1] المصدر نفسه : ص٨٠

[2] المصدر نفسه : ص٨٣

التاريخ إلى أغراض سياسية آنية ضيقة[1]. بل وراح يطلب من الكرد بأن عليهم إتمام تلك المهمة الجبارة التي أنجزها صلاح الدين حين تصدى لقوى الغرب إبان حروبهم الصليبية. ووجد أن الطريق الصحيح يقتضي رؤية ثاقبة للأمور وخلق الظروف المواتية لتحقيق أهدافهم، وراحوا يلومون صلاح الدين لأنه لم يحقق لهم حلم إقامة دولة[2] على الرغم مما قدمه أبناء هذا الشعب من جهود وما تهيأ لهم من عوامل مؤثرة في حركة التاريخ يمكن أن تنبعث معها دولتهم، بل انه يرى أن كل تلك العوامل لا تنفع بشيء ما لم يشخص الداء، إذ وجد أن الداء والدواء موجودان إلا أن أحداً لم يلتفت أليهما بحقٍ وإخلاص[3].

ثالثاً : في كتابه : صلاح الدين أكبر من نقّاده :ـ

وتواصلاً لنهجه في بيان شخصية صلاح الدين الأيوبي ودوره المميز في التاريخ، أصدر مؤرخنا كتابه الموسوم بـ " صلاح الدين أكبر من نقّاده " جاء باللغة الكردية، حين وجد أن هذا الكتاب، وعلى الرغم من صغر حجمه، فأنه جمع بين طياته معانٍ ورؤى وتوجهات، لا تسعها الكتب الضخمة. ففي محتواه ومغزاه أرث للشعب الكردي، وتساؤلات تزدحم وتتلاطم (حارَ بها) الكثير، فجاء هذا الكتاب ملخصاً جملتها، على الرغم من أنها كانت ولا تزال تراود أذهان أبناء هذا الشعب،مستفسرة عن أسباب نزوح أسرة صلاح الدين من موطنها في (دوين) ورحيلها إلى بغداد وغيرها ؟ وعما إذا كان صلاح الدين قد ولد حقاً في تكريت ؟!! ولماذا لم يعد إلى كردستان بعد أن نجح في تكوين دولته في مصر وبلاد الشام والجزيرة الفراتية واليمن، وبعد أن دحر الصليبيين في حطين والساحل الشامي، وأعاد بيت المقدس إلى المسلمين ؟ ولماذا لم يستفد الكرد من دخوله المبكر إلى الدين الإسلامي في إقامة دولته، على غرار الفرس والترك والبربر مثلاً ؟ ثم ما هي صلاته بالزعامات الكردية ؟ وما هي أوضاع كردستان إبان عهده ؟ وما السبب في ابتعاده عن المسار القومي ؟ وما هي أسباب هجرة النخبة من كردستان إلى بلاد أخرى وعزوفه (عدم محاولته

---

[1] المصدر نفسه : ص٩٠

[2] المصدر نفسه، ص٩٨

[3] المصدر نفسه : ص١٠٢

) لم شمل النخبة الكردية حوله ؟ ثم ما هي محاولات بعض القوميين (العرب وغير العرب) لأبعاده عن نسبه الكردي ؟ وهل يحق للكرد أن يتباهوا بصلاح الدين ؟ وهل صحيح أنه هو من ألغى الخلافة الفاطمية في مصر ؟ ولماذا ؟ وكيف ؟ وأخيراً : لماذا كان للمؤرخ الشهير أبن الأثير الجزري... مواقف منافية، إن لم تكن معادية لمجهودات هذا القائد ؟ وهناك تساؤلات كثيرة وجهها السيد "آرام علي سعيد" من مؤسسة (تيشك / اشعاع ـ نور) للطباعة في السليمانية إذ دخل معه في حوار مطول استغرق جلسات عديدة في اربيل والسليمانية. ومن تلك الإجابات التي تقدم بها مؤرخنا أمام تساؤلات تلك المؤسسة تحولت تلك الحوارات إلى كتاب آخر له ـ طبع كما ذكرنا ـ باللغة الكردية تحت العنوان المذكور وصدر سنة ٢٠٠٦ .

رابعاً ـ في كتابه " مكيافيللي " :ـ

ثمة تداخلات وتساؤلات تزدحم في مخيلتي منذ أن وطأت قدمي أرض الكتابة عقب رحلة نافت على العشر من سنوات الدراسة في الجامعة، تساؤلات أثارت في دواخلي رغبة ملحة في استعادة العقل من دوامة السطح والارتحال بدلاً عن ذلك نحو عمق التاريخ. تأملات ما انفكت تدور لتأسرني وأنا أطالع كتاباً حمل عنواناً لطالما طرق مسامعنا فكنا حياله ناقمين على صاحبه، لأنه كان يحفز المستبد على استبداده. أنه كتاب " الأمير" لنيكولاي مكيافيللي"[1].

[1] كتاب «الأمير» الكتاب المحبب لكبار السياسيين منذ عصر النهضة الأوروبية وحتى هذه الساعة. ومن بين هؤلاء يمكن أن نذكر الوزير الفرنسي ريشيليو (١٥٨٥–١٦٤٢) وكريستينا ملكة السويد (١٦٢٦–١٦٨٩) وفريدريك، ملك بروسيا، وبسمارك الذي وحّد ألمانيا، والرئيس الفرنسي كلمنصو، والجنرال ديغول، والرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، والملك الحسن الثاني... ويقول المؤرخون أن زعيم الفاشية الإيطالية موسوليني اختاره موضوعا لأطروحته التي قدمها لنيل الدكتوراه. في حين ان هتلر كان يضع الكتاب المذكور، على مقربة من سريره، فيقرأ فيه كل ليلة قبل أن ينام، وأن لينين وستالين تتلمذا على مكيافيللي، ولك ان تتصور كيف فعل هذا الكتاب فعلته بصدام حسين " عندما التصق به وقرأه بنهم وروية، فكان حالة استكمالية لمسلسل المستبدين في العالم. ينظر : و. ش. داننغ، تاريخ النظريات السياسية، دت. وللمزيد يراجع كتاب " الميكافيلية وداعي المصلحة العليا، لمؤلفه ميشيل سينلار، ترجمة أسامة الحاج، طبعة بيروت، ٢٠٠٢، وكتاب أحمد ناصيف

لم ينفك المؤرخون أن يدرسوا هذا الكتاب ويشبعوه بحثاً، بيد ان واحداً منهم لم يختلف عما قاله الأخر، فالكل كان يكيل الذم تارة والمدح تارة لهذا الكتاب، ولم يستأثر احدهم بسبق الحديث عن عمق ما دفع هذا الكاتب ـ مكيافيللي ـ إلى تأليف كتابه، حتى صادفنا ونحن ننبش في ذاكرة الدكتور عن تلك المحنة التي هيأها هذا المتفرد في طرحه للرؤساء والملوك وتلك المحنة التي خلقها أمام الشعوب، ضحايا سلاطينهم لقد نظر مؤرخنا إلى "مكيافيللي" بأنه شكّل في وجوده خطيئة أخلاقية حين ارتبط اقتراف الآثام لبلوغ الغاية بما سوغه للأمراء من أحقية ارتكاب تلك الآثام، لبلوغ الغاية التي تكمن فيها مصلحة الوطن[1]. لقد وجد مؤرخنا أن ما عمد إليه مكيافيللي بات دستوراً يوجه سياسة الطغاة. وهذا على ما يبدو قد دفع به أن يتوقف أمام تلك الملامح التاريخية التي رسمت شخصية هذا الكاتب، ويتأمل عبر نظرة فاحصة مآل تلك المحطات المثيرة للجدل في حياته. بل وراح يتساءل عن حقيقة ما أراد أن يذهب إليه مكيافيللي بطرحه لهذه الفكرة اللاأخلاقية بقوله : " تُرى هل قصد مكيافيللي أن تشوه سمعته دون أن يبال بذلك ؟ وماذا استهدف من أقواله النارية ؟ أو لم تكن أفكاره معمولاً بها بشكل مستمر قبل مكيافيللي؟ أم أنها كانت بمثابة انعكاساً للواقع الذي عايشه في فترة مضطربة من حياة أو تاريخ مدينته الرائعة فلورنسا ـ فيرنزا (**Florence**) ؟"[2].

وعوداً على بدء، نجد الدكتور يستنطق الزمن ، وهذه إشارة إلى رغبته في طرح التساؤلات،ليستشف الخصوصيات الظاهرة التي أوجدها "مكيافيللي" من دون التخلي عن المعطيات التاريخية المرافقة لتلك الظاهرة. ن ذلك وجد ضرورة قراءة أفكار هذا الرجل المثيرة للجدل لإلقاء نظرة على سيرته ، وان كانت مختصرة لحياة "مكيافيللي"، فأشار إلى ولادته في فلورنسا، منوهاً بما كانت عليه الأسرة من ميول سياسية وهو بذلك يحاول ربط حلقات التاريخ المؤسسة لسيرته ببعضها من خلال تأكيده على الترابط العضوي بين حلقات التاريخ المتتابعة. فما

ومجدي كامل : مكيافيللي ظل الشيطان على الأرض ؛ وقد طبع كتاب (الأمير) لمكيافيللي مرات عديدة في القاهرة وبيروت وبغداد.

[1] محسن محمد حسين : مكيافيللي في الميزان، أربيل، دار التفسير، ٢٠٠٧، ص٦

[2] المصدر نفسه : ص٧

دامت البيئة التي ترعرع فيها تتبنى مفاهيم سياسية كانت عنوانا لها، فقد هيأ لها هذا الأمر باباً يطلع من خلاله على ما يدور في خلد الساسة من أفكار وما تضطلع به مساحة أفكارهم من رؤى وتصورات، وهذا التصور عن مكيافيللي قد تجلى لمؤرخنا حين وجده قد شغل منصب كاتم أسرار جمهورية (فيرنزه) ومن ثم مسؤولاً عن أسرار ديوان القضاء، ولأكثر من عشرين مرة يكون قد أُوفد إلى الأقطار الخارجية بوصفه مندوباً لمهمة تتعلق بحكومة بلاده[1].

والى ذلك، كان مكيافيللي شاهد على عصر بلاده حين كانت تتقاذفه مطامع الدول الكبرى ومعها البابوية في الاستحواذ على حكمها، ولما استفحل استبداد البابوية، كان الاصلاحيون من رجال الدين في مقدمة من عارض تلك الكنيسة كما فعل القس (سافونا رولا) فكان مصيره الإعدام. وهذه الحادثة كما يراها مؤرخنا خلقت هزة في وجدان "مكيافيللي" حين جسدها بمقولته الشهيرة " ويل للأنبياء الذين يفتقرون إلى السلاح، فمثل هؤلاء يكون مصيرهم الفشل والدمار، بينما مصير الأنبياء المسلحين هو النجاح[2].

وواضح أن مؤرخنا أراد القول بان مثل تلك الحوادث يتأسف عليها من يدرك عدم جدوى المطالبة بالحقوق دون امتلاك قوة مادية وروحية معاً، فمن اجل تحقيق الهدف فلا بد من وسيلة، إذ أن هذا الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه صاحب الحركة، هو هدف أسمى. ولأنه كذلك، فلا بد إذن من وسيلة لتحقيقه بغض النظر عن طبيعة الوسيلة ما دامت غاية الهدف هو من اجل المجموع ، وهذا ما كان بلا شك مضمون او فحوى كتاب " الأمير". ولا غرابة ان يستهجن مؤرخنا رخص الأرضية التي استند إليها مكيافيللي في تأليفه لهذا الكتاب حين قرر انه كان يسعى من وراء ذلك تحقيق مصلحة شخصية معولاً في ذلك على ما صرح به، حين أهدى للأمير كتابه بقوله :" فلما أردت أن أتزلف إلى الأمير رأيت أن أقدم له هدية تليق بقدره، وتكون دليلاً على إخلاصي لعرشه " وبذلك يلغي من شخصية "مكيافيللي" جانباً مهماً من الجوانب الإنسانية الضرورية الملزمة الوجود في شخصية الكاتب او المفكر او المؤرخ، حين وجده يستسهل إعارة

---

[1] المصدر نفسه : ص٩

[2] المصدر نفسه، ص١١

أفكار خلقها من أجل مصلحة دنيوية مؤقتة، وهو بذلك يتقاطع وما أشار إليه في بداية مؤلفه هذا حين أشار إلى بلورة مكيافيللي لفكرة متساومة مع أفكار المريدين شراً لبلاده، وكأنه يخضعه لمؤثرات العامل المادي المتغلب على بقية العوامل في صناعة الحدث ـ الموقف ـ في سيرته.

وعطفاً على ما أشار إليه، ونوه به مؤرخنا من تأثير البيئة السياسية في التكوين الفكري لشخصية "مكيافيلي " فقد أفرد مبحثاً عرج فيه على مشاركات هذه الشخصية في العمل السياسي مع إشارة إلى مجمل مؤلفاته، وهو بذلك يضع القارئ مباشرة أمام ما اختزنته جعبة مكيافيللي من أفكار وتوجهات، لربما كان كتابه المثير للجدل " الأمير " باكورة تلك الأفكار وفي ذلك يتجلى لنا أن مؤرخنا يحاول أن يجرد مكيافيللي عن ملامح الوطنية وتيمنه بايطاليا بلاده، من خلال سرده لروايات أفصح فيها عن سعيه الحثيث لإيجاد فرصة إنقاذ لمحنة بلاده عندما " خطر بباله أن يستبدل جيش الكونديتوري المأجور بجيش وطني يتمكن من الدفاع عن هيبة الوطن الممزق "[1].

وواضح أن الدكتور قد أحاط بما تمكن من الحصول عليه من معلومات تتعلق بشخصية مترجمه، محاولة لرسم الصورة الواقعية لشخصيته بغض النظر عما قيل وما سيقال، مؤكداً في طرحه هذا على أهمية البيئة وأثرها في صنع الحدث الذي يكون في كثير من الأحيان، بمثابة دليل للمتأثر بالظرف الذي تهيأ لقيام الحدث، أن يكون مطيعاً وتابعاً لما سترسمه له تلك المؤثرات البيئية، من خطوط، ليس من الضروري أن تكون في جميع الأوقات مسمرة بنسق وبمستوى واحد. فقد أشار إلى ما مر به مترجمه من سنوات العوز والقحط والتي أدت به إلى التراجع ليصل به المطاف إلى حد التردي حسب قول مؤرخنا " وكان وهو في سن الثالثة والأربعين رجلاً منبوذاً لا عمل له وفي وضع مزرٍ بعد أن انهارت فيه أحلامه، بالأخص بعد

---

[1] المصدر نفسه : ص١٣

تعرضه للاعتقال"[1]. وحين عرج على ذكر مؤلفاته، وجد أن مكيافيللي الذي وضع اللمسات الأولى لكتابه، كان يمر في حينها بأشد الأوقات لديه شعوراً بالعزلة[2] .

والى ذلك، لم يغفل الدكتور الإشارة لمنابع ثقافة مكيافيللي، إيمانا منه في اثر تلك الثقافة ببلورة أفكار المرء ورسم توجهه. فألمح إلى بوادر قرضه للشعر، وحبه للرسم بيد انه لم يصبح شاعراً على الرغم مما كتبه من الشعر وأفاضه من احساس، ولم يتمكن من الرسم مع انه عاصر أعظم رسامي العالم، ولم يصبح روائياً على الرغم من انه تمكن من كتابة أكثر من رواية ومسرحية. وأمام تلك المواصفات التي رسمت شخصية مكيافيللي، أراد مؤرخنا القول أنها كانت نتاج ما شعر به من بؤس حاول تجسيده عبر تلك المواهب الدفينة التي ما أن تماست مع إحساسه بهذا البؤس، حتى انعكست على بلورة فكرة كتابه "الأمير" الذي أفرد له مبحثاً خاصاً لمناقشة ما ورد من آراء بحق طروحات "مكيافيللي" وانعكاسها على الواقع السياسي. فأشار إلى ما ذكره" فرانسيس بيكون" من انه مفكر سياسي. وقد وجد مؤرخنا هذا الطرح، فرصة لمناقشتها واستعراض ما يشعر به إزاء مترجمه، فسلط الضوء على رأي مكيافيللي في السياسة على انه " صراع بين الحظ وبين القوة"[3].

ويبدو أن مؤرخنا يحاول النفاذ من خلال هذا المفهوم لمعنى السياسة عند "مكيافيللي" لتبرير ما رسمه من نهج في كتابه " الأمير " حين راح يبرر لهذا الأمير تجاوزه للأسس الأخلاقية في سيرته عندما يستدعي أمر فرض سلطان الدولة ذلك. وهذا ما يفسر قطعاً ما ذهب إليه من أن "مكيافيللي" لم يفسر أو يُفهم على انه صاحب نظرية افتقرت إلى الأخلاق، بقدر ما كان ينظر إلى السياسة على أن لها أخلاقياتها الخاصة، وهي أخلاقيات لا تستقيم ورغبات الشعوب بقدر ما تستهوي الأمير لفرض سلطانه إذ يقول : " أن الاهتمام بهذه النظرية قد تواصل وتزايد، لأن

[1] محسن محمد حسين : مكيافيللي في الميزان : ص ١٤

[2] المصدر نفسه : ص١٥

[3] المصدر نفسه، ص٢١

صعود القضايا التي طرحها في نظريته، اكتسبت حيوية جديدة مع تصاعد ظهور الأنظمة الشمولية (التوتاليتارية)[1] حين غدا كتاب (الأمير) إنجيل الطغاة ورفيق وسادتهم[2].

وفي سياق سعيه لنبذ هذه النظرية بوصفها تسير عكس تطلعات الشعوب، لاحظنا مؤرخنا يستعرض مفاصل تلك النظرية وما رسمه صاحبها من آلية، من خلالها يمكن له فرض سلطانه، بغض النظر عن انعدام إنسانية الأسلوب وهمجيته في تحقيق الهدف من الاستحواذ على السلطة.

وحين تطرق إلى تأسيس الدولة حسبما أشار إليها مكيافيللي، وجدناه، وان لم يصرح علناً ، يحاول الإفصاح عن انتقال فكرة الدولة من مفكرين سابقين لمكيافيللي، فأضاف إلى تلك النظرية طروحات وشذبها وقواها وادخل عليها ملامح أثلجت صدر (الأمير) الذي اعتاد إتباع القسوة لتحقيق مطالبه.

ومن أجل ترصين ما يذهب إليه، أورد أسماء وتراجم عدد من أرباب السياسة والحكم ممن تشبثوا بتلك النظرية بحثاً عن أي مسوغ يجيز لهم استمرارية حكمهم الاستبدادي، فكان من هؤلاء " شارل الخامس ـ شارلكان ـ ١٥٥٨ ـ ١٥٠٨ " إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وكذلك "كاترين دي مديتشي" ملكة فرنسا (١٤٨٩ ـ ١٥١٩) وهو يحاول تبرير ما حصل من مذبحة (بارثلميو) سنة ١٥٧٢ وغيره الكثير ممن هيأ لفرنسا الدخول في أزمة ملوكها الأخلاقية أمام شعوبها وهذا متجسد بكليته في شخصية نابليون بونابرت (١٧٦٩ ـ ١٨٢١) حين كان يقتني وبشدة كتابي " مكيافيللي " الأمير" و" المطارحات " إذ صحبهما معه في رحلاته الدموية في أرجاء

[1] الأنظمة الشمولية او الكلية "التوتاليتارية" أنظمة ظهرت عملياً خلال القرن العشرين، وهي نتاج تفاعلات القرن التاسع عشر، كما يرى "جورج لوكاش" وهو فرز أو نتاج لتطور النظام الرأسمالي وبنيته المجمعية، ولكن هذه الأنظمة أصبحت بعد حين مفارقة عن خصائص الأنظمة الرأسمالية التقليدية–فيما يخص الديمقراطية، الليبرالية، وتقاليد المجتمع المدني .

[2] محسن محمد حسين : مكيافيللي في الميزان، ص٢٢.

أوربا وخارجها، وهذا ما أشار إليه "أدولف هتلر" في كتابه "كفاحي"[1] ـ كما اشرنا ـ من انه كان يتواصل باستمرار في قراءة كتاب " الأمير " وفعل ذلك أيضا لينين وستالين[2].. بل والأكثر من ذلك، يتوقف مؤرخنا قليلاً عند تلك المعطيات المترتبة على إهداء مكيافيللي لكتابه " الأمير " لأرباب السياسة والحكم على انه ـ أي مكيافيللي ـ وضع نفسه أمام قضية أخلاقية وإنسانية لربما لن تمحى من ذاكرة الأجيال حين صنع للمستبد، الآلة التي تمكنه من الاستحواذ على السلطة وإدامتها بغض النظر عما ستؤول إليه أحوال الأفراد أو الجماعات المعارضة لنهجه، وهذا بالتأكيد ما دفع بـ"كانتييه " إلى إصدار كتاب له بمثابة رد على كتاب الأمير حمل عنوان " (ضد مكيافيللي) وكذا الحال فعل فولتير الكاتب الفرنسي الشهير، حين أصدر كتابه" ضد مكيافيللي ".

ويخلص الدكتور إلى القول وبعد أن استقرأ بروية كتاب "الأمير" وناظر توجهاته، أن ما حمله هذا الكتاب من رؤى وتصورات إزاء فلسفة الحكم وما يجب أن تصير إليه لكي يديم الحاكم حكمه، لم تكن من بنات أفكار مكيافيللي أو أنها برزت في عصره، بل أنها ترقى لعهود سبقت

---

[1] أثناء وجوده في سجن لاندسبرج، أملى "هتلر" معظم المجلد الأول من كتابه كفاحي (**Mein Kampf**) وكان عنوانه الأصلي (أربع سنوات ونصف من الكفاح ضد الأكاذيب والغباء والجبن) على نائبه رودلف هس. وأهدى هذا الكتاب الذي تضمن سيرته الذاتية وعرض لمذهبه الأيديولوجي إلى عضو الجمعية السرية المعروفة باسم **Thule Society** ديتريش ايكارت. وتم نشر هذا الكتاب في مجلدين خلال عامي ١٩٢٥ و١٩٢٦، وبيعت منه حوالي مائتين وأربعين ألف نسخة ما بين عامي ١٩٢٥ و١٩٣٤. ومع نهاية الحرب العالمية الثانية(١٩٣٩ ـ ١٩٤٥)، كان قد تم بيع حوالي عشرة ملايين نسخة أو توزيعها (وحصل المتزوجون حديثًا والجنود على نسخ مجانية من الكتاب). ومن المهم أن نلاحظ أن الكلمة الألمانية **Kampf** تحتمل عدة معاني، كما هو الحال مع كلمة جهاد.وهناك العديد من القراءات والكتب اللي تتحدث عنه. وقد كتب الزعيم الألماني أدولف هتلر (٩٠٠) صفحه تقريبا، ولكن لم تنشر من الكتاب سوى (٤٠٠) صفحه فقط. وقضى هتلر سنوات عدة، يتهرب من دفع الضرائب عن الحقوق المالية التي حصل عليها من بيع نسخ كتابه، وتراكمت عليه ديون للضرائب لتصبح حوالي (٤٠٥,٥٠٠) مارك ألماني (بما يعادل ستة ملايين يورو في الوقت الحالي، وبمرور الوقت أصبح مستشارًا للبلاد (وفي هذا الوقت سقطت ديونه).

[2] محسن محمد حسين : مكيافيللي في الميزان : ص٢٧

ولادة مكيافيللي وليس بوجوده " فكما هو معروف فأن الجلادين إبان سنة الإرهاب بعد الثورة الفرنسية "١٧٨٩" لم يكونوا أتباع مذهب مكيافيللي، رغم مكيافيلليتهم "[١]. كما يؤكد على أن المكيافيللية أوجدتها ضرورة الحكم والتعطش إلى الكرسي والإمساك به بأي ثمن قبل أن يُخلق مكيافيللي.

ويبدو أن " مؤرخنا" قد ربط بين اطلاع مكيافيللي الواسع على أحداث التاريخ، وبين وقوفه على تجاربه وأحداثه بانتكاساته وارتكاساته، بمُثله وبهبوط أخلاقياته. ويرى أن كل تلك المفردات قد خلقت من مكيافيللي شخصية أيقنت أشد اليقين بأن الغاية، وهي بالتأكيد شريفة في نظره لأنها تجسيد لرؤى الملوك في كيفية خدمة بلادهم، وبذلك سوغت لهؤلاء الملوك الوسيلة التي اعتمدوها في التوصل لتحقيق هدفهم السامي وهذا ما أوجزه لنا مؤرخنا في مبحث أعطاه عنوان " مكيافيللي مؤرخاً وفيلسوفاً للتاريخ"[٢].

واستعرض تلك الأفكار الثمانية حسبما أوردها مكيافيللي، لأنها تمثل بتمامها وكمالها، رؤية وتوجهات وفلسفة هذا المفكر، وتوصياته لمن يسير بفلكه، منتهياً وبعد استعراض تلك المفردات إلى القول بأن جل تلك الآراء تصادمت مع المشاعر لمجافاتها القيم الإنسانية وقيم الأديان. ووجد أن مكيافيللي كان قد استخلص أفكاره من ثمرة جهوده واطلاعه على ما كتبه المعنيون بشؤون ايطاليا المجزأة، ليرى أن من أهم ما يمكن ملاحظته على أفكار تلك النظرية، هو انعكاسها على تفكير المؤرخين حين راح البعض منهم يتبنى مفهوم المكيافيللية في التاريخ، مشيراً إلى وجود مظاهر أجاد في عرضها كما في مفهوم "الغاية تبرر الوسيلة" وان جذور حب التحكم موجودة في نفوس البشر وأن الأخلاق لا تلتقي بالسياسة. ومع ذلك، فأن مؤرخنا لا يريد

---

[١] المصدر نفسه : ص٢٩

[٢] المصدر نفسه : ص ٣١

أن يلقي باللوم بأكمله على "مكيافيللي" في تبرير سطوة الحاكم، بل انه أشرك "هيجل" في هذا الأمر حين وجده قد فصل بين الأخلاق والدين ومعه "نيتشه"[1] يشترك أيضا في هذا الأمر.

وفي بحثه الجذور التاريخية للمكيافيلية، وجد مؤرخنا أنها ترقى لما طرحه "السفسطائيون"[2] حين انصرفوا إلى نشر ما توصلوا إليه من معارف بأساليب شتى. ولعل من اقرب ما أشار إليه من سمات تشابهت إلى حد بعيد مع ما طرحه مكيافيللي، هو ما روج إليه هؤلاء للمذهب الذي روج إليه الطغاة ومفاده " الحق مع القوة والقوة مع الحق " إلى جانب تنظيرات أخرى، وجد مؤرخنا أن مكيافيللي قد أحيا مضامينها على ضوء أوضاع عصره، ووجدناه يحاول جاهداً إيجاد مقاربة فكرية بين مكيافيللي وبين ما حمله ابن خلدون (١٤٠٦ـ ١٣٣٢) حين أشار إلى ما كان يعنيه في اعتماد الأمير على عصبته ضمن تنظيره لعمر الدولة على وفق نظريته المعروفة بـ "الأجيال ".

---

[1] : فريدريك فيلهيلم نيتشه (١٥ أكتوبر، ١٨٤٤ – ٢٥ أغسطس، ١٩٠٠) فيلسوف وشاعر ألماني، كان من أبرز المهدين لـ علم النفس، وكان عالم لغويات متميزا. كتب نصوصا وكتبا نقدية حول المبادئ الأخلاقية، والنفعية، و الفلسفة المعاصرة، المادية، المثالية الألمانية، الرومانسية الألمانية، والحداثة عُموماً بلغة ألمانية، يراجع : عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج١١، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤، مادة: نيتشه.

[2] : السفسطائية كما تشير أغلب الكتب، مذهب فكري–فلسفي نشأ في اليونان إبان نهاية القرن السادس وبداية القرن الخامس في بلاد الإغريق (اليونان حالياً)، بعد انحسار حكم الأوليغارشية (الأقلية) وظهور طبقة حاكمة جديدة ديمقراطية تمثل الشعب، وقد ظهر السفسطائيون كممثلين للشعب وحاملين لفكره وحرية منطقه ومذهبه العقلي والتوجه المذكور هذا هو الذي كلفهم كل ما تعرضوا له من هجوم حتى ليصدق القول بأن السفسطائيين كانوا من أوائل حملة المذاهب الفكرية التي تعرضت للتنكيل والنفي والقتل لمجرد كونها تخدم مصلحة الضعفاء والمساكين، فقتل أغلب قادتهم وشرد الباقون، كمثل ما حصل مع "هيبياسي" الذي كان من أشهر قادة الديمقراطيين، والذي تعرض فيما بعض للإعدام. وكذلك "بروتاجوراس" الذي أوكلت إليه مهمة وضع دستور للبلاد الإغريقية إبان الحكم الديمقراطي الجديد، إذ أحرقت كتبه ونفي من أثينا. وغير ذلك "بروديقوس" الذي عذب وحوكم بالإعدام بشرب السم بتهمة إفساد عقول الشباب على غرار الفيلسوف الشهيد (سقراط) للمزيد ينظر : المجمع الوسيط، الطبعة الثالثة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ، ١٩٦٥.

ولقد تلمسنا ونحن نتصفح كتاب الدكتور الذي تصدى فيه لموضوعة المكيافيللية، ميلاً نحو توائم ولو بسيط مع طرح مكيافيللي حين ذكر أن الغاية من طرحه هو تحفيز الأمير على إيجاد دولة قوية لأنه يمثل في تفكيره الهدف الأسمى، وهذا ما يجيز حسب مفهوم مكيافيللي كل الطرق والوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الهدف كما يفهمه.أما مغزى الاتفاق الذي نستشعره من مؤرخنا حيال طرح مكيافيللي، فمصدره أن المكيافيلليين قد زايدوا على مكيافيللي وصاروا مكيافيلليين أكثر منه، يضاف إليه موقف البابا المعادي لهذا الرجل. فلو وضعنا ما أراده مكيافيللي من تحقيق لفكرته في مقابل ما جاء على فعله من توسم هذه النظرية في حكمه، فأن طرح الأول يكون سليماً قياساً وطرح الثاني من المجموعة، ومع ذلك نقول أن من سن سنة فعليه وزرها ووزر من آزرها، وهذا ما يمكن أن نقره لكي لا يتيح للمجرم أن يسوغ فعله الإجرامي فيما لو اعتمد من قبل آخرين، فالكل في الذنب مشترك.

وبغية الإحاطة بما يتعلق بطروحات مكيافيللي، تطرق مؤرخنا إلى ذكر وصايا مكيافيللي من خلال وضعها في الميزان،فأشار إلى ما أوصى به الأمير لديمومة حكمه بما في ذلك تحقيق أكبر قدر ممكن من الدمار وسفك الدماء لإحباط أية محاولة للرد عليه. والى ذلك أكد على ضرورة أن يعي هذا الأمير أن سلاحه الوحيد هو الحرب. وأوصى بضرورة الاستعاضة عن اللين بالشدة، فهي أكثر رحمة بالمجموع. ورغبة في فضح العلاقة الوثيقة بين تطبيقات " صدام حسين"[1] بوصفه

[1] صدام حسين المجيد (٢٨ أبريل ١٩٣٧ – ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٦)، نائب رئيس الجمهورية العراقية بين ١٩٦٨ و١٩٧٩، ورئيس جمهورية العراق للسنوات ما بين عام ١٩٧٩ وحتى ٩ أبريل ٢٠٠٣. لعب دوراً رئيسياً في انقلاب عام ١٩٦٨ والذي وضعه في هرم السلطة كنائب للرئيس اللواء أحمد حسن البكر، وأمسك بزمام الأمور في القطاعات الحكومية والقوات المسلحة المتصارعتين. وهو كرئيس للجمهورية قام بخوض حرب الخليج الأولى (١٩٨٠– ١٩٨٨) وقام بغزو الكويت في ٢ أغسطس ١٩٩٠ والذي أدى إلى نشوب حرب الخليج الثانية (١٩٩١)، وفي الوقت الذي حاول إبراز نفسه كرمز بطولي للعرب في وجه الغرب ودعمه للقضية الفلسطينية تخلت الولايات المتحدة عن دعمهِ إلى أن تمت إزاحته عن السلطة عام ٢٠٠٣ تحت حجة امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل ووجود عناصر لتنظيم القاعدة تعمل من داخل العراق وكان هذا كافيا لتبرير الغزو الأمريكي للعراق. قُبض عليه في ١٣ ديسمبر من ذلك العام. تمت بعدها محاكمته وإعدامه.

حاكم العراق لما وجده يتفق وتوجهاته من رؤى وتعليمات "مكيافيللي" فقد أورد مؤرخنا، ما تيسر له من وثائق تدين النظام ألبعثي، تم العثور عليها في كركوك بعد انهيار هذا النظام، ونشرها الأستاذ المحامي "طارق جمباز".

خامساً ـ في كتابه : أربيل في التاريخ (٥٢٢ ـ٦٢٠هـ / ١١٢٨م ـ ١٢٣٢م) :

محاولة من مؤرخنا لإبراز الوجه الحضاري لتلك المدينة، وما شكلته من ثقل في تاريخ العراق، اذ رجع إلى جذورها التاريخية، محدداً الفترة الحرجة للدولة السلجوقية والتي انتابها الضعف، ليكون حداً فاصلاً في تاريخ هذه الدولة حين انفصلت عنها إمارات كانت بالأمس تابعة لها مثل الإمارات أو الكيانات الاتابكية، فتحدث عن بروز اتابكية أربل أو (اربيل) عبر مراحل تطورها، وتناول في هذا السياق وبما له من علاقة بموضوعة كتابه، مدينة أربل القديمة وظهورها من جديد في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي. والى ذلك، تطرق إلى بيان تاريخية تلك المدينة مشيراً إلى أقدم ما قيل عنها من تسميات[1]، ومنوهاً بأهميتها في العصور القديمة وبما حازته من أهمية بوصفها كانت تمثل مقراً للإلهة الأشورية (عشتار)، إلى جانب تطرقه للممالك التي ظهرت في هذه المدينة.

وفي هذا السياق من ذكر تاريخها أشار الى مكانتها التاريخية إبان التاريخ الإسلامي، انتهاءً ببروزها قبل ظهور الحكم الاتابكي عندما غدت مركزاً للإمارة الهذبانية (٥٢٠هـ/١١٢٦م)[2]، مروراً بفتح اربل في العهد الاتابكي وضمها إلى إمارة الموصل (٥٢٢هـ ١١٢٨م). وفي هذا المجال يكون الدكتور قد ناقش ما أشار إليه المؤرخون من روايات حول تاريخية هذه المدينة، وما قيل عن فتح "عماد زنكي" لها ومن ثم ضمها إلى أتابكية الموصل[3].

---

[1] محسن محمد حسين : اربل في العهد الاتابكي، بغداد، ١٩٧٥، ص٢٥.

[2] المصدر نفسه : ص٣٠.

[3] المصدر نفسه : ص٣٥.

وتطرق الى شخصية "زين الدين علـي كوجـك بـن بكـتكين" بوصـفه مؤسـس الإمـارة الاتابكيـة (ت٦٣هـ ١١٦٨م) ذاكراً الآلية التي اتبعها لحكم الإمارة، وموضـحاً إسـهامه في تأسـيس اتابكيـة الموصل، ومؤشراً الى علاقته بالرعية من خلال روابـط متينـة وكيفيـة وصـوله لحكـم الموصـل. والى ذلك، تحدث عن علاقة "زين الدين علي كجك" بـ "عمـاد الـدين زنكـي" وأولاده مـن الموصـل بــ "نور الدين محمود" اتابك حلب. وبعد أن هيأ القول في شخصية "زين الـدين"، عمـد إلى التـصدي لبيان الأسباب التي دفعت بالمؤرخين إلى ذكر صفات هذا الأمير[1].

أما في فصل الكتاب الثاني، فقد تناول فيه نواب "زين الدين علي كوجك" من اربل، وتحـدث عن "سرفتكين" وكذا الحال عن نائبه "مجاهد الدين قايماز" ثم "ابن علي كجك"، الأمـير "زيـن الدين يوسف بتالتكين" صاحب اربل فأسـهب في ذكـر سـيرتهم في حكـم اربـل، متعمقـاً في بيـان الأسباب والظروف التي أدت إلى تسلم مظفر الدين كوكبري لمنـصب أخيـه بعـد وفاتـه في الناصـرة بفلسطين مباشرة، ومناقشاً ما جال به فكر المؤرخين في هذا المجال[2]. ويبدو أن حكم مظفـر الـدين كوكبري لأربل قد شد الدكتور إليه، مما حدا به إلى تخـصيص مبحـثٍ كامـل تنـاول فيـه مجمـل الفعاليات السياسية والعسكرية في هذه الإمارة إبان عهده[3].

وانسياقاً في إبراز معالم سياسة مظفر الـدين ودور اربيـل في عهـده، ذكـر وضـمن فـصل كتابـه الثالث، طبيعة العلاقات التي ربطت إمارة اربل في عهده باتابكة الموصل ولا سـيما في عهـد "عـز الدين مـسعود" صـاحب الموصـل، مـشيرا إلى العلاقـة التجادليـة مـا بـين الطـرفين، مـع التنويـه بالمحاولات التي قام بها عز الدين للسيطرة على اربيل وما آل إليـه الخـلاف الحاصـل مـع ذكـره للاستشارات القائمة حينها بين الأمراء لاحتواء تلك الأزمة عندما أخذت أبعادا خطيرة باعتبـار اربيل جزءاً من الدولة الأيوبية حسبما ذهب إليه الملك العادل "أبو بكر الأيوبي"[4].

---

[1] المصدر نفسه : ص٥٢

[2] المصدر نفسه : ص٩١

[3] المصدر نفسه : ص٩٩

[4] المصدر نفسه : ص١٠٠

ثم تناول علاقة اربل باتابكية الموصل في عهد "نور الدين ارسلان" وابنه "عز الدين مسعود الثاني" مسترسلاً في بيان العلاقات السلبية لأربل بالموصل في عهد هذين الأميرين، مع بيانه أسباب الصدام بين صاحب سنجار وبين اتابكة الموصل. ومع ذلك فقد أشار إلى المتغيرات التي حصلت في طبيعة تلك العلاقات العدائية وتحولها إلى ودية، مع ورود إشارة بإقامة علاقة مصاهرة بين مظفر الدين كوكبري وبين نور الدين ارسلان[1]، وهو ما مثّل في نظره مناورة سياسية يلجأ إليها الساسة بغية تمرير مشاريعهم أو العمل على تذليل صعاب تكتنف مسيرتهم. ومع ذلك التفت مؤرخنا إلى بيان ما حصل ضمن تلك العلاقة من مناوشات بين الطرفين وصلت إلى حد الصدام العسكري، منوهاً بما عمد إليه مظفر الدين كوكبري من وساطة بين الطرفين لإنهاء ما بينهما من نزاع. لتبدأ بذلك صفحة جديدة من السلم استعرضها متحدثاً عن أهم محطاتها[2]، ومنتهياً إلى الحديث عن العلاقة بين مظفر الدين كوكبري والموصل إبان عهد بدر الدين لؤلؤ (٦١٥- ٦٣٠هـ) (١٢١٨ م - ١٢٣٣م)، متوقفاً عند أهم الأحداث والمتغيرات التي رافقت تلك العلاقة، التي وصفها بالفاشلة بسبب هشاشة التحالف الذي أقامه مع الأمراء[3].

والى ذلك، تحدث عن تجدد الصراع العسكري بين أمارتي اربل والموصل سنة ٦٢١هـ /١٢٢٤م، مستفيداً مما ذكره المؤرخون من روايات تحدثت عن أسباب مقتل الاتابك "ناصر الدين محمود" بوصفها كما يرى، تلقي بالضوء على سبب وتاريخ تردي العلاقات بين بدر الدين لؤلؤ وبين مظفر الدين كوكبري[4].

وتطرق فضلاً عن ذلك إلى العلاقة بين اربل وبين الملوك الأيوبيين، لا سيما تلك العلاقة التي ربطت مظفر الدين بصلاح الدين، وما حصل بينهما من علاقة مصاهرة. ولتوضيح تلك العلاقة،

---

[1] المصدر نفسه : ص١٠٥

[2] المصدر نفسه : ص١٠٧

[3] المصدر نفسه : ص١٢٨

[4] المصدر نفسه : ص١٣١

استعرض الدكتور مشاركة مظفر الدين كوكبري في الحروب الصليبية إلى جانب صلاح الدين الأيوبي، لا سيما مشاركته في معركة حطين[1] .

وزيادة على ذلك أشار الدكتور إلى علاقة كوكبري بخلفاء صلاح الدين الأيوبي، إذ راح يستعرض تلك العلاقة مشيراً إلى أهم ما تخلل تلك المرحلة من أحداث بالأخص تلك المتعلقة بالصراع بين صاحب اربل وبين خلفاء صلاح الدين[2].

ولم يتحدد مؤرخنا بذكر علاقة اربل بالدول القريبة منها أو الإمارات المجاورة لها، بل وجدناه يلتفت إلى علاقة تلك الإمارة بالدولة العباسية، مؤكداً على أنها لا ترقى لتلك العلاقة التي لا يمكن أن تكون مادة تاريخية يعول عليها في سرد أحداث مرحلة من مراحل التاريخ، ومع ذلك فقد نوه بالأسباب التي حالت دون ذكر تلك العلاقة وعدم وجود دلائل تشير إلى رقيها، لا سيما وان الدولة الأيوبية إبان تلك المرحلة كانت ذات هيبة ومكانة غطت على هيبة الدولة العباسية الضعيفة ورغم ذلك فأن الدكتور لم يغفل الإشارة إلى ما شكله المغول من تهديد لبغداد من اثر في بلورة العلاقة بين بغداد واربل، تمثلت بصيغة من الرد على تلك الغارات من قبل المغول على المنطقة. وفي هذا السياق، أفصح عن زيارة مظفر الدين كوكبري لبغداد سنة(٦٢٨هـ ـ ١٢٣٠م) وما كانت تعنيه تلك الزيارة، لا سيما بعدما أورد الاربلي إشارته لحمل "مظفر الدين" لمفاتيح اربل والقلاع التابعة لها وتقديمها إلى الخليفة[3].

وسعياً لبيان ماهية علاقة مظفر الدين بالسلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي، أشار إلى علاقة الخوارزميين المتشنجة بالخلافة العباسية واثر ذلك على اربل حليفة العباسيين. مستعرضاً طبيعة علاقة مظفر الدين بالخوارزميين، وما رافق ذلك من نشاط عسكري قام به في هذه الأطراف . وتطرق إلى جانب ذلك لطبيعة علاقة كوكبري مع أمراء الأطراف، مستعرضاً

[1] المصدر نفسه : ص١٤٥

[2] المصدر نفسه : ص١٥٢

[3] المصدر نفسه : ص١٧٨

العلاقة مع علاء الدين قراسنقر صاحب مراغة إلى جانب حديثه عن غزو بلاد أذربيجان ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥م[١].

وتناول فضلاً عن ذلك علاقة كوكبري بالإمارة القبجاقية في كركوك، وكذا الحال في علاقته بالملك الارتقي حسام الدين يولق صاحب ماردين، معولاً في تأكيد تلك العلاقة على قطعة نقدية نحاسية حملت اسم هذا الملك حسام الدين ومعه لقب صلاح الدين إلى جانب اسم كوكبرى[٢].

وجاء فصل الكتاب الرابع بياناً واضحاً لسيرة مظفر الدين كوكبرى ودوره في قيادة إمارة اربل، مشيراً إلى مكان وسنة ولادته. وما شهده من تنقلات في الأماكن أسفرت عن وصوله إلى منزلة حاكم إمارة مشيراً إلى ما حصل عليه من ألقاب بعضها فخرية، والى ذلك تحدث عن صفاته وسجاياه ورعايته لعامة الناس إلى جانب ذكره لأهم المشاريع الخيرية التي أقامها داخل وخارج اربل[٣].

ولكي يؤكد درجة تدين كوكبري، أشار إلى الاحتفالات الكبرى التي أقامها بمناسبة المولد النبوي الشريف فراح يفصل القول بما كان يعمد إليه هذا الاتابك من إقامة المهرجانات التي عرفت بها أربيل ، وكيف صارت المدينة ترتدي مظهراً يليق بتلك المناسبة الكبيرة. الكرنفالات وإلزام المدينة بلباس يليق بالمناسبة وغير ذلك من المظاهر[٤]، فكانت تلك الإيماءة من الدكتور لما كان يقوم به كوكبري من عمل الخير إشارة إلى انه ختم حياته بها. وبعد هذا الفصل من سيرة كوكبري، ذكر مؤرخنا مناسبة وفاته ومكان دفنه، مشيراً إلى تحديد مكان دفنه اذ أشار إلى ما ذكره المؤرخون الى وفاته في اربيل،ثم إلى دفنه في ظهر (النجف الاشرف)[٥]. وبذلك فهو ينهي

---

١ المصدر نفسه : ص١٨٩

٢ المصدر نفسه : ص١٩٧

٣ المصدر نفسه : ص٢١٥

٤ المصدر نفسه : ص٢٢٠

٥ المصدر نفسه : ص٢٢٢.

عهد اتابكة اربل بضمها إلى مملكة الخليفة العباسي في ١٧ شوال ٦٣٠ / ٢٦ تموز ١٢٣٣[١] ليبدأ مع هذا الطرح باب الكتاب الثاني مشيراً في فصله الأول إلى خطط مدينة اربل إذ فصّل فيها القول بخططها، متحدثاً عن القلعة والمئذنة المظفرية ومؤشراً تاريخيتهما إلى جانب إشارته لمعالم الحياة الاجتماعية مع تطرقه لأهم المؤسسات التي أنشأها مظفر الدين كوكبري في اربل بما في ذلك المارستان (المستشفى) والخانقاهات والملاجئ[٢] ، إلى جانب تطرقه لمصادر الحياة الاقتصادية في إمارة اربل مع تصديه للحياة الثقافية في اربل إبان العهد الاتابكي اذ تحدث عن أهم المؤسسات التعليمية بما فيها المساجد والمدارس ودور الحديث. إلا انه اعتاد التوقف عند أهم الشخصيات العلمية في تلك المرحلة وفي تلك المؤسسات، منوها بأدوارهم، والإفصاح عن أهم الأسر العلمية المعاصرة لتلك المرحلة، بما فيها أسرة أبن خلكان وابن المستوفي وأسرة ابن منعه، إذ تحدث بتفصيل عن أهم شخوص تلك الأسر ونتاجهم العلمي وإسهامهم الواضح في رفع مكانة تلك المدينة ورقيها [٣].

أما الفصل الثالث من هذا الباب، فقد جاء شرحاً وافياً لمجمل ما كانت عليه إمارة اربل من أدارة بفروعها المختلفة. فتحدث عن التنظيمات الإدارية والمالية والقضائية، منوهاً بأهم صلاحيات أمير اربل ومتطرقاً إلى الوزارة والحجابة وأهم من تواتر على تلك المؤسسات، كما أشار لوظيفة الطغراء (حامل الأختام الأميرية) وكذا الحال في إشارته إلى الوظيفة الاستادارية[٤]

---

١ المصدر نفسه : ص٢٣٣.

٢ لفظ فارسي يشير إلى دار الشفاء.

٣ المصدر نفسه : ص٣٢٤.

٤ أن لفظ "دار" يدخل في تكوين بعض ألقاب الوظائف في الدولة الإسلامية لا سيما في عصر المماليك، ويعد مشتقاً من المصدر الفارسي "داشتن" بمعنى التملك أو التصرف أو الضبط، ويختلف بعض المؤلفين المحدثين مع القلقشندي من أن لفظ "دار" ليست من الفارسية بقدر كونها من اللفظة العربية بمعنى القصر أو المحلة، وأن اللقب في أصله هو "أستاذ الدار". وقد استشهد بهذه النصوص من خلال تطور اللقب من "أستاذ الدار" إلى "استدار" للترجيح على كينونته العربية، ينظر ما أورده محمد مصطفى زيادة عند تحقيقه كتاب السلوك ؛الحارة (مجلة) العدد الأول، الرياض، ١٤٣٠

ووظيفة الاستيفاء وديوان الاهراء ـ لخزن الحبوب ـ وكذا الحال في إشارته لديوان الارتفاع المختص بالإشراف على ناتج الأرض. وتحدث أيضاً عن وظيفة القضاء مشيراً إلى أهم من تسنّمَ إدارته من رجال القضاء في اربل إبان تلك المرحلة، إلى جانب تطرقه لديوان النظر في المظالم فضلاً عن وظيفة الحسبة وما طرأ عليها من تطور تاريخي[1].

وتناول الجانب العسكري في إمارة اربل معولاً على إشارات، تحدثت عن معارك خاضها الأمير، من خلالها استنتج حجم جيش اربل ومقدرته العسكرية، ومشيراً إلى التكوين العنصري للجيش ونفقاته مع بيان (العلم) الذي كان يخص هذه الإمارة إلى جانب إشارته لديوان وخزانة السلاح منتهياً إلى توضيح طبيعة النقود والنظام النقدي الذي كان متبعاً في تلك الإمارة، محاولة منه لبيان أهمية النقود والنظام النقدي من إشارات تعكس الواقع الاجتماعي والاقتصادي والتاريخي للدولة

وبنفس حيادي، يرى مؤرخنا ضرورة البحث عن الحقيقة التاريخية من خلال الاستماع لما يقوله الطرف الآخر بشأن تراتبية أحداث تاريخ اربيل وعدم التعويل في كتابة هذا التاريخ على ما يقوله أبناء الكرد من المؤرخين فقط، وقد نوه بما يترتب على هذا النمط من الكتابة التاريخية من ايجابيات وسلبيات، فالمؤرخ الكردي الذي يكتب عن تاريخ بلاده، لربما تتقاذفه الأهواء او يمتنع أمامه قول الحقائق بتمامها لأنه لا يهوى وجودها في تاريخ بلاده. في حين يرى أن يكتبه الغرباء عن تاريخ الكرد، من المحتمل ان تأتي كتاباتهم أكثر موضوعية لعدم إحساسهم بالانتماء لهذا البلد، إلا اللهم إذا كانوا يحملون مآرب أخرى. وقد استشهد على هذه الحالة المرفوضة بما أقدم عليه من طرح الدكتور (سامي الصقار) حين كتب أطروحته عن تاريخ اربيل في العهد الاتابكي وتحت عنوان " اربيل في العهد العباسي " ومؤرخها " ابن المستوفي " مؤكدا قصر نظر الصقار في معالجاته لتاريخ هذه المدينة، بل ووصفه بضيق الأفق القومي، وهذا على ما يبدو قد دفع به أن يعمد الى خطوة علمية نقدية، كم نحن بحاجة إليها لتصحيح مسارات التاريخ والانتقال بأحداثه من السطح إلى الأعماق، لنستكشف بذلك جوهر الحقائق التاريخية لا

---

[1] المصدر نفسه : ص٣٥٠

قشورها، متأثرين بظرف معين زائل. وقد عرض موضوعة هذه الاطروحة، ممهداً لعرضه هذا بترجمة مقتضبة أفصح عن معرفته بالصقار منذ أيام دراسته في الماجستير، ومتابعة أخباره عن كثب من السعودية. وقد تبين لنا أن الدكتور تمكن من نبش المتراكم مما هيأه الصقار من معلومات عن مدينة أربل خلال تلك السنوات، فوجد في هذا المتراكم ما يدعوه إلى التصدي بحزم لطروحات خص بهذا الصقار هذه المدينة، وجدها بمثابة تجني عليها. لا سيما تلك الآراء التي يؤكد فيها على عدم وجود طابع قومي لمدينة اربل، اذ يرى ان الصقار في طرحه هذا كان يبتغي أهدافا عنصرية وربما سياسية بقوله " لم تكن اربل في يوم من الأيام ذات طابع قومي موحد"[1] ويشير الى آراء أخرى للصقار وجدها في غير مواضعها، فناقشها بروية وبالاستناد الى ثوابت تاريخية، بل ودعاه الى ضرورة ان يلتفت إلى بطلان مذهبه ويصحح ما أثير حوله، لأن ذلك أجدى من ان يلصق بغيره تهم وأمور لا يقوى هو نفسه على فهمهما وإدراكها، وقد نشر هذا الرد في مجلة الأكاديمية الكردية التي تصدر في أربيل.

سادسا ـ في كتابه : " الاستشراق..رؤية شرقية "

في كتابه هذا ادر عن دار الوراق سنة٢٠١١، نتلمس محاولة جادة لإيجاد فهم جديد لماهية ما يجب أن تكون عليه العلاقة المتبادلة بين المثقف المسلم من جهة، وبين المستشرق الذي تصدى لدراسة تاريخنا الإسلامي، وما ترتب على ذلك من إشكالية جعلت من مصطلح الاستشراق عند الكثيرين، بمثابة توجه لا يخدم سوى المصلحة الغربية بما في ذلك الاستعمار وتفرعاته.

يؤكد الدكتور محسن على أن الاستشراق كان قد تحول الى حقل معرفي مميز، له مناهجه وأطره ومدارسه الجديرة بالتمعن والتفاعل، كما تحولت بعض جوانب اهتماماته الى مراكز علمية ثقافية تتم فيها دراسة تلك الجوانب بشكل جماعي . ويرى ان الاستشراق بات أهم مصادر التثاقف المتبادل بين ما يسمى (الغرب) وبين ما يسمى (الشرق)، الى جانب إشارته لأعداد من

[1] محسن محمد حسين، اربيل في العصر العباسي، محاولة لخلخلة التاريخ، مقال في مجلة الاكاديمي الكوردية، العدد١٣، اربيل، ٢٠٠٩، ص٢٣٠.

المعنيين بحقول المعارف التي تتجدد مع الزمن[1]. مستعينا في ترصين ما يذهب اليه بالاشارة الى ما أشار إليه المستشرق الفرنسي (جان بيرك)، وما ذكره "أنور عبد الملك" في مقاله " الاستشراق في أزمة " وما أشار إليه "أدورد سعيد"[2] و"أرفن جميل شك "[3] في كتابه " الاستشراق جنسياً "[4]

ومن خلال طرحه لتساؤلات جريئة أخذت عنوانا لمبحث، بدا الدكتور وكأنه يبتغي الكشف عن حقيقة غمطها أهلونا ممن عني بكتابة التاريخ الإسلامي، تلك الحقيقة المتمحورة حول ماهية الاستشراق وحقيقة نوايا القائمين عليه. وفي هذا السياق يقول متسائلاً ((ما المطلوب منا ان نعمله ؟))[5] مؤكدا على ضرورة فهم ما يجب أن يتخذ من موقف إزاء الاستشراق، انطلاقا من مبدأ المثاقفة ونقد ما ترسخ في الذهن من أمور ينظر إليها بوصفها قطعية لا تقبل النقاش، أو إن الجدال فيها بات من المحرمات. ومع هذا المتغير الذي يطرحه الدكتور والمتضمنه لرؤيته للاستشراق، فأنه لا ينكر ان يكون في مخرجات الاستشراق، ما هو ضد الإسلام والمجتمع الإسلامي، بل وصل به الأمر ان يصف البعض من المستشرقين ممن اعتمد نظرة استعلائية في رؤيته لتاريخ الإسلام والمسلمين، بالغطرسة، ولكي لا يترك المجال واسعاً ورحباً لمن يتقول على طرحه إزاء ظاهرة الاستشراق والمستشرقين، أكد على عدم موضوعية تقبل تخريجات المستشرقين كلهم، لا سيما تلك المتعلقة بالتقليل من شأن الإسلام وقادته الكبار، منوهاً بدراسات صدرت وهي تحمل هذا المعنى كما في كتاب " على درب الله، الإسلام والسلطة السياسية " لـ " دانييل بايبس"[6] . معتبراً ما ورد

---

[1] محسن محمد حسين : الاستشر اق برؤية شرقية، دار الوراق، لندن ٢٠١١، ص١٥،.

[2] إدوارد وديع سعيد (١ نوفمبر ١٩٣٥ – ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٣) أستاذ الأدب المقارن في جامعة كولومبيا، الكاتب والناقد والأكاديمي الفلسطيني الأمريكي المعروف.توفي بمرض اللوكيميا.

[3] كاتب وناقد تركي

[4] محسن محمد حسين، الاستشراق، محاولة للفهم ولردم الهوة، ، ، ص٤

[5] المصدر نفسه : ص١١

[6] دانييل بايبس: **Daniel Pipes** ولد في (بوسطن) يوم ٩ سبتمبر ١٩٤٩. مؤلف ومؤرخ أمريكي وعالم دراسات إسلامية، نشر له ١١ كتاباً، أنهى دراسة التاريخ عام ١٩٧١ في جامعة (هارفارد) وحصل على الدكتوراه عام ١٩٧٨، درس ست سنوات في الخارج بما في ذلك مصر، بعد ذلك عمل أستاذاً في عدة جامعات في الولايات

في تضاعيف هذا الكتاب، لا يعدو أن يكون مجرد غطرسة حين اعتقدوا أن المسلمين لا يمكنهم تمثيل أنفسهم وحري بالآخرين تمثيلهم

لينتهي الى القول بإن الاستشراق يمكن ان يوضع داخل مفاهيم او معان او مواصفات بوصفه نظاما أكاديميا لدراسة وفهم الشرق[1] .

والى ذلك وجد ضرورة الإشادة بمجهودات المستشرقين من دون ان يستثني احدا منهم، وهو ما تطرق إليه ضمن مبحث أشار فيه الى تلك المجهودات، معولا على جملة آراء لمعنيين يالتراث الإسلامي وشؤون الاستشراق والمستشرقين من آهل الشرق، فأشار الى ما ذكرته الدكتورة بنت الشاطيء (عائشة عبد الرحمن) منوها بما تطرقت إليه في محاضرتها التي ألقتها في الموسم الثقافي في الكويت سنة ١٩٥٧حين طرحت مقارنة بين ما فعله المستشرقون بالمخطوطات، وما فعله المسلمون عندما اطلعوا على تراثهم بقولها الذي ورد في كتاب عبد الله علي[2] ((إننا مدينون للمستشرقين بجمع ذلك التراث وصونه من الضياع...))[3].

والى ذلك أشار الدكتور محسن الى ثناء الدكتور زكي مبارك على جهود المستشرقين، حين أنصفهم بقوله : ((إنهم خدموا الإسلام ـ بخصومتهم له ـ أجل الخدمات، فقد عمدوا إلى القرآن [4]الكريم والحديث فطبعوا كل ما هو من جيد المؤلفات وفهرسوها وبوّبوها ورتبوها ترتيبا تعجز عنه مشيخة الأزهر الشريف))[5].

المتحدة الأمريكية كما عمل مع وزارة الدفاع الأمريكية في فرقة العمل الخاصة المعنية بالإرهاب والتكنولوجيا، وهو مؤسس ورئيس (منتدى الشرق الأوسط) يكتب بشكل منتظم في (الجيروزليم بوست)الإسرائيلية، كما يكتب أحيانا لـ(واشنطن بوست) و (نيو يورك تايمز)، من المنتقدين البارزين للإسلام بشكل عام.للمزيد انظر كتابه : الإسلام والحضارة الغربية.الطبعة الخامسة (بيروت : ١٤٠٢ –١٩٨٢)

[1] المصدر نفسه : ص١٧

[2] الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٣، ص٥٢.

[3] نقلا عن محسن محمد حسين : المصدر نفسه، ص٢٥.

[4] المصدر نفسه : ص٢٩

[5] في كتابه : المستشرقون والاسلام، دار المنار، القاهرة، ١٩٣٦.

وتواصلا في سعي الدكتور محسن في تعزيز رؤيته للمستشرقين، عرج على رؤية الكثير من المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين ممن اثنوا على جهود الاستشراق والمستشرقين، كما هو الحال في إشارته إلى ما قاله محمد كرد علي[1] وكذا الحال في الإشارة لما أبداه (يوسف أحمد داغر) من إعجاب بأعمال المستشرقين، وما قاله الدكتور (صلاح الدين المنجّد) والدكتور (محمد يوسف موسى) من إنصافهم الى جانب ذكره لإشادات العديد من أساتذة التاريخ والمعنيين بكتابته، منتهيا بما أشار إليه الدكتور محمد عمارة عام ٢٠٠٥ في كتابه (الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وأنصاف العلماء) تحت عنوان (شهادات غربية لكوكبة من علماء الاستشراق في إنصاف الإسلام)[2] .

وفي مبحث أخر من كتابه، تساءل الدكتور عن بداية الاستشراق، ملغياً ما درج عليه القول من اعتبار الاستشراق قد بدأ قبل ثلاثة عشر قرنا، ومن اجل ذلك بحث فيما يراه بالجذور التاريخية لحركة الاستشراق، منوها بأثر الفتوحات الإسلامية وما نتج عنه من انتشار للإسلام وما ترتب على هذا الأمر من ظهور مواقف معادية وعقائد متقاطعة مع الفكر الإسلامي. وأشار الى ما عمد إليه القديس يوحنا الدمشقي (٦٧٦ هـ - ٧٤٩هـ) أحد رجالات بلاط معاوية بن أبي سفيان من جمع معلومات عن الدين الإسلامي من خلال اتصالاته بمفكري الإسلام ورجالات الدولة الأموية ، بحكم موقع اسرته الوظيفي. وفضلا عن ذلك اشار الدكتور الى ما قاله أبو ريده بشأن اثر اختلاط العرب بغيرهم في الشام في تحريك العقول. ووجد الدكتور ان هؤلاء الرجال الكنسيون، ويخص الدمشقي بالذكر بأنهم أعطوا معلومات مغلوطة عن الرسول (ص) اذ استعرض الكثير من تلك الروايات المتضمنة تشويه لسيرة الرسول والإسلام.

وأسهب الدكتور في بيان الجذور التاريخية للاستشراق موضحا ومشيرا الى ما قاله العديد من المعنيين بهذا الموضوع، منتهيا الى التلويح الى ان ظاهرة الاستشراق نتيجة طبيعية لحركة الفتوح

---

[1] من كرد العراق، رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق.

[2] محسن محمد حسين : المصدر نفسه، ص٣٥

الإسلامي وما ترتاب عليه من هيمنة عربية إسلامية على المجتمعات المسيحية، على فرض ان الجيش العربي الإسلامي، جيش غازي ولا يريد للشعوب الراحة والاطمئنان.

والى ذلك، يبدو ان قناعة الدكتور بأهمية المستشرقين، دفعته الى بيان ما اثرى به هؤلاء المستشرقين، المكتبة العربية بمعلومات مختلفة ومهمة عن جغرافية وتاريخية بلاد فارس

وهنا يقف الدكتور أمام صورة تاريخية رسمها بمخياله، أشار فيها إلى المسار البياني لعلاقة الفرس بالمجتمع الإسلامي، مؤكدا على موقفهم المتشنج الذي ظهر عليهم إزاء المسلمين، وكيفية تلاشي هذا التشنج، بل والإسهام الواضح في بنية الدولة الإسلامية من خلال المساهمة الجادة في تأسيس الدولة العباسية وتشكيلها[1].

ويستحسن أن نوجز ما أراد الدكتور من القول إزاء النظرة إلى الاستشراق بأن الغربيين وبعد وقوفهم أمام قوة المسلمين ممن امتلكوا حضارة حين أخضعوهم، شعروا بصعوبة الوقوف على سر قوة تلك الشعوب، فقرروا العمل المضني لاكتشاف هذا السر، وعمدوا إلى البحث في جغرافية تلك البلاد والتعرف الى لغاتهم وآدابهم وعلاقاتهم الاجتماعية ، والأكثر من ذلك، فأن الصعوبة كانت تكمن في كيفية تعاطي الغرب مع هذا المتغير وراحوا يتساءلون عن سر قوة هذه الجماعة التي استمرأت الفتوح وضم أراض الآخرين الى أراضيهم[2].

ويرى الدكتور ان تلك المعطيات والرغبة الجامحة للوقوف أمامها ، مضاف إليه الثقة التي تعززت لدى الغربيين (المسيحيين) حين تمكنوا من إخراج المسلمين من بلاد الأندلس عام ١٤٩٢، كل ذلك ولّد لدى الطرف الآخر الرغبة لفهم طبيعة المسلم والمسلمين، في الوقت الذي لم يغفل الإشارة الى محاولات الغرب في إيجاد غطاء إيديولوجي لتمهيد الطريق للسيطرة على أراضي إسلامية، معوّلين في تحقيق ذلك على السبل كافة[3]، اذ تبلور ذلك في تأسيسهم للكليات والمعاهد وتدشينها لتعليم لغات المسلمين. ويبدو ان الدكتور اراد بيان التدرج التاريخي لاهتمام الغربيين

---

[1] المصدر، نفسه : ص٥٥

[2] المصدر نفسه : ص١١١

[3] المصدر نفسه : ص١١

بتراث الشرقيين، مشيرا الى ان تدشين الاقسام العلمية وكراسي الاستاذية لدراسة اللغة العربية والاسلام وتاريخه في الجامعات الأوربية الكبرى، كل ذلك كان يمثل النشأة الحقيقية للاستشراق[1].

ويمضي الدكتور في بيان التسلسل التدريجي لظاهرة الاستشراق بعد ان أشار الى بدايتها اذ تحدث عن التفاعلات والمتغيرات السياسية التي عمت اوروبا، بما في ذلك سقوط القسطنطينية وما مثّله من ردة فعل في كل أرجاء أوروبا. ونتيجة لذلك، أكد الدكتور على ظهور طبقة رجال دين متشددين إزاء الإسلام، حملوا في جعبتهم تساؤلات تمحورت حول العمل على فهم اسباب قوة المسلمين، مع الالتفات بتركيز الى ماهية كتاب الله الكريم وسيرة الرسول الأعظم (ص)، مستعرضا أراء هؤلاء المستشرقين فيما يتعلق بطبيعة الدين الإسلامي والمسلمين. مضاف الى ذلك، إشارة الدكتور الى جملة انتقادات وجهها البعض من هؤلاء المستشرقين الى البعض منهم، بسبب عدم قناعتهم بما أودعوه من آراء يخص الفكر الإسلامي، كما هو الحال في النقد الذي وجهه المستشرق (يوحنا فون سيغوفيا) الى المعنيين السابقين للدراسات الإسلامية، مؤكدا ان التبشير في بلاد الإسلام اثبت فشله، ويؤكد عدم جدوى الحرب او العنف في نشر المسيحية في بلاد الإسلام . ومن ذلك يرى ضرورة إيجاد أساليب ناجعة أخرى للاتصال بالمسلمين[2]. ومن هنا يرى الدكتور محسن وبناء على تلك المعطيات التي يمكن تلمسها من هذا المستشرق ومن البعض من غيره، ان الاستشراق لم يكن في كل الاحوال، اداة مغرضة غير مفيدة كما يرى الكثيرون ، والى ذلك أشار الى ما ذكره المستشرق (توماس كارليل Thomas Carlyle)(١٨٨١-١٧٩٥) من رؤى واقعية ومبهجة عن شخصية الرسول الاعظم[3]، الى جانب اشارات الدكتور الى الكثير من الرؤى والأوصاف التي طرحها مستشرقون ترتقي الى مستوى وصف الرسول ودينه الحنيف، حين ضمنوها مفاصل لكتبهم ومؤلفاتهم.

---

[1] المصدر نفسه : ص١١٢ا

[2] محسن محمد حسين : المصدر السابق، ص١١٦.

[3] المصدر نفسه : ص١٦١.

وفي مبحث حمل عنوان " في المرايا المحدبة لا يشبهنا أحد " حاول الدكتور إثبات وجهة نظره إزاء الاستشراق والمستشرقين، وهي نظرة بالتأكيد مغايرة لمنطق الكثير من العراقيين المعنيين ممن وجدوا مجمل النوايا الخبيثة في تلك المؤلفات، مستغربا من البعض من الكتاب المسلمين الذي يأخذون على المستشرقين تناولهم مفاصل الدين والمجتمع الاىسلامي على أساس نظرتهم وفهمهم الغربي للدين الإسلامي، مما يؤكد على وجود أكثر من ثغرة في هذا التعاطي، فضلا عن إشكاليات أخرى وجدت لها متنفساً في التعاطي مع مادة التاريخ الإسلامي، الامر الذي يجعلهم في بعض الأحيان منغمسين في قضايا وإشكاليات، باتت عنوانا للعديد من موضوعات الكتاب المسلمين ممن لهم موقف متقاطع مع هؤلاء المستشرقين.

وامام ذلك يقف الدكتور محسن متسائلاً عن الآلية التي يمكن ان ينظر بها الى ما يطرحه المستشرقون من أفكار ورؤى إزاء الإسلام، أو إلغاء العاطفة المتحكمة في الأحكام على ما يطرحه المستشرقون ؟ وكأنه يوجه خطابا الى المعنيين بدراسة التراث الاستشراقي، يحثهم على مراجعة ما أصدروه من أحكام وما سطروه من رؤى وافكار، هيأت لأرضية معادية لكل ما يطرحه هؤلاء المستشرقين، وبهذا الصدد يقول : ((هكذا يكرس هؤلاء المبتلون بهوس، او بـ (قوبيا الاستشراق)، ويُحدِثون ضجيجا يصم الآذان في طروحات بالية تدعو الى ضرورة استمرار القطيعة ووضع عراقيل لا يمكن تذليلها تمهيدا للتلاقي والتحاور والتفاهم. فهم بهذا الهوس، وجوّ الارتياب يخلفون في مخيلتهم صورة وردية عن شرق متخيل لا يجوز لأحد مسّ تراثه سوى ابنائه، بل إنهم يدعون الى المزيد من القطيعة والتحجر والتقوقع))[1].

ويتطرق الدكتور الى موضوعة الاستشراق والتبشير، وهو استكمال لما طفق عليه من الوقوف بوجه نبذ وانتقاد التوجه الاستشراقي يقوله ((لم نقرأ أن مستشرقاً أدخل أناسا الى دينه، فللمستشرق اهتماماته العلمية الخاصة، ولهذا فالزوابع التي أُثيرت حول دور المستشرقين التبشيري، لهي زوابع مفتعلة، الغرض منها هو تخويف الناس (بفزاعة وهمية) لكي لا يطلعوا

---

[1] المصدر نفسه : ص١٧٣.

علـى النتـاج المعـرفي الـذي توصـلوا اليــه، وهـم ـ أي كتابنـا ـ يربطـون بـين أمـرين بعيـدين عـن بعضهما))[1]

وقد استعرض عدد مما كتبه كتاب عراقيون وعرب، أشاروا الى تلك التوجهات عنـد المستـشرقين، محاورا تلك الآراء ومفندا بعضها. ومع ذلك فما أبداه الدكتور من اراء وطروحات بشأن الاستشراق وضرورة إعادة النظر في تلك النظرة، لا تعني التسليم بعدم نشر هؤلاء الديانة المسيحية عن طريق التبشير، بل إنه يؤكد على ((أن مساعي المبشرين ربما نجحت في نشر المسيحية في أماكن او بقـاع هامشية بعيدة عن قلب العالم الإسلامي، فترك البعض القليل عقيـدتهم وتـأثروا بالمبـشرين مثـل سكان الهند الشرقية (اندونيسيا) او أطراف الـصحراء الإفريقيـة الجنوبيـة الكـبرى او في بعـض أجزاء سـواحل إفريقيـا))[2]. ويـرى الـدكتور أن الـذي يـترك ديانتـه في مقابـل التـأثر بمـا يقولـه المستشرقون، انما يصنف مسلما بالوراثة ولم يدخل الإيمان الى قلبـه، معـولا في تأكيـد مـا يـذهب إليه على الاية الكريمة { قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا ولما يـدخل الإيمـان في قلوبكم }[3].

وفي مبحث حمل عنوان (الاستشراق، العنصرية والحقيقة) يقف الدكتور محسن عنـد مـا يـراه من المسوغات لدي الغربيين لكي يطرحوا أفكارا ورؤى إزاء الإسلام والمسلمين، يمكن تلمـس نوعـا من العنصرية والتعالي فيها، ويرى مرد ذلك الى ما يـشعر بـه هـؤلاء مـن المستـشرقين مـن تطـور بلـدانهم ورقـي حـضارتهم الغربيـة، مـع عـدم إغفـالهم مـا ترتـب علـى حركـة الفتـوح العربيـة الإسلامية في تحرير بلاد الشام والرافدين ومصر، الى جانب عدم نسياهم ذكريات الحكم العربي الإسلامي في الأندلس ووصول الجيوش الإسلامية الى أبواب فينا، يضاف الى ذلـك، فقـد تنـاهى الى مسامع الغربيين من خلال ما أوردته مصادرهم، روايـات تقـول بـسذاجة العربـي المـسلم وبعنفـه وغبائه ومـا الى ذلـك ممـا يحـول دون تطـويره، وهـي أشـياء بالتأكيـد يراهـا الـدكتور لا تنـسجم

---

[1] محسن محمد حسين : المصدر نفسه، ص ١٨٣

[2] المصدر نفسه : ص١٩٠

[3] الحجرات /١٤

والمنطق، ومع ذلك فهو يرى ان ما عمد اليه المسلمون من توسمهم لأساليب لنشر الدين الاسلامي في بلاد الغرب، هو ذات الامر يبرر للمسيحيين نشر ديانتهم في بلاد ويبقى الفارق هو الحرية المكفولة لهذا التحرك. اذن فلا غرابة من ان يعمد المستشرقون الى نشر الدين المسيحي، وهو أمر غير صحيح لأنهم ليسوا بمبشرين، على ان من المفارقات الكبرى هو القول بأن أخطر تهمة توجه الى المستشرقين، هو تهمة (التبشير) اذا ما اقتنع الطرف الآخر بطرحهم[1].

وفي السياق نفسه من رؤية الدكتور لماهية الاستشراق، افرد بحثا أسماه بـ (المستشرقون في سلة واحدة) أكد فيه على ضرورة التمعن في المواقف من الاستشراق والمستشرقين، بحيث لا يمكن ان تطلق تلك الآراء جزافا، فتعود علينا بمردود متشنج وغير علمي. فهو يحذر من ((القفز على ـ أو نحذف ـ ما لا يعجبنا أو ننتقي من التراث ما فيه إساءة لكي نبرهن أن المستشرقين أناس غير جديرين بالثقة فيهم، وهم لا هم لهم سوى الطعن بعقيدتنا وتراثنا وما يتفرع عنهما. فليس من الصواب أن نتعرض للمستشرقين بالاستناد على عواطفنا، كما فعل العديد ممن كتب عن هذا الموضوع[2] .

ويحاول الدكتور أن يؤسس رؤية تميز بين النظر الى الغرب على انه يمثل المجتمع الذي ينظر إلى الإسلام بريبة وتوثب للانقضاض على بلاده، وبين النظر الى الاستشراق والتيقن من انه جزء من الغرب، وليس من الموضوعي النظر إليه بوصفه تجسيد لماهية الغرب وتطلعاته إزاء شعوب العالم الآخر فـ ((الغرب ليس وحدة كلية ثابتة، اذ فيه فضاءات متعددة، تأسست منذ بداياته الحديثة، على الاختلاف والصراع والتوتر))[3]. وهذ ا ما يفسر اندفاع البعض ممن ينتقد

---

[1] محسن محمد حسين : المصدر نفسه، ص ٢١٣

[2] ينظر على سبيل المثال ما كتبه الدكتور حسين الهراوي في مجلة الهلال سنة ١٩٤٣ وما جاء على لسان محمد عزت إسماعيل الطهطاوي في كتابه التبشير والاستشراق وكتاب (المستشرقون ومنهج التزوير) و(التلفيق) لـ طارق سري وكتاب (الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية) للكاتب الدكتور قاسم السامرائي وكتاب الدكتور سعدون الساموك " الوجيز في علم الاستشراق " وكتاب (آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم) للدكتور جابر قميحة وكتب عبد الله عبد الحي محمد " التبشير والاستشراق "

[3] محسن محمد حسين : المصدر نفسه، ص٢١٨

الاستشراق، الى معاداة الغرب، وهذا ما يوجب الامتناع عن وضع المستشرقين جميعا في سلة واحدة[1].

ويفصح الدكتور عن روحه الوثابة الى السلام والتعايش مع الآخر، انطلاقا من فهمه ان العلاقة بين الامم وان البناء الحضاري للمجتمعات لا يمكن أن تدوم إلا بالتفاهم والتواؤم وفهم الآخر، وهذا ما جسده في مبحث اسماه " ما الغاية من الحوار، ومن يحاور " اذ يؤكد أن الحوار الراقي يخلق لغة حضارية ومصطلحات جديدة بل ومفهوما جديدا للمثقف، كلا طرفي الحوار يغنيان الفكر الإنساني وهما يكملان الآخر[2]. ويشير الدكتور الى اراء مؤرخين ومفكرين إلى ما يذهب إليه من التعاون والتجاذب بين الأطراف بغية البناء الحضاري، كما هو الحال فيما ذهب إليه ابن خلدون في مقدمته[3]، وما ذهب إليه ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد[4] . ويؤكد الدكتور ان القطيعة بين الأطراف ليس حلاه. فالإنسان الواعي، المسلح بالعلم وبثقافة عصره، هو المهيأ لفهم عقلية الآخر، هو المستعد لمخاطبة ناسه، ومخاطبة الآخرين وباللغة التي يفهمها ويفهمونها[6]. ويرى الدكتور ان الصراع لا بد ان يكون فيه منتصر، والصراع الفكري هو الأشد، ومن أجل إثبات الذات ومواجهة التحدي الفكري، يؤكد الدكتور على ان المرحلة الأولى في هذا الصراع او التجاذب الفكري، هو معرفة قوة الطرف الأخر، وهذا ما اعتمده الغرب في السيطرة على بلدان العالم الثالث، وكل ذلك يراه الدكتور محصلة مخططات علمية ممنهجة سار عليها الغرب في سيطرته على الشرق، مما يشير الى وجود عالمين متباعدين في التقدم الحضاري بكل مفاصله. وتصور الدكتور وأمام هذا التقدم الغربي والتطور، وأمام هذا العداء المستحكم بين المجتمعين، ان بعض الكتاب طرحوا فكرة ضرورة وجود دين معاد للحضارة الغربية يضع لتحركها حدودا لكي لا

---

[1] المصدر نفسه : ص٢٢٠

[2] المصدر نفسه : ص٢٢٣

[3] طبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٩، ص١٠٤٧

[4] طبعة القاهرة، ١٩٤٢، ٣/ ٤١٥.

[5] محسن محمد حسين : المصدر نفسه ٢٢٧

[6] المصدر نفسه :ص٢٣٢

تنقلب حركتها الى فوضى، وان الدين الإسلامي هو خير من يمثل هذه المهمة، ونفس الفكرة تجلت عند هنتنغتون في كتابه " صدام الحضارات " وكذا الحال بالنسبة لما اشار اليه " لورانس براون في كتاب صدر له في لبنان عام ١٩٤٤. ومن ذلك فالمنطق يقضي بضرورة معرفة الطرف القوي، ماهية الطرف الآخر، ويحتاج الى دراسة طبيعته وفهم كل ما يتعلق بتاريخه وعقائده وقيمه وعاداته وتقاليده، وخير من يعتمد لهذه المهمة هم علماؤهم ممن أطلق عليهم صفة الاستشراق.

ويبرر الدكتور ما يقال من توظيف الدول الغربية لعلمائها ـ المستشرقين ـ والاستفادة من نتاجهم العلمي خدمة لمخططاتهم المستقبلية ومنها حركة الاستعمار، ومن غير المنطق أن يمنع هؤلاء حكوماتهم من الاستفادة مما اوردوه في مؤلفاتهم ومذكراتهم[1].

ويرى ان الإبداع الذي اصبح سمة العصر عند الغربيين وانعكاس ذلك على مختلف جوانب الحياة للمجتمعات الغربية، كل ذلك يعود الى الحرية التي تمتعت بها تلك المجتمعات وهذا ما تطرق اليه في مبحث اسماه بـ " الحرية والعقل صنوان "، والى ذلك يطرح الدكتور تساؤلا يبحث عن إمكانية قيام اهل الشرق بدراسة الآخر، أي دراسة مجتمعات وثقافات بلدان (المستشرقين)، على انه وعلى الرغم مما يراه البعض من الكتاب العرب والمسلمين من عدم قيام مثل هذا التوجه، يجد الدكتور تلك الإمكانية، اذ يرى امكانية قيام مفكري الشرق بدراسة ما لدى الغرب من ثقافات ومناهج واستيعابها ونقدها، ومحاولة الانتفاع منها، ولا يجد ضيرا في دراستها وفق العقلية الشرقية ومن منظور شرقي[2] .

وفي موضوعة كتابه الأخير والمعنون بـ " نُبذ عن انجازات بعض كبار مستشرقي القرن العشرين " واستكمالاً لما أورده من مادة عول فيها كثيراً على فهم ظاهرة الاستشراق، وجدناه يفصل القول في بيان أهم من سار على نهج هذه الظاهرة ، فكان له في ذلك باع طويل، منتقياً من بين هؤلاء عدد ممن اعتقد بأرجحية ما قدموه من مادة أسهمت بشكل كبير في عملية التلاقح الفكري بين الشرق

---

[1] المصدر نفسه : ص٢٤٣.

[2] محسن، محمد حسين : المصدر نفسه، ص٢٥٨

والغرب إلى جانب إشارته إلى أن هؤلاء كانوا ولا يزالون يمثلون مصادر مهمة لا يمكن الاستغناء عنها في جانب مهم من جوانب التاريخ الإسلامي. وكان انتقاؤه لبعض هؤلاء دون الإشارة لمجملهم من المستشرقين، قد بُني على أساس علمي، آخذاً بنظر الاعتبار ما قدمه هؤلاء من دراسات أجمع الدارسين على أهميتها في مجال كتابة التاريخ العربي الإسلامي. فكان من بينهم المستشرق الألماني " تيودور نولدكه"[1] (**Theodor Noldeke**) (١٨٣٦ ـ ١٩٣٠) مشيراً إلى كتابه " تاريخ القرآن "[2] وكذا الحال مع المستشرق "اكناز جولدتسيهر، أجنتس[3] **IgnazGoldziher** ومن كتبه المشار إليها " الظاهرية : مذهبهم وتاريخهم " وكتابه "محاضرات في الإسلام" و" اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين ". والى ذلك ذكر من بين هؤلاء المستشرقين، كارل بروكلمن[4] "**Carl Brockelmann** " صاحب كتاب (تاريخ الأدب العربي) بأجزائه الستة إلى جانب كتابه الضخم " تاريخ الشعوب والدول الإسلامية" المطبوع عام

---

١ مستشرق ألماني (توفي سنة ١٩٣٠، درس في عدة جامعات ودرس اللغات السامية والتاريخ الإسلامي.

٢ رغم مرور أكثر من قرن على صدور «تاريخ القرآن» للمستشرق الألماني تيودور نولدكه ١٨٣٦ ـ ١٩٣٠، إلا أنه لم يترجم إلى العربية إلا مؤخراً على يد جورج تامر أستاذ الفلسفة في إحدى الجامعات الألمانية. وقد أثار صدور هذا الكتاب الضخم المؤلف من ٨٤١ صفحة الكثير من التساؤلات والاحتجاجات المتناقضة، عندما طلبت إحدى المرجعيات الدينية في لبنان من الجهات المختصة منع تداول الكتاب وسحبه من المكتبات لأنه، حسبما ذكر «يطعن بالقرآن الكريم وبالنبي (ص) وبأمهات المؤمنين، ويثير النعرات الطائفية ويمس مشاعر المسلمين »..

٣ إجنتس جولد تسهير (١٨٥٠ – ١٩٢١) مستشرق يهودي هنغاري. يعد على نطاق واسع من بين أهم مؤسسي الدراسات الإسلامية الحديثة في أوروبا. تلقى تعليمه في جامعة بودابست، برلين، لايدن، بدعم وزير الثقافة الهنغاري. وتحت رعاية الحكومة الهنغاريه، بدأ رحلة عبر سوريا وفلسطين ومصر، واستغل الفرصة لحضور محاضرات المشايخ المسلمين في مسجد الأزهر في مدينة القاهرة. وكان أول يهودي في العالم يصبح أستاذا في جامعة بودابست (١٨٩٤) وممثلاً للحكومة الهنغاريه واكاديميه العلوم في مؤتمرات دولية عديدة، يتسلم الميدالية الذهبية في شرقي مؤتمر ستوكهولم عام ١٨٨٩. وأصبح عضوا في العديد من الجمعيات في هنغاريا وغيرها، للمزيد ينظر : أحمد عبد الحميد غراب : الإستشراق ؛ رؤية إسلامية، الطبعة الثانية، لندن، المنتدى الإسلامي، ١٤١١ه

٤ كارل بروكلمان (**Brockelmann Carl**) (١٨٦٨ – ١٩٥٦) أكبر باحث عرفته الجامعات الأوروبية في النصف الأول من القرن العشرين في مجالات الدراسات السامية.

١٩٣٦. كما أشار في هذا السياق أيضا إلى المستشرق الايطالي نلينو،كارلو الفونسو[1] ـ Carlo Alfonso صاحب كتاب" نظام القبائل العربية في الجاهلية " وتحدث فضلاً عن ذلك عن المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون[2] Louis Massignon (١٨٨٣ ـ ١٩٦٢) مشيراً إلى دراساته المتعددة في تاريخ الفكر الإسلامي ومنوهاً بكتابه " بعثة أثرية في العراق " وكتابه " هجرات الموتى في بغداد " و" عذاب الحلاج والطريقة الحلاجية " إلى جانب مراسلاته مع المؤرخ العراقي عباس العزاوي[3] حول بعض الطروحات التاريخية[1]، وغير ذلك الكثير من الموضوعات

---

[1] نَلّينُو(١٢٨٨ ـ ١٣٥٧ هـ= ١٨٧٢ ـ ١٩٣٨ م) كارلو ألفونسو نلينو Nallino Carlo Alfonso مستشرق ايطالي. كان غزير العلم بالجغرافية والفلك عند العرب، عارفاً بالإسلام ومذاهبه، كثير التتبع لتاريخ اليمن القديم وخطوطه ولهجاته، ينظر للمزيد : أبو الحسن الندوي : الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣.

[2] مستشرق فرنسي(١٨٨٣ – ١٩٦٢) – يعد من أهم مستشرقي فرنسا وأشهرهم، شغل مناصب عديدة مهمة مثل مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقيا، وكذلك الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر. تعلّم لويس العربية والتركية والفارسية والألمانية والإنكليزية وعني بالآثار القديمة، وشارك في التنقيب عنها في العراق (١٩٠٧ – ١٩٠٨) اذ أدى ذلك إلى اكتشاف قصر الأخيضر. درس في الجامعة المصرية القديمة (١٩١٣) وخدم في الجيش الفرنسي خمس سنوات خلال الحرب العالمية الأولى. استهواه التصوف الإسلامي فدرس "الحلاج" دراسة مستفيضة ونشر "ديوان الحلاج" مع ترجمته إلى الفرنسية وكذلك "مصطلحات الصوفية" و"أخبار الحلاج" و"الطواسين"، كما كتب عن "ابن سبعين" الصوفي الأندلسي، وعن "سلمان الفارسي". تولى لويس تحرير "مجلة الدراسات الإسلامية" وأصدر بالفرنسية "حوليات العالم الإسلامي" حتى عام ١٩٥٤: ينظر عباس العزاوي ومراسلاته مع لويس ماسينيون، مخطوط في مكتبة المجمع العلمي العراقي توجد نسخة مصورة من هذا المخطوط في مكتبتنا (د.أحمد الغريري)

[3] يعد عباس العزاوي (١٣٠٧ – ١٣٩١) أحد أبرز المؤرخين العراقيين في العصر الحديث، ولكنه يكاد يكون أقل شهرة – من غيره – بين المثقفين، بل وحتى المتخصصين في التاريخ، اللهم إلا أن يُعرف عنه عنوانان من عناوين كتبه، وهما "تاريخ العراق بين احتلالين" و"عشائر العراق". لكن المطلع على كتب الببيبلوغرافيا يجد العزاوي في مقدمة مالكي المخطوطات، ليس على مستوى العراق فحسب، بل على مستوى الشرق الأوسط.. فحسبك أن تعلم أن ممتلكات العزاوي من المخطوطات فاقت الثلاثة آلاف ، حتى أضحى اسمه يقارن بالأب انستاس الكرملي (ت

والرموز الدينية والفكرية الإسلامية. وتناول أيضا المستشرق الهولندي " فنسنك[2] Arent Jan Wenstinek " منوهاً بأهم كتبه " العقيدة الإسلامية : نشأتها وتطورها التاريخي " ومحاوراً بعض طروحاته[3]، وكتابه "فكر الغزّالي" في حين أشار إلى مؤرخ اليهود واهم من اشتغل باللغات السامية ، وهو" فلهاوزن"[4] Julius "Wheelhouse عندما أشار إلى أهم ما ألفه،

١٩٤٧م) في ملكية المخطوطات ينظر كتابنا : عباس العزاوي، حياته، آثاره، منهجه في كتابة التاريخ، بغداد، ٢٠٠١.

[1] انظر المصدر نفسه، ص٩٨.

[2] فنسنك vensinek واضع الأساس الأول للمعجم المفهرس لألفاظ العربية و صاحب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، وله كتاب في العقيدة الإسلامية، وقد تولي تحرير دائرة المعارف الإسلامية وكانت له فيها مقالات قيمة، ينظر : إسماعيل أحمد عمايرة : المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية : بحث في الجذور التاريخية، عمان، دار حنين، ١٩٩.

[3] يناقش المستشرق الهولندي الذائع الصيت (فنسنك) فريضة الصلاة في "دائرة المعارف الإسلامية" التي اشرف على تحريرها من منطلقات مغلوطة، فيقول: "ويبدو أن كلمة صلاة لم تظهر في الآثار الأدبية السابقة على القرآن، وقد اتّخذها محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما اتّخذ الشعيرة من اليهود والمسيحيين في بلاد العرب". ويستمر "فنسنك" في إبرام شبهته هذه فيقول تحت المادة نفسها: "واشتقاق كلمة (صلوطا) الآرامية واضح كل الوضوح، فالأصل "صلأ" في الآرامية يعني الانحناء والانثناء والقيام... وتستعمل في كثير من اللهجات الآرامية للدلالة على الصلاة الشرعية... وقد نقل محمد ـ كما يرى ـ كلمة الصلاة بهذه المعنى من جيرانه وغير ذلك من الطروحات المغلوطة، انظر المصدر نفسه.

[4] يوليوس فلهاوزن Julius Wellhausen عالم ومستشرق ألماني، وصاحب الفرضية الوثائقية.درس علم الإلهيات في جامعة جوتنجن على يد هنريش إيفالد وتنقل بعد تخرجه يعمل في جامعة جرايفسفولد وكبروفيسور لغات شرقية في كلية الفيلولوجيا في جامعة هاله ثم عاد إلى جامعة جوتنجن اذ بقي فيها حتى وافته المنية. من أشهر أعماله كتاب مقدمة لتاريخ إسرائيل (Prolegomena zur Geschichte Israels) والذي صاغ فيه فرضيته الشهيرة المعروفة بالفرضية الوثائقية التي تدعي أن التوراة (الكتب الخمسة الأولى من التناخ ـ أي الكتاب اليهودي المقدس ـ) إنما هي مجموعة نصوص من أربع مصادر مستقلة يعود تاريخ كتابتها لقرون بعد موسى. كما اقترح أسبقية إنجيل مرقس تاريخيا على وثيقة (ق) إلا أن اقتراحه هذا لم يلق قبولا حسنا كما لقيته الفرضية الوثائقية.

ممثلاً بكتابه " أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام : الخوارج والشيعة " وتطرق إلى المستشرق الألماني (رودي بارت) و(الكيتاني ليوني كيتاني) والمستشرق الانجليزي (آرثر جون آربري) والمستشرق الفرنسي (جاك بيرك) الذي أنهى به هذا الفصل، إذ راح يترجم لهؤلاء المستشرقين مشيراً إلى أهم ما قدموه من دراسات وموضحاً تنقلاتهم في البلدان العربية والإسلامية وانضمامهم إلى معظم مؤسساتها العلمية وتدريسهم فيها إلى جانب بيانه لعلاقاتهم الأدبية والعلمية مع علماء ومفكرين إسلاميين وعرب صادفوهم في رحلاتهم تلك، فكانت مناسبة للتلاقح الفكري بين الطرفين[1] .

سابعاً : رؤيته لكتاب المفكر أدورد سعيد :ـ

وفي سياق تعاطي مؤرخنا مع مادة الاستشراق، كنا قد وقفنا على كتاب للمفكر (ادوارد سعيد)[2] (١٩٣٥ ـ ٢٠٠٣) (الاستشراق ـ المعرفة ـ السلطة ـ الإنشاء)[3] والذي ظهر سنة (١٩٧٧) في نيويورك باللغة الانكليزية وترجمه الى العربية الدكتور كمال أبو ديب سنة ١٩٨١. وحين اطلاعي على مضمونه، بقيت تلك الأفكار والرؤى التي أشار إليها هذا الكتاب عالقة في ذهني.

---

١ محسن محمد حسين، المصدر السابق، ص٣١٨

٢ (١٩٣٥ – ٢٠٠٣) أستاذ الأدب المقارن في جامعة كولومبيا، الكاتب والناقد والأكاديمي الفلسطيني الأمريكي المعروف. ولد في القدس سنة ١٩٣٥ لعائلة مسيحية وكان أبوه فلسطيني أمريكي وأمه فلسطينية لبنانية وكانت مسيحية. بدأ دراسته في كلية فيكتوريا في الإسكندرية في مصر، ثم سافر إلى الولايات المتحدة كطالب، وحصل على درجة البكالوريوس من جامعة برنستون عام ١٩٥٧ م ثم الماجستير عام ١٩٦٠ والدكتوراه من جامعة هارفارد عام ١٩٦٤ م. قضى سعيد معظم حياته الأكاديمية أستاذا في جامعة كولومبيا في نيويورك، لكنه كان يتجول كأستاذ زائر في عدد من كبريات المؤسسات الأكاديمية مثل جامعة يايل وهارفرد وجون هوبكنز. تحدث العربية والإنجليزية والفرنسية بطلاقة، وألم بالإسبانية والألمانية والإيطالية واللاتينية. وهو من أتباع الكنيسة البروتستانتية الإنجيلية. كون صداقة مع الموسيقار الإسرائيلي دانييل بارينبويم، وأسس الاثنان أوركسترا الديوان الغربي الشرقي. توفي بمرض اللوكيميا.

٣ تُرجم هذا الكتاب إلى لغات عالمية عديدة بما فيها الفارسية، التركية، الماليزية،اليابانية، فضلاً عن اللغة الاوردوية. وله أيضا مؤلفات عديدة منها : بدايات، الأدب والمجتمع، المسألة الفلسطينية،الآلهة التي تفشل دائماً، تغطية الإسلام، تعقيبات على الاستشراق.

وبينما كنت في زحمة البحث في اهتمامات مؤرخنا لا سيما في مادة الاستشراق، لاحت لي فكرة أن أتعرف إلى رؤيته وملاحظاته عن هذا الكتاب، لا سيما وقد علمت انه قد طالعه لأكثر من مرة، وما أن طرحت عليه تساؤلات في هذا السياق، ما لبث ان بادرني إلى الكلام بقوله : انه وعلى الرغم من أن العقل الغربي (وتراثه) كوّن رافداً لوعي الإنسان العربي في الشرق، فأن هذا الوعي يرقى لأثني عشر قرناً، حين تمت ترجمة تراث الإغريق أو ما يعرف بـ (تراث الأوائل)حسب تسمية المسلمين إلى اللغة العربية، وأضاف منوهاً إلى أن تأثير العقل الإغريقي لم تمتد جذوره في أعماق العقل العربي، بحيث تقولبه ضمن ما درج عليه العقل الإغريقي من إطار، من شأنه أن يمهد لتشكيل حضاري، ووجد ان هذا الأمر ينسحب أيضا مع ما حصل من تأثير العقل الحديث الأوروبي، سواء من حيث المنهج أو من حيث المضمون، نافياً أن يكون السبب في هذا النكوص، يعود الى قصر (زمن) تأثيرات العقل الحديث، مقابل ثقافة السلف التي تمتد في وعي الإنسان العربي منذ ألف وأربعمائة سنة. وهنا يقف مؤرخنا معاتباً ومنتقداً ما أشار إليه بـ (البعض) ممن افتقروا القدرة على الانفتاح على الآخر واستيعاب وهضم أفكاره، مما نتج عنه إحداث قطيعة معرفية بين المجتمع الإسلامي وبين الغرب، مؤكداً على وضع هؤلاء (البعض) لمتاريس وعراقيل تحت مسميات عديدة للحيلولة دون حدوث المثاقفة بين الطرفين.

ويمضي مؤرخنا في محاولته لنبش المتراكم من أسباب النكوص العربي، ملقياً باللوم على من عمد إلى وضع ثقافة هذا (الآخر)، مقابل الثقافة التي افرزها أصحاب المذاهب المختلفة في مجتمعنا الإسلامي، تلك الثقافة التي أوجدها ممن لم يحاولوا أو فشلوا في إيجاد حلول جادة لما يعانيه أبناء مجتمعهم، وهم يعيشون تراجعاً متوالياً. ويذهب أكثر في انتقاد من يتحملون تلك المسؤولية، فيشرك الكتَّاب في هذا الأمر، سواء من كان على الخط السلفي او الليبرالي أو اليساري، وهم يتواصلون في توجيه النقد إلى الفكر الأوروبي أو إلى بعض شرائحه بسبب تاريخ أطماع الغرب في بلدان العرب، أي بسبب ارثهم الاستعماري الذي خضعت له الشعوب العربية .

وبعد هذا الاستطراد لمؤرخنا، يؤكد أن كتاب المفكر ادوارد سعيد المشار إليه، بمثابة محاولة في هذا الاتجاه من نقد الفكر الغربي، إذ يرى أن كتابه هذا الذي ألفّه بألمعية، محاولة لإدانة

الغرب والبحث عن الذات أو الذوات التي يفترض على المواطن العربي والمسلم أن يكتشفها، على الرغم من ان اكتشاف الغرب لتلك الذوات لا يمكن ان يكون سلبياً، بالأخص وان الثقافة الإسلامية (العربية وغير العربية)، هي ثقافة ذات تأثير كبير في هذه المجتمعات العربي، على الرغم من كل ذلك، نراه يوجه اللوم أيضا لتلك الثقافة الإسلامية لعدم قدرتها على استيعاب ما يعانيه الفرد المسلم من ضعف، بل ويذهب أكثر من ذلك حين يؤكد أن تلك الثقافة تغاضت عن هذا الضعف، محاولة منها لعدم فضح أمرها أمام الغرب وبيان ما دب في مكوناتها من خلل وقصور، لاسيما وان هذا الغرب قد اعتاد على التشهير بمثالب الثقافة الإسلامية وقصورها عن إدراك كنه التقدم العالمي. ويتفق مؤرخنا مع" أدورد سعيد" بان الغرب (اخترع) شرقه ليدرسه ويفهمه، إلا انه يرى ـ أي مؤرخنا ـ أن هذا الشرق هو الآخر (اخترع) غربه، كل حسب قدرته وآلياته، وحاجاته. ويجد ان الموقف الطاغي في هذه الحالة، وبمعنى أدق أن السمة الأساسية في نظرة المثقف والفرد العربي الى الاستشراق نظرة تحتمل الالتفات إليها وعلاجها، لأنها أدارت الظهور عما كتبه الاستشراق عن بلاد الاسلام. ويمتعض مؤرخنا كثيراً لما يعمد إليه المثقف العربي والمسلم من تكريسه لحالة التراجع والنكوص التي اعتاد عليها، حين وصفه بالواقف أمام المرآة ليرى حصراً نفسه دون غيرها ـ كل يوم ـ فيستحيل على العيون أن تشاهد العيوب، ثم يؤكد هذا الديدن بقوله : كيف إذا كانت المرآة مقعرة أو محدبة ؟ بحيث تجعل من اكتشاف الذوات أمرا مستحيلا. وواضح ان الدكتور أراد بهذا الطرح تبرير عزوف المثقف العربي والمسلم من النظر لما يراه المستشرقون وما يشيرون إليه من حقائق التاريخ العربي الإسلامي ، منتقين لهم مسميات درج عليها القاصي والداني من أبناء المجتمع العربي من أنهم مغرضين ومعادين وامبرياليين، حين يضعون للمجتمع العربي والمسلم أوصافا، يأنف العربي والمسلم من سماعها لأنه غير مستعد لإصلاحها. ويرى الدكتور، أن هذا التوجه والموقف من الاستشراق، تمخض عن موقف نقدي خارج سياق الدراسات الاستشراقية الحقيقية ، لذلك نجده يوصي ويؤكد على ضرورة الانتباه إلى أن ليس كل ما يكتبه هذا الكاتب او الصحفي من انطباعات عن المجتمع العربي والمسلم ، أو ما يبعثه القنصل الغربي أو صانعي سياسة الغرب وخبراء الاستخبارات للدول الطامعة او حاكمها العسكري في عواصم بلدان الشرق، على أنها كتابات استشراقية.

وما يجب أن ندركه، أن الدكتور محسن بطرحه لهذه الرؤى عن الاستشراق، انه لا يلغي من قاموسه خاصية النقد له، بل انه يرى ضرورة أن يكون النقد الموّجه للاستشراق متصفاً بأدوات وآليات معرفية متقدمة وبذكاء كبير، كما هو الحال في كتاب أدورد سعيد وبشهادة هاشم صالح في إحدى مقالاته. ومع ذلك يتساءل الدكتور ويؤكد على ضرورة التعرف على ما يقوله (الغريب) عن بلادنا، وهو أمر منطقي وصحيح، فقد يرى هؤلاء فينا ما لا نراه نحن في أنفسنا، فالنظر للذوات من خلال مرآة الآخرين، قد يكون ذا نفع. ويشير الى حقيقة مفادها : أن من لا يخرج من بيته، وقد يكون بيته ضيقاً، فاسد الهواء، أو آيلاً للسقوط دون الانتباه إليه، يظل محكوما بتخلفه، ولن يفهم نفسه، كما لا يفهم العالم وما فيه.

ويعود مؤرخنا إلى الحديث بتركيز عن كتاب (الاستشراق) الذي وصفه بـ (المدوّي) لأنه يرى أن أدورد سعيد تلقى مساعدات من شخصيات ومؤسسات فكرية أمريكية معروفة وغير معروفة، بل ولأن الكتاب تُرجم الى لغات كثيرة، ولا يزال، ويراه مدوياً ثالثاً لأن هذا الكتاب تعرّض لحملات ـ بعضها قاسية ـ من أوساط فكرية متباينة، كما هو الحال فيما كتبه " صادق جلال العظم " في كتابه (ذهنية التحريم) ، و"أنور عبد الملك" و"البير حوراني" والمستشرق الفرنسي الشهير" مكسيم رودنسون [١]،الذي وصفه أدورد سعيد بــ (المستشرق المنصف)، فضلاً عن نقد

[١] كان مكسيم رودنسون ماركسي التكوين الفكري والثقافي منذ شبابه المبكر. حين ولد في باريس في العام ١٩١٥ لوالد من أصول روسية هاجر الى فرنسا، وقضى هو وزوجته، والدة مكسيم، إبان الحرب العالمية الثانية، في معسكرات النازية، لكونهما في آن واحد شيوعيين ومن أصول يهودية. فقد انتمى رودنسون الشاب عام ١٩٣٧ الى الحزب الشيوعي الفرنسي، وبقي عضواً فيه زهاء العشرين عاماً، حيث انقطعت علاقته بالحزب إثر تدخل القوات السوفييتية في المجر في أواخر العام ١٩٥٦ لضرب حركة التمرد القومي هناك. أصبح رودنسون معروفا فى فرنسا عندما أظهر معارضة حادة، تتناول إسرائيل، وقد عارض على وجه الخصوص سياسة الاستيطان للدولة اليهودية. و فى نفس الوقت ، إتهمه البعض بالارتباط "بالفاشية الإسلامية" (**le fascisme islamique**) فى ١٩٧٩، التي اعتاد أن يصفها بالثورة الإيرانية.

الباحث البحراني "محمد جابر الأنصاري "[1] وغيرهم ممن نَقَدهُ كل من وجهة نظره.

ومن خلال قراءة مؤرخنا لكتاب أدورد سعيد والمعنون بـ (تأملات حول البداية) الذي طبع بعد رحيله بنحو خمس سنوات، يرى أن هذا الكتاب بما تضمنه من موضوعات، لا يعدو ان يكون محاولة ـ تصويب واعتذار ـ لما جاء عليه من أفكار عنيدة متعسفة في كتابه (الاستشراق)، ويرى ان هذا القول نفسه ينسحب على كتابه الآخر (تعقيبات على الاستشراق) المطبوع سنة ١٩٩٦، حتى انه عنوَنَ أحد فصوله (إعادة النظر في الاستشراق).

وواضح أن مؤرخنا يجُلُّ كثيراً المفكر الذي يعيد النظر في طروحاته السابقة، فهو لا يعتقد بعدم تعرض المفكر للنقد، إذ أن تعرضه لهذا النقد يدفعه إلى إعادة النظر فيما اعتبره ذات يوم (مُسلّمات ـ بديهيات ـ COMMON SENSE)لديه علماً أن لا مُسلمات في مجال الفكر أصلا. ووجدنا مؤرخنا يتعامل بمنهجية صارمة مع ما يصادفه من طروحات في مجال الفكر او ما يتناوله الاستشراق، فهو في الوقت الذي يثني فيه على شخصية المفكر "أدورد سعيد بقوله : "وادوارد سعيد ـ المفكر الشهير ـ كان صادقاً مع نفسه حين كتب " الاستشراق " وكذلك حين صوّب أفكاره"، فأنه يرى ان كتاب "الاستشراق" لم يكن دقيقاً بحيث يعطي المعنى الحقيقي للاستشراق، فهو كما يراه الدكتور لا يعدو ان يكون مجموعة كتابات وتعليقات على تقارير وكلاء الدولتين الاستعماريتين المعروفتين قبل القرن التاسع عشر واللتان اقتسمتا مناطق النفوذ في المناطق العربية وفي العالم الإسلامي، وفي قارتي آسيا وإفريقيا، إذ استعمرتا أقاليم واسعة بعد ان تجمعت لديها معلومات كافية تم فرزها والاستفادة منها في محاولة لفهم سكان البلاد الأصلية واقتصادها ومواقعها، في وقت كان على ادورد سعيد، ولأنه تناول موضوعة الاستشراق بصورة

[1] الدكتور محمد جابر الأنصاري : المستشار الثقافي للعاهل البحريني. كاتب ومفكر بحريني، أستاذ دراسات الحضارة الإسلامية والفكر المعاصر، وعميد كلية الدراسات العليا في جامعة الخليج في البحرين وعضو المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون في البحرين.ولد في البحرين عام ١٩٣٩، تعلم في البحرين حتى انهائة الدراسة الثانوية من بعدها انتقل للتعلم في الجامعة الأمريكية في بيروت حتى نال منها: بكالوريوس آداب عام ١٩٦٣م والماجستير في الأدب الأندلسي عام ١٩٦٦م، والدكتوراة في الفلسفة الإسلامية الحديثة والمعاصرة عام ١٩٧٩م.

عامـة، أن لا يتحـدد فقـط بتلـك الـدولتين الاسـتعماريتين، فهنـاك دولاً نافـستهما في مجـال الاستشراق، كما هو الحال في الاستشراق الهولندي والروسـي والايطـالي والاسباني، ناهيـك عـن الاستشراق الألماني الشهير، رغم ان أطماع هذه الـدول لا تختلـف عـن أطمـاع تلـك إلا مـن ناحيـة الإمكانات المتاحة لها للسيطرة.

وأمام هذه المنهجية الصارمة في تعامل مؤرخنا مع ما قدمه المفكـر "أدورد سـعيد " حـين أقـدم على تأليف كتابه في وسط معادٍ لقضية شعبه في فلسطين، تقفز أمامنا حاجة تدعو إلى إنصاف هـذا الجهد المميز لهذا الكاتب القدير، وهـو تـساؤل وضـعتُهُ أمـام مؤرخنـا الـذي بـدوره لم يـتردد في الإجابة عليه مؤكداً انه لا يُصغّر من شأن ما كتبه هذا المفكر، بل انـه دائمـاً يـسعى إلى تمجيـده، مستذكراً مواقفه الجريئة في مواجهة معوقات الكتابة، فهو لا ينسى أبدا بسالة " ادوارد سـعيد " حين عايش التهديدات التي تلقاها في أمريكا، ولا سيما من اللوبي اليهـودي ذي النفـوذ القـوي في هذه البلاد الثرية. ويـضيف مؤرخنـا : أن مـن يقـرأ كتـاب (القلـم والـسيف) سيجده عبـارة عـن حوارات أجراها معه (دافيد بارسمان) تضمنت تساؤلاً عن أسباب تلقيـه تهديـدات بالقتـل، ومـا موقفه منها ؟ فما كان من أدوارد سعيد سوى القول : "لا أفكر بالأمر كثيراً" مؤكداً أن التواصـل في التفكير بأي مشكلة من ذلك النوع، فأن الأسوأ يكون قـد حـصل مـن خـلال خلـق حالـة عجـز عـن العمل، ويرى أن الأمر الأساسي هو أن يستمر المـرء في طريقـه، وان يـذكر ان مـا يفعلـه، ويقولـه يعني أكثر بكثير من مسألة كونه آمناً أم لا[١]. ومع ذلك يميز مؤرخنا بـين أن يكـون المـرء باسـلاً، ولا يخشى الاغتيال بسبب ما له من مواقـف سياسـية، وبـين كونـه يكتـب في موضـوع يحتـاج إلى بسالة من نوع خاص في عالمنا الراهن مؤكداً أن المفكر الراحل"ادوارد سعيد" كان أستاذا في أكثر مـن جامعة أمريكية، ويكتب ليدين أمريكا ويدين اليهود، فكان مستهدفاً، ومع ذلك يقر مؤرخنـا أن هذه المسألة لا تهم المعنيين بمجال الكتابة عن الاستـشراق فهـي تحتـاج الى بـسالة منـصفٍ،حين يجتاز الحواجز والأفكار المسبقة المكدسة، وتقـوّم الدراسـات الاستـشراقية الجـادة تقويمـاً غـير

[١] أدورد سعيد : القلم والسيف : ترجمة توفيق الاسدي، طبعة دار كنعان. دمشق. ط٢، ١٩٩٩، ص٥١

مغرض، فالاستشراق يكون بهذا المعنى " ليس أسلوبا غربياً للسيطرة على الشرق، واستبنائه وامتلاك السيادة عليه "[1].

وفي هذا السياق، يرى مؤرخنا أن التاريخ بمجمله لا يمثل سوى ذكر محاولات القوي للسيطرة على الضعيف، وقد فعل المسلمون هذا الأمر مع البلدان التي فتحوها واجتازوا أرض فرنسا في معركة "بلاط الشهداء " توار بوتييه"، كما صاروا يطرقون أبواب فيينا بعد أن فتحوا أعظم مدن العالم وأكثرها متانة " القسطنطينية " وهذا هو شأن التاريخ، منتهياً إلى إطلاق مقولة يبدو انه يقولها بمرارة مفادها :"فكن قوياً لتغزو، وكن ضعيفاً ليغزوك الآخر " وحينها لا يلقى باللوم سوى على الضحية ! ! مشيرا الى حكم التاريخ الحتمي حين لم يرحم الضعيف قدر احترامه للقوي، اذ يرى ان القوي إذا ما درس الضعيف، فهو لا يبتغي فهمه فحسب بل ليستولي عليه، وليطيل بقاءه على أرضه (ارض المستعمَر)[2] ليستغله ويستثمر خيراته، في وقت لا يحصل أهل الأرض (الأصليين) إلا على الفتات.

ويرى أن هذين الطرفين المشار إليهما، العالَمين، ليس من خلق الاستشراق والمستشرقين، رغم أن هذا لم يمنع من أن ينتفع حكام البلدان القوية من دراسات المستشرقين، مستفيداً مما عمد إليه "أدورد سعيد" ـ كما أسلف ـ من تقارير المندوبين الساميين التي تصف الشعوب المغلوبة بشتى أوصاف الدونية[3]، ويتمنى الدكتور أمام تلك المحصلة من هضم حق الشعوب، أن تثبت تلك الشعوب خطل فحوى تلك التقارير .

ما طرح يمثل جانبا هاما من رأي مؤرخنا بكتاب "ادوارد سعيد"، أما الجانب الآخر من رأيه ، فهو يرى أن سعيد كان متلهفاً إلى تغيير موازين المعرفة لصالح المنطقة التي ولد فيها، بل أنه

---

[1] الاستشراق، ص٣٨ ـ ٣٩.

[2] كما هو الحال فيما فعلته الدول الغربية في الإبقاء على دولة العثمانيين المتهالكة والضعيفة ردهاً من الزمن، تضخ إليها الجرعات الواحدة تلو الأخرى لتقيها شر السقوط في مقابل تثبيت هذه الدول لإقدامها في ولاياتها، وحين اسماها القيصر الروسي (نيقولا الأول) بـ "الرجل المريض".

[3] أنظر ص٧٠من كتاب أدورد سعيد "الاستشراق".

يراه وقد منّى نفسه أن يكون الوضع الراهن المستقطب لصالح الغرب، مؤقتاً ، وهذا ما تلمسه من خلال طرح سعيد حين أكد بان مثل هذا الانعدام للتوازن بين الشرق والغرب، هو وظيفة أدائية لأنساق تاريخية متغيرة، مستشهداً على ذلك بما وصل أليه الإسلام خلال أيامه الذهبية سياسيا وعسكرياً من القرن الثامن الى القرن السادس عشر (فترة الفتوحات الإسلامية الأولى إلى عبور العثمانيين نحو أوروبا)، وما حصده من انجازات عسكرية بسيطرته على كلا الشرق والغرب، لينتقل بعد ذلك مركز القوة أواخر القرن العشرين باتجاه الغرب، إلا أن سعيد يعود مرة أخرى الى الشرق حين شدد على ان هذا المركز يوجه نفسه من جديد عائداً باتجاه الشرق.

وهنا يتوقف أمام طرح سعيد، متسائلا عن جدواه ؟ بل وتمنى ألا يكون ما يقوله وهماً من وحي الخيال، بل حدساً يستشرف به الراحل مستقبل منطقتنا (المبتلاة حالياً) حين يكون عالمنا قطباً للحضارة، وألا يكون قوله وعياً زائفاً . ويشير الى أن ذلك هي فحوى (الدورات الحضارية) التي يراها الدكتور حسن حنفي بأن تحقيقها يحتاج إلى إرادة فاعلة، والى قوة وإدراك المجتمعات الشرقية التي تبتغي تغيير واقع العالم، بتغيير واقعها، وليس إلى انتظار الزمن وأجندته أو الصدفة، ليضطلعوا بدورهم بـ (بدوران الزمن) ويرى مؤرخنا ان مفكرين وفلاسفة تاريخ عديدين يؤمنون بفكرة او نظرية (الدورات الحضارية) أو (التعاقب الدوري) مثل ابن خلدون وفيكو وشبنكلر وغيرهم، كل على طريقته الخاصة، ويرى ان هذه الدورات تحصل ضمن الحضارة الواحدة، وليس بتبادل المواقع بين الشرق وبين الغرب، إن صحت تسميتهما بهذين المصطلحين الجغرافيين (الفلكّيين) اللذين يعنيان وجود عالمين ثابتين بعيدين أو متباعدين وإنهما ـ أي الدورات ـ (المراحل) كما يصفهما مؤرخنا، لن تحصل إلا وفق شروط أو حين يقرر ابناء المجتمع ان يتغيروا " ويقررون من حيث لا يدرون ". فإرادتهم، (وبانسجامهم مع روح عصرهم)، هي التي تقرر وترنو معهم الى ممارسة الحرية ضد (منطق الضرورة العمياء) القاسي. وعلى فرض أنهم أدركوا ما هم عليه، وأنهم يمتلكون أدوات التغيير، ويعرفون ماذا عليهم أن يغيروا، وكيف يتحقق ذلك، فأن مؤرخنا يؤكد أن التغيير لن يأتي اعتباطاً أو بالصدفة، متوعداً الكسالى بأنهم لا يستحقون هذا التغيير، فهؤلاء ينتظرون أن تغيّرهم السماء فـ ((أن الله لا يُغَيّر

ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم))[1] (صدق الله العظيم). وينتهي الى القول عن "أدورد سعيد" بأنه كان يتوقع منه أن يتحدث عن بعض مآثر الاستشراق المعروفة على غرار كل من كتب في هذا الموضوع، بل وجده مقتّراً في هذا الأمر حين ذكر قوله :أن المجتمعات البشرية أو على الأقل الثقافات الأكثر تقدماً، نادراً ما منحت الفرد شيئاً ما عدا الامبريالية والعنصرية، والتمركز العرقي للتعامل مع الثقافات "الأخرى"[2]، فضلاً عن إشادته أخيراً بأعمال اثنين من كبار المستشرقين الحقيقيين، وكلاهما من فرنسا، هما "جاك بيرك" و"مكسيم رودنسون"[3].

ثامن ـ تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط :

هذا الكتاب، تأليف مشترك بين الأستاذ الدكتور فاروق عمر فوزي والأستاذ الدكتور محسن محمد حسين، وجاء الكتاب في أحدى عشر فصلاً، كانت حصة الأول منهما الفصول الأولى حتى السابع في حين كان للثاني الفصول المتبقية، فكانت محاولة من المؤلفين لإبراز السمات الحضارية للشخصية الفلسطينية، رداً على افتراءات صهيونية حاولت تجريد هذه الشخصية من تلك المزية، حين عمد البعض من الكتّاب الغربيين وبدافع العمل لإنكار المقومات الثقافية والحضارية في ماضي هذه الأمة العربية الإسلامية والاستخفاف بتراثها ودورها الحضاري .

فقد تناول الكتاب وبأسلوب تحليلي، تاريخ العرب وفلسطين قبل الإسلام مشيراً إلى تاريخ الوجود العربي في فلسطين المتزامن مع وجود الكنعانيين العرب كقوة متميزة سياسياً وحضارياً، ومنوهاً بما كان عليه البيزنطيون من نفوذ على إقليم فلسطين . الى جانب تناول تاريخية الكيانات السياسية العربية قبل الإسلام بما فيها الأنباط ومملكة تدمر وقضاعة الشام أو الضجاعمة ودولة الغساسنة[4]. وتضمن الكتاب إشارات إلى ظروف انتشار القبائل العربية في فلسطين بما فيها قضاعة وتنوخ والضجاعمة وعذره وكلب وعاملة ومذحج وجذام وكندة وقيس

---

١ / الرعد / ١٣

٢ الاستشراق، ص٢١٥

٣ المصدر نفسه : ص٣٢٣

٤ فاروق عمر فوزي ومحسن محمد حسين، تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط، الأردن، ١٩٩٨، ص٢١.

ولخم فضلاً عن حديثه عن قبيلة بنو مضر وإبراز أهمية تلك القبائل وآلية هجرتها إلى بلاد الشام[1].

وبوصفها حلقة تالية من حلقات الهجرة العربية إلى فلسطين، تطرق الكتاب إلى آلية الفتح العربي الإسلامي لفلسطين، مستعرضاً التواجد العربي على ارض بلاد الشام عبر مراحل التاريخ المتعاقبة ومنوهاً بما اقامته تلك الهجرات من علاقات تجارية كان لها الأثر الكبير في إقامة اتفاقات تجارية بين الحجاز وبلاد الشام قبل الإسلام[2] .

وفي سياق إبراز الملامح الحضارية والسياسية وأهمية فلسطين في تاريخ الدولة العربية الإسلامية، استعرض أحداثاً شكلت انعطافة خطيرة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية بما فيها الثورات التي واجهت الخلافة الأموية وبناء المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة إلى جانب الإشارة لمبايعة الوليد بن عبد الملك في القدس استناداً لاهتمامه بتلك المدينة وتقبله بيعة الناس في مسجد قبة الصخرة،مع إبراز اهتمام سليمان بن عبد الملك بفلسطين، منتهياً إلى استعراض ظروف تدهور الخلافة الأموية وما شهدته فلسطين من تحركات ضد تلك الخلافة مثل الثورة على مروان بن الحكم[3].

ولبيان المستوى الفكري عند القبائل التي استقرت في فلسطين، تحدث الكتاب عن الوعي السياسي لتلك القبائل وطبيعة الإسهام في صنع القرار في المجتمع الفلسطيني، متطرقاً إلى جانب ذلك، إلى إدارة فلسطين في العصر الأموي على الرغم من ندرة المعلومات التي تتحدث عن تلك المرحلة[4] .

---

[1] المصدر نفسه : ص٣٢ وما بعدها

[2] المصدر نفسه : ص٥٣ ـ ٥٦.

[3] المصدر نفسه : ص٦٠.

[4] المصدر نفسه : ص٦٤.

أما تاريخ فلسطين إبان العصر العباسي، فقد تضمنه الفصل الرابع من الكتاب ، حين شمل استعراض بعض الأحداث المهمة، كما في حادثة نهر أبي فطرس[1] وحركة عبد الله بن علي وحركة جذام بفلسطين وغير ذلك من الأحداث التي أسهب في توضيحها، مما أفصحت عن اثر أهل فلسطين في فاعلية الحالة السياسية والتجارية للدولة العباسية، منتهياً إلى بيان موقفهم من العباسيين، معولاً في طرحه هذا على ما أشارت إليه المصادر من تحركات وتمردات وصلت إلى حد الثورة ضد الوجود العباسي في فلسطين، كإشارته لثورة (حبيب بن مرة ألمري) في البلقاء والبثينة، وامتداد تلك الثورة إلى (حوران) والتي كانت بمثابة ردة فعل شامية على مقتل الخليفة الأموي (مروان بن محمد) فضلاً عن إشارته لثورة (أبي الهيذام عامر بن عمارة) شيخ القيسية على الخليفة الرشيد إلى جانب تطرقه إلى ما عرفت بـ(الحركة السفيانية) في تلك البلاد فضلاً عن تأكيده بتخفيض العباسيين لا سيما في عهد المأمون، لحدة الضرائب على أهل فلسطين قياساً والمدن الأخرى استناداً لتدني حالتهم الاقتصادية[2].

وجاء فصل الكتاب الخامس بياناً لعلاقات أهل فلسطين الدولية، ما بين الشرق والغرب، كما في اتصالات الخليفة العباسي هارون الرشيد بشارلمان إمبراطور الدولة الكارولنجية، مشيراً إلى موقف الدولة العباسية من تجاوزات الروم على الثغور الشامية والسواحل الشرقية لبحر المتوسط، مؤكداً على سياسة الرشيد في هذا الاتجاه وكذا الحال في إشارته لما أعقبه من الخلفاء وحزمهم في التصدي لتلك الهجمات الرومية على بلاد الشام[3]. ولم يغفل الكتاب الكشف عن الجانب الآخر من علاقة الروم بالعرب، والممثلة بالعلاقات الدبلوماسية، مشيراً إلى ما حصل من تفاوت في تأكيد المؤرخين الغربيين لتلك العلاقة من قوتها وضعفها، مما دفع إلى القول بأن

---

[1] أحد فروع نهر اليرموك وقد عرف في التاريخ الوسيط بسبب الإجراء الذي نفذه عبد الله بن علي عم الخليفة أبي العباس في مجموعة من الأمراء الأمويين في قلعة رومانية قديمة على شواطئ هذا النهر، نقلاً عن المصدر نفسه : ص٧١

[2] المصدر نفسه :ص٧٩وما بعدها.

[3] المصدر نفسه : ص٨٨

سكوت المصادر العربية عن ذكر تلك العلاقة سواء السياسية أو التجارية، هو تأكيد للعلاقة القائمة وقتذاك.

وعند الفصل السادس من الكتاب، يكون إسهام الدكتور فاروق عمر فوزي، قد انتهى في مضمون هذا الكتاب المشترك، ليبدأ دور مؤرخنا في موضوعات أغنت الكتاب وأثرته بوصف ما جاء به مثل حالة استكمالية لما توقف عنده الدكتور فاروق، إذ تم الكشف عن مراكز القوى الجديدة في مصر وبلاد الشام مؤكداً على ما حصل من تدهور وضعف في قوة الخلافة العباسية بعد مقتل المتوكل وبداية تسلط القادة العسكريين من الأتراك الذين تحكموا بالسلطة، على أن ذلك كان نقطة تحول في مجرى تاريخ الدولة العباسية حين راحت الأقاليم بالانفصال عنها، مشيراً إلى أسباب استفحال شيوخ القبائل في فلسطين ونشاط الدعوة السفيانية[1].

وفي هذا السياق، تم التركيز على الطولونيين باستعراض تاريخهم ومراحل وصولهم إلى بناء دولتهم وانسحب هذا الأمر من الاهتمام على تاريخ الأسرة الإخشيدية وبيان مسيرتهم التاريخية وسبل وصولهم إلى السيطرة على فلسطين وبلاد الشام، وصولاً إلى الحديث عن تاريخ الدولة الفاطمية ووصولها إلى فلسطين منوهاً بما حصل من مواجهات عسكرية بين الفاطميين والإخشيديين والقرامطة، فقاد هذا الحديث إلى بيان تاريخ دولة بني الجراح الطائية بفلسطين وما أدوه من دور سياسي منذ أوائل سيطرة الفاطميين على فلسطين، باستعراض ما كانت بين الطرفين من علاقات وأسباب التذبذب فيها وما شابها من صراع عسكري بين الطرفين[2].

أما في فصل الكتاب السابع، فقد تابع الدكتور، أحداث فلسطين ما بين بغداد العباسية والقاهرة الفاطمية، مسترسلاً في وصف فلسطين أبان العصر السلجوقي ، وما تمخض عنه من ولادة أمارة جديدة في فلسطين خرجت من رحم تلك الدولة السلجوقية عرفت بـ " الإمارة الارتقية " إذ وقف عندها متحدثاً عن أثرها في تاريخ فلسطين بوصفها مثلت كياناً سياسياً

[1] المصدر نفسه : ص٩٧

[2] المصدر نفسه : ص١١٠

فلسطينياً أمتلك شخصيته المستقلة[1]. وهو بذلك يحاول إبراز الصورة الكاملة لطبيعة التجاذبات السياسية التي شهدتها فلسطين إبان تلك المرحلة الحرجة من تاريخ هذه البقعة من الأرض الإسلامية. فأشار إلى استمرار الصراع حول بلاد الشام ما بين السلاجقة وبين الفاطميين، مشيراً إلى دخول طرف آخر في النزاع للسيطرة على بلاد الشام، تمثل بالصليبيين. منتقياً من بين قادة تلك المرحلة القائد " طغتكين " صاحب دمشق ، لمواقفه الشجاعة ضد الصليبيين، فاستعرض حياته ومراحل تطور شخصيته القيادية، انتهاء بموته وتسلم أولاده القيادة من بعده، مع الإشارة إلى انتقالها إلى نور الدين محمود زنكي فيما بعد[2] .

ومع سقوط القدس بأيدي الصليبيين، وتصدي الأيوبيين لهذا الاحتلال،نجد مؤرخنا يركز على بيان ردة الفعل الضعيفة الصادرة من الدولتين العباسية والفاطمية، مستعرضاً كلا الموقفين وموضحاً ما تتحملانه تلك الدولتين من مسؤولية التهاون في مصير تلك المدينة المقدسة[3].

وجاء فصل الكتاب الثامن بياناً واضحاً لموقف فلسطين من الغزو الفرنجي الصليبي. ولأنه يرى صعوبة الوقوف بشكل جدي أمام قصة الحروب الصليبية بسبب ما أوردته المصادر التاريخية من تباين واضح في وجهات النظر الغربية أو الإسلامية إزاء تلك الحروب، فقد عمد إلى الإفصاح عن جملة ما وجده من مراجع ومصادر تحدثت عن تلك الحقبة من الحروب الصليبية ولا سيما العربية إلى جانب إشارته إلى المصادر اليونانية اللاتينية والارمنية. والى ذلك تطرق لما كان عليه العالمان الإسلامي والأوربي من رؤية لتلك الحروب مشيراً إلى ما قاله مؤرخون غربيون إلى جانب ما أدلى به بعض المستشرقين من أمثال "ستيفن رنسيمان" و "ستانلي لين بول"[4]، مستهلاً حديثه عن تلك الحروب بتعريفها ومقسماً مسيرتها إلى عدد من الحملات استناداً لسياقها الزمني

---

[1] المصدر نفسه : ص١٢٨

[2] المصدر نفسه :ص١٣٥

[3] المصدر نفسه :ص١٣٦ وما بعدها.

[4] ستانلى لين بول (١٨ ديسمبر١٨٥٤ – ٢٩ ديسمبر١٩٣١) مستشرق وعالم آثار بريطاني.

ومنوهاً ببواعثها الحقيقية، بما فيها البواعث الدينية والاقتصادية[1]، ليتحدث بعد ذلك عن بداية حملاتها بما فيها حملة الشعوب وحملة الأمراء والنورمان إلى جانب تطرقه لسير الحملة عبر القسطنطينية وما حصل من سقوط بعض مدن الشام مثل إنطاكية وطرابلس ثم بيت المقدس، كما تطرق إلى آلية سقوط هذه المدينة بأيدي الصليبيين، ومن توارث على حكمها بأن أخذت عنوان مملكة بيت المقدس حين ضمت أجزاءاً من فلسطين، متحدثاً عن الأدوار التاريخية لتلك المملكة الصليبية. والى ذلك، وقف عند عهد بلدوين الأول (١١٠٠ـ١١١٨م) وما شهده من رسوخ للكيان الصليبي في فلسطين إلى جانب حديثه عن عهد بلدوين الثاني (١١١٨م ـ١١٣١) منوهاً بما حققه هذا الملك من انتصارات توجت بانتزاعه مدينة صور من أيدي المصريين (الفاطميين) وبمساعدة أسطول البنادقة سنة ١١٢٤م[2]. والتفت بعد ذلك إلى بيان إشكالية ولاية حكم بيت المقدس واستقدام (كونت انو) الفرنسي (فولك) لهذا المنصب بعد أن تزوج ابنة بلدوين الثاني، مستغرقاً في الحديث عن سيرة هذا القائد الجديد غير المرغوب فيه من قبل القادة الصليبيين وما عمد إليه من وضع خطط عسكرية منتهياً إلى الإشارة لمقتله وما ترتب على ذلك من استلام الحكم من قبل عائلته[3].

وبعد ذلك تناول الحملة الصليبية الثانية والموجهة لاسترجاع الرها (أديسا القديمة) واحتلال دمشق وبعض المناطق الإقليمية الأخرى، حين وصفها وضمن تقييمه لها بأنها حملة فاشلة قياساً والحملات التي سبقتها مؤكداً أنها أسهمت إلى حد كبير في تمزيق وحدة الصف الصليبي، وتهيئة الطريق أمام نور الدين محمود للاستيلاء على دمشق من حكامها المناصرين للصليبيين[4].

والى جانب ذلك، تطرق إلى وضع بيت المقدس إبان عهد بلدوين الثالث، وكيفية سيطرته على عسقلان انطلاقاً من تلك المدينة. وتناول بالحديث عهد "الملك عموري " (١١٦٣ ـ ١١٧٤) والذي

---

[1] المصدر نفسه :ص١٥٦

[2] المصدر نفسه : ص١٦٨

[3] المصدر نفسه : ص١٦٩

[4] المصدر نفسه : ص١٧٢

أعقب وفاة أخيه، كما اشار الى أهم التنظيمات العسكرية في بيت المقدس الصليبية، وكأنـه يبتغـي القول بأن تلك التنظيمات كانت استلهاماً لما تمخض عنـه لقـاء الحـضارتين الغربيـة والـشرقية في بيت المقدس حين راح يستعرض العلاقات التي ربطت هذه المدينة بالإمـارات الـصليبية الـثلاث (إنطاكية وطرابلس والرها)، منوهـاً بمـا أصـاب المجتمعـات الـصليبية مـن تغـيير، حـين غـدت مفتوحة لتأثرهـا بالحيـاة الـشرقية العربيـة الإسـلامية وخروجهـا مـن عزلتهـا داخـل الحـصون والأسوار[1].

وبعد أن أتم الحديث عن الحملات الـصليبية، تبـدت لـه نتـائج تلـك الحملات،فأوجزهـا بمـا أورده عدد من المـؤرخين، منتهيـاً إلى القـول بـأن المـصالح الدنيويـة الخاصـة كانـت الغالبـة علـى المصلحة الدينية في كثير من الأحيان عند أمراء الحملات، مستفيداً في تقرير ذلك بما أفرزته تلـك الحروب من آثار سلبية ومعادية جاء على بيانها تباعاً[2].

ويتمحور مؤرخنا حول بحثه، حين تناول في فصل كتابه التاسع موضـوعة فلـسطين في العـصر الأيوبي، مستعرضاً حملات شيركو على مصر، إلى جانب حملة مملكة بيت المقدس الأخـيرة علـى مصر إبان عهد املريك (عموري) سنة (١١٦٨)، ليتواصل وفي سياق تطرقه لتاريخ الدولة الأيوبية وعلاقتها بفلسطين، إلى جانب بيان علاقتها بإمارة بيت المقـدس، مـستعرضاً المراحـل التاريخيـة التي وصل من خلالها صلاح الدين إلى سدة الحكـم وتأسيـسه لدولتـه الجديـدة وتعـديل القيـادة في مصر ومواجهة الوجود الصليبي[3]، ومتوقفاً عند أسباب ضـعف مملكـة بيـت المقـدس، ومـا أدى إلى انهيار الهدنة مع تلك المملكة وما ترتب علـى ذلـك مـن وقـوع معركـة حطـين الخطـيرة في تـاريخ الحروب الصليبية، مستعرضاً مراحلها ومـا حـصل بـين الطـرفين مـن مناوشـات انتهـت إلى ذلـك

---

١ المصدر نفسه : ص١٧٦

٢ المصدر نفسه : ص١٨٠

٣ المصدر نفسه : ص١١٨٧

النصر الذي أحرزه جيش صلاح الدين الأيوبي، مقوماً مكانتها ومؤكداً أنها كانت بمثابة نكبة أصابت الفرنجة وبداية لنهاية النفوذ الصليبي في فلسطين وبلاد الشام ومصر عامة[1].

وتأسيساً على أهمية معركة حطين المتعلقة بسير المعارك، وجد مؤرخنا انه وفق العرف العسكري تكون الهزيمة الكبيرة لأي جيش فاتحة عهد لهزائم أخرى إذا ما أحسن المنتصر واستثمر انتصاره هذا. ويبدو أن هذا الأمر دفع به إلى الحديث عما أعقب معركة حطين من تحرير لمدن فلسطين بما فيها بيت المقدس وما تبعه من تواصل لتحرير مدن فلسطين ومدن ساحل بلاد الشام، إلى جانب إشارته للحصار الصليبي لعكا معززاً هذا الحدث برسم تخطيطي يوضح وضع تلك المدينة أثناء الحصار ومنوهاً بمحاولات "ريتشارد قلب الأسد" لاسترجاع بيت المقدس وبيان أثر ما حل من هزيمة بالمسلمين في معركة (أرسوف) سنة ٥٨٧هـ ، والمواجهات بين الطرفين انتهاء بإشارته لصلح الرملة[2].

وحينذاك وبعد أن استقرت الأمور، تحدث عن فلسطين عقب وفاة صلاح الدين سنة (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) وما حصل من نزاعات داخلية بين الملك العادل وبين بعض أولاد صلاح الدين، وتأثير ذلك على الوضع السياسي لفلسطين، ممهداً لعودة الصليبيين واستيلائهم عليها من جراء السياسة الضعيفة لحكامها من المسلمين، ومشيراً إلى قيام الخوارزميين بتخليصها نهائياً من أيدي الصليبيين، متمماً مسيرة هؤلاء في التحرير نحو مدن فلسطينية أخرى وبإحلال الهزائم المتتابعة بالجيوش الصليبية، إلا أنه حدد منعطفاً خطيراً في مسيرة الأيوبيين حين أتت على نهايتها، بمجيء دولة المماليك سنة (٦٤٨هـ /١٢٥٠)[3].

وفي تلك المرحلة التي شهدت فيها فلسطين حكماً جديداً، جعل جزءاً من كتابه، بياناً واضحاً لهذا المتغير السياسي في حياة فلسطين، مؤشراً الظروف التي هيأت للمماليك أن يصبحوا حكاماً لمصر وفلسطين والشام وما آل أليه الصراع بينهم وبين المغول لا سيما في معركة "عين جالوت"

---

[1] المصدر نفسه : ص١٩٥

[2] المصدر نفسه : ص٢١٢

[3] المصدر نفسه : ص٢١٨

(٦٦٠ هـ /١٢٦٠م) إلى جانب تصديهم لأهم المعارك التي خاضها المماليك ضد الصليبيين في فلسطين بدءاً من تحرير عكا، ثم انتهاء الوجود الصليبي كله [١]. وهكذا كان الملوك المماليك سبباً في طرد المغول من المنطقة اثر معركة (عين جالوت) بقيادة السلطان (قطنز) وقائده "بيبرس وعبر (عين ثليت) بعكا، وكلتاهما معركتان حصلتا على أديم فلسطين، وبأيدي ملوك مصر من المماليك الترك. والى ذلك توقف عند القائد المغولي تيمورلنك وتحركاته صوب بلاد الشام وفلسطين وموقف المماليك الذي حال دفاعهم دون دخوله إلى فلسطين، وبقيت تحت إدارة المماليك، عندما أشار الدكتور إلى أهم ما عمد إليه هؤلاء في إدارتهم لها[٢].

ولكي نستكمل الفائدة من عرض هذا الكتاب، نعرج على ما أشار إليه الكتاب من خلال ما كتبه الأستاذ فاروق عمر، حين تصدى للمراحل التاريخية التي مرت بها فلسطين وصولاً إلى مشارف التاريخ الحديث حين أجال ببصره صوب ما وقعت من أحداث إبان عهدي السلطان العثماني "عبد الحميد" وعهد الزعيم الصهيوني "هرتزل" . وكانت من المحطات التي توقف عندها، هو ترجمته للشيخ "ظاهر العمر"[٣] إلى جانب الترجمة "لأحمد باشا الجزار"[٤] فضلاً عن

---

[١] المصدر نفسه : ص٢٢٤

[٢] المصدر نفسه : ص٢٢٨

[٣] كان أحد الحكام المحليين في فلسطين في فترة الحكم العثماني، عين سنة ١٧٠٥ حاكماً على عكا وعمل على تقوية مركزة ١٧٤٢م تمكن من احتلال طبرية وفى ١٧٠٥م أعاد تحصين عكا ضد أمراء الدروز وعمل على جذب التجار الأوروبيين وبمساعدة وزيره إبراهيم الصباغ أدخل سياسة اقتصادية جديدة وهي الاحتكار لأهم المنتجات في إمارته. فلما شكت الدولة في نواياه تحالف مع علي بك شيخ البلد في مصر وساعده على غزو بلاد الشام ثم تحالف في العام التالي مع الأمير يوسف الدرزي وتمكن بمساعدة الأسطول الروسي من الاستيلاء على بيروت وطرد حاكمها أحمد الجزار، للمزيد ينظر : ميخائيل الصَبّاغ: تاريخ ظاهر العمر الزيداني. لبنان، ١٩٣٥.

[٤] أحمد باشا الجزار (١٧٣٤م – ١٨٠٤م) أو أحمد البوشناقي : (أصوله من البوسنة والهرسك حاليا) حكم ساحل فلسطين والشام أكثر من ٣٠ عاما،ولولا وفاته لتولى حكم مصر قبل محمد علي الذي حكم مصر بين عامي ١٨٠٥م و١٨٤٨م. ولد البوشناقي (الجزار) في البوسنة لأسرة مسيحية عام ١٧٣٥م وهرب إلى القسطنطينية في مطلع شبابه وأرجع ثلاثة مؤرخين هروبه إلى أسباب عائلية أو بسبب جريمة قتل. وباعه تاجر رقيق للباب العالي حيث اعتنق الإسلام بإرادته، ثم جاء إلى القاهرة مع قافلة عائدة من الحج وانضم لخدمة أحد المسؤولين في البحيرة

تطرقه لما حصل من اضطرابات في القدس سنة (١٨٢٤م). والى ذلك امتدت عنايته بتاريخ فلسطين، لتشمل السنوات التي سيطر فيها "محمد علي باشا"[١] على زمام أمورها سنة (١٨٣١م)، حين أرسل إليها ابنه "إبراهيم باشا"[٢] في تلك السنة، مشيراً إلى الأسباب التي أدت إلى تمرد أهالي فلسطين ضد حكمه، ليتحول ذلك التمرد الشعبي إلى ثورة، أفصح فيها عن الأساليب البشعة التي اعتمدها إبراهيم باشا لإخمادها، فكانت تلك الإيماءة مناسبة للإشارة إلى الظروف التي أعادت فلسطين إلى حظيرة السلطان العثماني الذي واجه في تلك السنوات بروز الحركة الصهيونية بزعامة هرتزل. وأمام ذلك كان لا بد من توطئة للتعرف لماهية هذه الحركة والمشروع الصهيوني الذي حمله هرتزل وما حصل من تدهور سياسي في كيان الدولة العثمانية لا سيما عقب بروز الحركة القومية العربية وانعكاسها على الوضع في فلسطين[٣]. وهو في كل ذلك، حاول إبراز المساعي الخبيثة للحركة الصهيونية، بالأخص المساعي التي بذلها هرتزل لدى السلطة العثمانية

بشمالي مصر وتزوج من امرأة مصرية من أُصول حبشية. وبعد أن قتل البدو هذا المسؤول، انتقم البوشناقي بغارات متوالية على البدو حيث أعد كميناً ذبح فيه أكثر من ٧٠ بدوياً بينهم عدة شيوخ وقادة أقوياء للبدو. حين ذاك فاكتسب لقب "الجزار"، ينظر : الأمير أحمد حيدر الشهابي، "قصة أحمد باشا الجزار بين مصر والشام وحوادثه مع نابليون بونابرت"، القاهرة، مكتبة مدبولي،٢٠٠٨.

[١] محمد علي باشا (١٧٦٩ – ١٨٤٩)، باني مصر الحديثة وحاكمها ما بين ١٨٠٥ – ١٨٤٨. بداية حكمه كانت مرحلة حرجة في تاريخ مصر خلال القرن التاسع عشر إذ نقلها من عصور التردي إلى أن أصبحت دولة قوية يعتد بها. ينظر للمزيد : إصلاح أم تحديث؟ مصر في عهد محمد علي ـ تحرير رؤوف عباس، القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠.

[٢] إبراهيم باشا (١٧٨٩ – ١٠ نوفمبر ١٨٤٨) قائد عسكري عثماني الباني الأصل، هو الابن الأكبر (أو المتبنى) لمحمد علي، والي مصر. ولد إبراهيم باشا في كافالا – روماليا (**Kavalla, Rumelia**) في اليونان. ويقال أن محمد علي تبناه. نصب كقائم على العرش نيابة عن أبيه من يوليو حتى ١٠ نوفمبر ١٨٤٨. قاد حملة عسكرية على وسط الجزيرة العربية وقضى على الدولة السعودية الأولى إلا أنه لم يتمكن من إلحاق نجد بالحكم العثماني بسبب استمرار الغارات ضد جيشه فانسحب، ينظر : ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا ١٨٤٨– إصدارات "الجمعية الملكية للدراسات التاريخية في مصر، مطبعة دار الكتب المصرية عام ١٩٤٨.

[٣] المصدر نفسه : ص٢٤٨

لاستحصال مرسوم رسمي من السلطان عبد الحميد الثاني يكفل لهم مـشروع لاسـتيطان اليهـود في فلسطين. وقد فصل القول في هذا المشروع من خلال ذكره لمقتطفات لأقوال هرتزل ومـا كانـت عليـه طروحاته في المؤتمر الذي عقده لليهود[1]. وإزاء ذلك تحدث عن موقف بريطانيا من مشروع هرتـزل منتهياً إلى القول بدخول فلسطين في منعطف جديد في تاريخها الحديث تزامناً مع سـقوط الدولـة العثمانية مما ليس لموضوعة الكتاب من علاقة به[2]، لينتهي بذكر أهم الكتب والبحـوث الـتي لهـا علاقة بتاريخ فلسطين إلى جانب ما ألحقه به من قائمة ملاحق تتعلق بموضـوعة الكتـاب إذ أورد ملحقاً أشار فيه إلى أهم الأحداث التاريخية التي شهدتها فلسطين خلال الفـترة موضـوعة البحـث إلى جانب ملحق تطرق فيه إلى ذكر لمحات تاريخية عن أحوال اليهود في العصر العباسي (١٣٢هـ /٧٥٠م ـ ٦٥٦هـ /١٢٥٨م)، في حين جاء ملحق الكتاب الثالث إشارة لمقتبسات من تـاريخ اليهـود في العصر الفاطمي (٢٩٧هـ / ٥٦٧م ـ ٩٠٩ـ ١١٧٠م)، أما الملحق الرابع فقد ضمنه جملة آراء لأبـن خلدون في اليهود واليهودية (٧٣٢هـ / ١٣٣٢ـ ٨٠٨هــ/ ١٤٠٦م)، واسـتعرض في الملحـق الخـامس آراء المؤرخ البريطاني ارنولد جوزيف توينبي بتـاريخ فلـسطين، ومـشيراً لآرائـه حـول الحـضارة العربية، إلى جانب بيان رأيه باليهود وبتاريخهم وموقفه من القضية الفلسطينية.

[1] المصدر نفسه : ص٢٥٨

المصدر نفسه : ص٢٦٢

ـ دراسته لكتاب " قلائد الجمان"

في سياق عنايته بالتاريخ والتراث الكردي، وما عرف عنه من نتاج بهذا الشأن، فقد تم تكليفه من قبل لجنة الوثائق والمخطوطات في الأكاديمية الكردية بدراسة كتاب ((قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان)) لكمال الدين ابو البركات المبارك بن ابي بكر احمد بن حمدان بن احمد المولود في الموصل سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م لغرض الوقوف عند التراث الكردي في هذه المرحلة واستخلاص أهم الشخصيات الكردية التي وردت في هذه الدراسة.

ويبدو ان هذا التكليف جاء متساوقا وما كان يهتم به الدكتور محسن وما عني به من موضوعات تسير في هذا الاتجاه ولا سيما في مرحلة دراساته العليا، بالأخص دراسة الماجستير سنة ١٩٧٤، حين كتب في تاريخ (اربل في العهد الاتابكي) بإشراف الدكتور جعفر حسين خصباك[١]. وفي إطار بحثه عن معلومات تخص رسالته، عثر على مخطوط من كتاب (عقد الجمان) لدى الدكتور بشار عواد معروف[٢]. وفي هذا السياق يؤكد الدكتور محسن أن المخطوط بنسخته الفريدة موجودة في خزانة كتب أسعد أفندي الملحقة بمكتبة السليمانية باستانبول ولم يغفل الدكتور الإشارة الى الفائدة التي حققها له هذا المخطوط في أكثر من مجال، لعل أهمها هو القرار الذي اتخذه بضرورة قراءة أجزاء هذا الكتاب بأجزائه الثمانية من المجلدات العشر، إذ يذكر أن المجلدين الثاني والثالث لا يزالان مفقودين. ويشير الى ان انتظاره الوقوف عند تلك النسخ وقراءتها، قد طال عقودا من الزمن لتحقيق ذلك، حتى تبنى المحقق الأستاذ كامل سلمان الجبوري فكرة دراسة وتحقيق ونشر هذه الأجزاء التي يصل عدد صفحاتها الى (٤٤٥٠) صفحة وهي أشبه ما يكون بموسوعة أو دائرة معارف لرجالات القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي. فكان لزاما وأمام ذلك، أن يقرأ الدكتور محسن تلك الآلآف من الصفحات بحثا عن معلومات وتقصيا عن

---

[١] كان تدريسيا في قسم التاريخ كلية الآداب / جامعة بغداد وقتذاك، توفي سنة ١٩٨٩.

[٢] وكان أيضا تدريسيا في ذات القسم، غادر العراق فيما بعد .

مخفيات الأمور مما له علاقة بواقع الكرد وتاريخهم، الى جانب القرى والمدن والقصبات وبقية جوانب المجتمع الكردي.

ولعل من الأمور التي حفزت الدكتور للاطلاع على مفاصل كتاب ((القلائد)) واستهوته دراسة مضمونه، أن مؤلف هذه الدراسة قد عاش في اربيل سنوات عديدة في كنف وزيرها ومؤرخها المستوفي أولا، ولأنه أيضا عاصر أزهى سنوات تلك المدينة إبان عهد ملكها الأشهر (مظفر الدين كوكبوري) ثانيا. كما عاصر الدولة الأيوبية وملوكها الذين حكموا أرجاءها بعد رحيل صلاح الدين يوسف بن ايوب مؤسس هذه الدولة وقائد الجبهة الإسلامية في الحروب مع الفرنجة ((الصليبيين)).

وعن نشأته الأولى يذكر الدكتور محسن أن ابن الشعار، كان قد ولد بعد رحيل صلاح الدين بنحو ست سنين ومات بعد أفول الدولة الأيوبية، ولا سيما في بلاد الشام وبلاد الجزيرة لسنوات قليلة، ومن ذلك فلا يجد من الغرابة أن يشار إلى أن أشعار (القلائد) كانت في مدح هؤلاء (أسرة بني أيوب)، وكذلك مدح المستوفي وكوكبوري ـ بالدرجة الأولى ـ وهي موضع دراسته، في حين أن الأشعار التي مدحها فيها شخوص العصر الآخرين مثل الخلفاء العباسيين المعاصرين لابن الشعار وكذلك ملوك الموصل سواء من الاتابكة او بدر الدين لؤلؤ وغيرهم، فهي ليست ضمن دراسته. وهذا الأمر ينسحب كذلك على الأشعار التي نظموها في المناسبات أو كتبوها للتعبير عن أحوالهم الاجتماعية والفلسفية وعواطفهم الدينية أو في الغزل وفي الهجاء، أي ان الدكتور تعمد إهمال ما هو بعيد عن هدف الدراسة، لا سيما الشعراء ممن لم يكن لشعرهم وزن كبير. والى ذلك، يشير الى ظاهرة اجتماعية ملحوظة في تلك المرحلة تمثلت بأشعار التغزل بالذكور (الغلمان) وما نظم من مجالس الشرب، إلى جانب بروز ظاهرة التشيع ومدح أهل البيت سواء في مدينة الموصل واربيل أو بغداد وحلب ودمشق وغيرها من مدن المنطقة، إضافة الى وجود عدد لا يستهان به من شعراء مرتزقة كانوا يعتاشون على ما تجود به أيدي المدوحين، وهي قصائد تستحق أن تفرد لها دراسة اجتماعية وفنية مستقلة.

وتحدث الدكتور عن مؤلف (عقد الجمان) مؤكدا على عدم التمكن من معرفة تاريخ صباه وشبابه وكذا الحال عن نشأته العلمية، سوى ما تمكن من استنتاجه عبر كتاباته مثل تعلمه الخط من المعلم سليمان بن المظفر الاربلي، كما أكد انه حضر مجلس إبراهيم بن المظفر وعرف عنه أيضا انه اتجه إلى طلب معارف (ثقافة) عصره منذ نعومة أظفاره فأخذ عن العارفين والمثقفين اللغة والأدب ثم بدأت تتجمع لديه قصائد رجال زمانه.

ويذكر الدكتور، ان ابن الشعار كان قد قدم الى اربيل مع بداية سنة ٦٢٥هـ / أواخر سنة ١٢٢٧م، وكان له من العمر نحو ثلاثين سنة حسب رواية المستوفي الاربلي، واعلن الدكتور محسن ان ابن الشعار كان قد عانى من فاقة العوز وبقي هذا الوضع ملازما له مدة طويلة[١] رغم ما كان يتلقاه من معونة من صحبته لعالم كبير مثل ابن المستوفي وقد ذكر عباس العزاوي، الباحث العراقي المعروف : أن ابن الشعار مارس عملا كتابيا في ديوان اربيل، ولعل هذا ما حصل عندما كان المستوفي رئيسا لديوان الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري صاحب اربيل. ولم يستبعد الدكتور أن يضع المستوفي ترجمة أبن الشعار ضمن كبار رجالات العصر الذين وفدوا الى اربيل في كتابه(نباهة البلد الخامل من ورده من الأماثل في تاريخ اربيل) إلى جانب كل من ابن الدبيثي، ابن النجار، ابن القطيعي، ياقوت الحموي، الى جانب من وفد من المتصوفة المشاهير من أمثال أحمد بن محمد الغزالي (أخو الإمام حجة الإسلام) وعبد القاهر السُهروردي وأبن أخيه الشيخ عمر السُهروردي، ورجال الحديث أمثال محمد بن محمد الحازمي وابن عساكر (حفيد المؤرخ الشهير بالاسم نفسه، مؤلف موسوعة تاريخ دمشق). وأشار الدكتور الى ان المستوفي ذكر أسماء من وردوا اربيل شرفا يتطلعون إليه، مؤكدا ان بعض هؤلاء كان يصارح المستوفي برغبته في ان يكون

---

[١]. ورد على لسان ابن الشعار ما مضمونه أنه كان قد عانى من الفاقة والعوز، وهو يعتذر من قرّاء كتابه إن وجدوا فيه أخطاءً فيطلب منهم الصفح قائلا : ((إني أسأل الناظر فيه ـ أي في كتابه ـ الصفح عن هفواتي وارغب إليه الستر عن زلاتي وعثراتي لأنني ألفته وأنا كليل الناظر مشدود الخاطر قد أخذ مني الفقر بحقه، وصيرني أسيرا في قبضته ورقّه والدهر يُجِر عني كاسات حتوفه، ويصميني بسهام صروفه))، انظر الجزء الأول من كتابه، الصفحة (٦٤).

لترجمته مكان في [1](نباهة البلد)، وأشار أن ابن الشعار قد نال هذا الشرف بكل استحقاق، مؤكدا تحسن وضعه المالي بعض الشيء، بحيث أصبح بمقدوره التنقل بين مدن المنطقة حتى مكث أخيرا في حلب لحين وفاته فيها سنة ٦٥٤هـ /١٢٥٦م.

ـ إشادات بجهود ابن الشعار :

إن من يصنع محاسن التاريخ، سوف يلقى من يُحسن الى ذكره ويمجد عمله، وهذا هو ديدن من يسير على هذا المنوال. وليس بغريب أن يحظى ابن الشعار، وهو من أحسن عملا، برعاية وذكر حَسِن. وقد وقف الدكتور محسن عند العديد من إشارات مؤرخي وأدباء عصر ابن الشعار، أو من أتوا بعده، وهم يثنون على عمله المضني. وفي هذا السياق، أشار الدكتور الى وصف المستوفي لأبن الشعار بالرجل المغرم بجمع أشعار رجالات عصره، مؤكدا أنه يحفظ جملة من تواريخ وحكايات وأشعار أهل زمانه وأنسابهم ومواليدهم ووفياتهم[2]. وأشار الى ما ذكره ابن الفوطي عن ابن الشعار، من انه الأديب المؤرخ الذي اهتم بجمع نتاج العلماء وأشعار الفضلاء وغير الفضلاء ـ وسعيه مشكور فيما فعله[3] والى ذلك أورد الدكتور ما أشار إليه ابن آيبك الصفوي حين وصفه بالمؤرخ الأديب، وفي هذا السياق نوه الدكتور بإشارات أخرى صدرت من ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد الاربلي.

لقد وجد أن أهمية هذا الكاتب متأتية من كثرة مصادر ترجمته التي بلغت اثنتين وعشرين مصدرا في اقل تقدير، ذكر من بينها ما كتبه الذهبي، اليافعي، ابن كثير، أبو شامة، ابن الصابوني، ابن العديم، الخزرجي ابن العماد، حاجي خليفة وإسماعيل باشا البغدادي والصقار. ونوه فضلا عن ذلك بما تحدث عنه باحثين محدثين من أمثال كارل بروكلمان، عمر رضا كحالة، مصطفى جواد، خورشيد رضوي وسامي بن السيد خميس الصفار.

---

[1] نباهة البلد الخامل، وسيشار الى هذا الكتاب بـ (تاريخ اربل).

[2] تاريخ اربل (نباهة البلد الخامل) تحقيق الدكتور سامي السيد خميس الصقار، طبعة دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠، ٣٨١/١

[3] مجمع الآداب في مجمع الألقاب، طبعة طهران ـ إيران،١٤١٦/، ٤/ ٤١٧.

وفي سياق جهوده في بيان مآثر ابن الشعار، أكد الدكتور أن لدى هذا الرجل كتاب آخر أسمه (تحفة الوزراء المذيل على كتاب معجم الشعراء)[1] لمؤلفه محمد بن عمران المعروف بالمرزباني.

والى ذلك يذكر الدكتور ان من ترجم لهم ابن الشعار، هم أشخاص تقلدوا مهاما مختلفة رغم أن القاسم المشترك بينهم هو قول الشعر. ويشير الى ان بينهم عدد من رجال الدولة والملوك، ولا سيما من ملوك بني ايوب الكرد، اذ بينهم الملك الكامل محمد بن أخي صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادي والأمير عبد الرحيم بن عمر بن شاهنشاه أخو صلاح الدين يوسف والملك الظاهر شهاب الدين غازي بن صلاح الدين والملك المعظم عيسى بن يوسف بن أيوب. ويؤكد على أن هناك تراجم لعدد من الوزراء بينهم ـ على سبيل المثال ـ علي بن شماس وزير اربل، وأحمد بن عبد الرحيم (القاضي الفاضل) كاتب إنشاء ديوان دولة صلاح الدين ومستشاره الأول ووزير اربيل ومتولي ديوان الاستفتاء (المستوفي ابن المستوفي) شرف الدين المبارك بن احمد الاربلي ومؤرخ بغداد محّب الدين ابن النجار، والبلداني الشهير ياقوت الحموي الذي زار اربل أكثر من مرة وعلي بن أبي بكر الهروي مؤلف كتاب في تاريخ الإمارة المروانية الكردية، ويوسف بن رافع المعروف بابن شداد كاتب سيرة صلاح الدين يوسف بن ايوب في كتابه (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) والشاعر عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبرائيل بن خمارتكين والمؤرخ الكبير عمر بن احمد بن هبة الله المعروف بـ (بابن العديم) ابن دحية الأندلسي صاحب التصانيف الشهيرة بينها كتاب (النبراس في ذكر خلفاء بني العباس)[2] الذي زار اربل وأهدى احد كتبه الى كوكبورى خلال مهرجانات المولد النبوي التي انفردت اربيل في إقامتها كل عام، وكذا ترجم للمؤرخ ابن أبي الطي الحلبي، وذكر مع الترجمة ثلاثة عشر كتابا بينها كتاب عن تاريخ صلاح الدين الذي عاصره في شبابه، فضلا عن ترجمته المؤرخ الشهير عزالدين علي ابن الأثير الجزري[3]. وترجم لأخيه نصر الله بن محمد بن سعيد بن يحيى الدبيثي الواسطي

[1] انظر تفاصيل ذلك في ص٢٤ـ ٢٦من كتاب القلائد

[2] طبع هذا الكتاب سنة ١٩٤٦ وتحقيق عباس العزاوي.

[3] القادم من مدينة (جزيرة ابن عمر) في كردستان الشمالية أي تركيا الحالية.

ولأخيهما (الثالث) محمد ابن الاثير، وللأمير محمد قرطايا بن عبد الله الاربلـي، وكـذلك لأحـد أعلام عصره ـ عصر ابن الشعار ـ عبد الحميد بن هبة الله بن أبـي الحديـد مؤلـف الكتـاب الـشهير (شرح نهج البلاغة) الى جانب ترجمته لكبار رجال التصوف الاعلام مثل الشيخ عمر بـن محمـد بن عبد الله السهروردي مؤلـف (عـوارف المعـارف) وكتـاب (بغيـة البيـان) و(رشـف النـصائح) وغيرها، وأشار الدكتور إلى ان هذا الأمر من الترجمة انسحب على الصوفي الأشهر محي الدين بـن عربي وغيرهم كثيرون.

وذكر الدكتور ان عدد ما ترجم لهم ابن الشعار قد تجاوز الألـف ترجمـة، أي فـاق عـدد التراجـم التي ضمنها كتاب ابن خلكان الكردي الاربلي المعروف (وفيات الأعيان وأنباء الزمان) مـع فـارق بسيط، هو ان ابن الشعار ترجم للذين عاصرهم سواء في مرحلـة الـشباب او الـشيخوخة، في حـين شملت تـراجم ابـن خلكـان رجـالات الحـضارة الإسـلامية مـن بدايـة تكوينهـا الى سـنة ٦٥٠ هــ /١٢٥٢م.

ويذكر الدكتور ان ابن الشعار كان حريصا على لقاء من يترجم لهم وجها لوجـه ويـروي عـنهم أقوالهم وتواريخ ولاداتهم وأشعارهم بصيغة (أنشدني لنفسه)، مستشهدا للتدليل على ذلك سـفره الى بغداد والموصل وواسط وحلب ودمشق، فضلا عن سفره وبصحبة أمير اربلي الى واسـط للاجتمـاع بجماعة من أهلها وتقصي أخبارهم وكتابـة أشـعارهم واجتماعـه بـإبن البانياسـي مـرارا. ورجـح الدكتور، ورود حلب رسولا من الملك العادل الأيـوبي (أبـي بكـر أخـو صـلاح الـدين) وشـاهد في حلب سليمان بن داود بن يوسف (حفيد صلاح الدين) ملك البيرة وذلـك في سـنة ٦٣٤هــ /١٢٣٦م كما لقي أثناء وجـوده باربـل عـددا مـن رجـالات المدينـة او الـذين وفـدوا إليهـا، ولا سـيما إبـان احتفالاتهـا الـسنوية بمولـد الرسـول الأعظـم (ص)، ويؤكـد الـدكتور انـه دوّن معلومـات تتعلـق بحياتهم وثقافتهم ونتاجهم الشعري، وهكذا يـرى أن الكتـاب قـد جـاء بمثابـة موسـوعة شـاملة تضمنت الكثير مما يهم الباحث والمؤرخ. ويـرى ان هـذا الكتـاب، قـد أفـاد الكـثير مـن البـاحثين والعـاملين في مجـال الثقافـة، سـواء الـذين عاصـروه وعرفـوه شخـصيا، أو الـذين جـاؤا بعـده وفي مقدمتهم ابن خلكان الذي صار صديقا له، فكان يصنفه على الـدوام بعبـارة ((صـاحبنا)) للـصحبة

التي ربطتهما في اربيل. وإزاء ذلك ينقل الدكتور ما قاله الجبوري في تحقيقه لـ (القلائد) ما قوله : أكاد أجزم بأنهما قد تزاملا في الدراسة على ابن المستوفي، إذ كان ابن خلكان من تلاميذه، كما أشار الى ذلك بوضوح في كتابه[1] ، إذ اطلع على على كتاب ابن الشعار وسماه باسمه (قلائد الجمان) ونقل عنه معلومات في موضوعات عدة، فيما ترجم ابن الشعار لرجالات الاسرة الخلكانية، بينهم ابن خلكان صاحب الوفيات أثناء ما كان شابا وقبل مغادرته اربيل وقبل ان يشتهر ويبرز بوصفه مؤلف الكتاب المذكور . ويؤكد الدكتور على أن مؤرخا موسوعيا آخر كان قد انتفع من كتاب (القلائد)، هو عبد الرزاق بن احمد البغدادي (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م) المعروف بابن الفوطي. فيذكر في كتابه (معجم الألقاب) ونقل عنه ـ حسب إحصاء ـ الأستاذ الجبوري (٧٤ مرة) وهذا ما يراه الدكتور كافٍ للدلالة على أهمية كتاب القلائد.

والى ذلك، يتحدث الدكتور عن مصادر ابن الشعار في الكتابة، فيقول إنها عيانية (أي ما يشاهده بعينيه)، (المقابلات الشخصية)، او على السماع ممن قابل شاعرا ما أو تحدث معه، وعددهم كثير، أما المصدر الآخر لمعلوماته، فيذكر انه النقل عن تصانيف من سبقه ممن كتبوا عن تراجم الشعراء، واستقى مادته منها، ويذكر ان معظم تلك التصانيف والدواوين يذكرها محقق الكتاب، سواء المصادر المسموعة أو المقروءة[2].

والى جانب ذلك، تحدث الدكتور عمن نقل عن ابن الشعار، معولا على ما ذكره الجبوري ومنهم :

- ابن المستوفي في (نباهة البلد الخامل ومن ورده من الأماثل في تاريخ اربل) .
- ابن خلكان في وفيات الأعيان.
- ابن سعيد المغربي في (الغصون اليانعة).
- ابن الفوطي في (مجمع الآداب)
- اليونيني في (ذيل مرآة الزمان)

[1] وفيات الأعيان، طبعة بيروت، تحقيق د. إحسان عباس : ٤/ ١٧٤

[2] مقدمة القلائد :ص٣٨.

ـ الذهبي في (العبر في خير من عبر).

ـ اليافعي في (مرات الجنان).

ـ عبد القادر القرشي في (الجواهر المضنية).

ـ ابن تغري بردى الاتابكي في (المنهل الصافي).

ـ حاجي خليفة في (كشف الظنون).

ـ ابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب في أخبار من ذهب).

ـ ابن شاكر الكتبي في (عيون التواريخ).

وأمام كل ما أشار إليه الدكتور محسن، وما وقف عنده من الأمور المختلفة بما وجده في مضمون كتاب (القلائد)، يبدو انه أدرك الحاجة إلى دراسة فحوى أجزاء هذا الكتاب على الرغم من سعة ما تضمنه من مادة. وواضح أن أكثر ما كان يهم الدكتور هو العثور على ما يتعلق بتاريخ الكرد والوقوف عند الشخصيات والمعلومات التي وردت في هذا الكتاب والمتعلقة بإدارة دولة مظفر الدين كوكبوري، أو في الدولة الأيوبية وبيان أدوار أبناء هذه الأسرة.

ويلفت الدكتور النظر ويحرص على ان لا يغفل المرء أن هذا الكتاب هو لتراجم شعراء أواخر القرن السادس عشر والثلث الأول من القرن السابع. ومع ذلك، فأنه لم يتطرق إلى ذكر أشعارهم، لكون الكتاب يضم تراجم أكثر من ألف شاعر خلال أربعة الآف وأربعمائة وخمسين صفحة. ولكن أشار إلى الصفحات التي وردت فيها أشعاره، بينها قصائد الإشادة بأحد الملوك من بني أيوب أو مظفر الدين كوكبوري[1] .

أما عن مدح الخليفة العباسي في بغداد أو اتابكة الموصل وبدر الدين لؤلؤ، أو غيرهم، فلم يتطرق الى تلك المدائح أو الإشادة بهم، لأن ذلك كما يراه يخرجه عن الهدف الذي أعلنه، ويرى أن كتاب "القلائد" فيه معلومات جديدة قد لا يعثر عليها في مظان أخرى. وهذا على ما يبدو قد دفعه إلى إثارة اهتمام المعنيين بتاريخ الكرد خلال المرحلة التي بلغت فيها الدولة الأيوبية مرحلة القوة، ثم تلتها مرحلة الانقسام بين أولاد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أبي أيوب، وكذلك بين

---

[1] لكن آثر الدكتور محسن ان يشير الى بعض تلك الأشعار حين الضرورة القصوى.

أولاد الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب وأولاد ايوب الآخرين، وتلك المرحلة التي عاصرها المؤلف، وهذا ما يراه الدكتور، قد أضفى على كتابه أهمية بوصف المؤلف شاهدا والتقى بشخوص رجالات المرحلة.

والى ذلك يؤكد الدكتور أن ابن الشعار لكثر ما يدقق في معلوماته ولا سيما في توريخ الأحداث التي كتبت عنها، فطفق يدوّن تراجم شعراء العصر بتفصيل وأمانة، فيعمد الى ذكر تواريخهم باليوم والشهر، وأحيانا نجده يحدد الوقت إن كان صباحا او عصرا او ليلا مع ذكر اسم اليوم ضمن الأسبوع، و لم يذكر حين الحديث عنهم سوى سنة الميلاد أو سنة الوفاة دون بقية التفاصيل. والى جانب ذلك، أشار الى ان ابن الشعار تطرق الى ذكر أسماء قرى وبلدات كردستانية لم تشر إليها البعض من كتب التاريخ مثل رايات (راية) والدربندا وعينكاوه وحرير ((هرير))، فضلا عن ذكره بعض الألفاظ الكردية التي كانت تستعمل يومئذ، وربما لم تعد موجودة في الوقت الحالي كما أشار الى شعراء تغنوا بمناسبة النوروز وتهنئة الملوك بهذه المناسبة، كما نوه بما تحدث عنهم ابن الشعار من شخصيات تقلدوا وظائف في إدارة دولة صلاح الدين يوسف بن أيوب وحلفائه، وكذا الحال في دولة مظفر الدين كوكبوري، سواء من الاربليين أو ممن ورد اربيل وتسنموا وظائف فيها، ومع ذلك فأن الدكتور لم يورد أسماء من لم يكن لهم دور واضح من الشعراء، او ممن اكتفى ابن الشعار بذكر بسيط له، أو ممن كان شاعرا مرتزقا ولم يكن عددهم كبيرا بحيث يؤثر على طبيعة الدراسة. ولاحظ الدكتور ومن خلال دراسته تلك،كثافة وجود الكرد في الموصل[1] كذلك كثرة من اعتقلهم مظفر الدين كوكبوري من رجالات دولته، وذكر أنه عالج هذا الموضوع في دراسة سابقة له[2].

---

[1] محسن محمد حسين : اربل في العصر العباسي.. محاولة لخلخلة التاريخ

.. بحث منشور في مجلة المجمع (الأكاديمية)، ع١٣

[2] انظر دراسة الدكتور محسن محمد حسين : اربل في العهد الاتابكي، ص١٩٧ ـ ٢٠١. وقد تمت ترجمته الى اللغة الكردية وطبعتها الأكاديمية الكردية / اربيل سنة ٢٠١٠.

منهجه في كتابة التاريخ :ـ

أولاً :ـ نظرته إلى التاريخ :

لأنه درس التاريخ ودرسّه، فكان لا بد من الوقوف على ما يفهمه وما يقوله إزاء التاريخ وحركته. فقد وجدناه وكأنه يتفرد برؤية متخصصة أكثر لماهية التاريخ، حين نوه بعجز المعنيين عن وضع " التاريخ" ضمن إحدى المعارف المعروفة بما فيها الأديان، العلوم، الفنون، وكذلك الفلسفات، رغم محاولات جادة لوضعه، أو علاج أمره ضمن "فلسفة" التاريخ" بل وجد أن هذا الوضع جعله وآخرون يقرون أن التاريخ معرفة ذات طبيعة خاصة، ففيه تاريخ المعارف الدينية، وفيه أيضا تاريخ الفنون وكذا بالنسبة للعلم، حتى صار يعرف بـ "علم التاريخ" أحياناً، أي المعرفة الخاصة به أو ما يعني " المعرفة التاريخية ". ومن ذلك يرى مؤرخنا أن التاريخ علم مجازاً، وأشار إلى انه عالج هذا المعنى في أبحاث نشرها باللغة الكردية في مجلة (روَشنبيرى نوىّ) منذ أكثر من عقدين[1]. ووجد أن ما حال دون إدخال التاريخ ضمن إحدى تلك الخانات المشار إليها أعلاه يتمحور حول طبيعة (مدوّن الحدث) أو المؤرخ من جهة، ثم طبيعة التاريخ نفسه من جهة أخرى، وهو بذلك يجعل من المؤرخ وما يدونه الأداة الحقيقية لمادة التاريخ، إذ بإمكان هذا المدون للحدث أن يتفنن أو يحرف أو يلغي حقائق ويأت بغيرها، فهو يراه منساقاً كغيره لطبائع البشر ، فهو ليس كائناً مجرداً من الأهواء والمصالح والانحياز، ثم انه ليست لديه القدرة على رؤية الحدث من زواياه المتعددة، ومن ذلك يرجّح أن يفسر المدوّن للحدث ليس كما حدث أو وفق ما تمّر عليه من أحداث، بل وفق حاجاته ووفق رغباته، ووفق روح عصره.. بل ووفق مصالحه أيضاً... الخ.

أما عن طبيعة الحدث التاريخي بذاته، فأنه لا يتفق مع من يذهب إلى انسحاب صفة العلم عليه، مشدداً على البحث عن ماهية العلم، حين يرى أن التاريخ ليس علماً قائماً على الملاحظة والتجربة العملية وهو ما يشكل استحالة إخضاع المعرفة التاريخية لطرائق العلم التجريبي، بل

---

[1] من مذكراته، ص٣٤

ولا يمكن مع ذلك استنباط قوانين يمكن سريانها على الأحداث. ويتفق مؤرخنا على أن أحداث التاريخ لا يمكن أن تقع إلا مرة واحدة في زمان واحد ومكان واحد، بل لا يمكن القول أن إدراك موعد وقوعها أو استعادة حدث وقع، فالحدث كما يراه يقع مرة واحدة وعلى نمط واحد[1].

ويبدو انه يتفق والرأي الذي يقول " أن التاريخ لا يعيد نفسه " حين وصفه بالرأي الصائب، إضافة إلى وجود عنصر ما يسمى بالصدفة أو الحدث " اللامتوقع ". ويرى أن تلك الصدفة تضطلع أحياناً بدور خاص وكبير ضمن الأحداث، وهذا ما يجده حائلاً دون تنبؤ الباحث في التاريخ بالمستقبل والتكهن بوقوع الحدث قبل وقوعه أو ما يسمى بـ " الاستشراف" بخلاف الظواهر الطبيعية التي تتكرر بالكيفية نفسها، وبموجب ذات الشروط إلى ما لانهاية من المرات، مثلما هي الحال بالنسبة لظاهرة المطر أو الكسوف والخسوف... الخ.

ومع كل ما أشار إليه من استحالة استخلاص قوانين ثابتة، فأنه يرى إمكان ان يكون التاريخ (علماً) له خصوصية، كأن يغدو علم نقد وتمحيص وتحقيق لوثائقه التي دونت فيه أحداثه، لكنه لا يطمح أن تكون لديه القدرة على تعميم ما حصل على الأحداث الأخرى، بمعنى أن التاريخ قد صار علماً، إلا أن هذا التعميم من شأنه أن يضمحل منذ أول لحظة. ويرى أن الباحث في التاريخ - ولا يقصد من ذلك مدون الأحداث أو المؤرخ - حسب وصفنا المذكور لهما - بوسعه أن يصبح عالما بكل معنى الكلمة، حين يتمكن من تجاوز ذاتيته ومخاوفه، يتجاوز النظر إلى الأحداث بعين واحدة، يستطيع أن يجعل من نفسه رقيباً حسيباً على ما يكتبه وما يورده في دراساته، بل ويضع ضميره على كّف إحدى يديه، ويمسك بالأخرى قلمه النزيه، ولا يجافي الحقيقة ولا يخاف في إعلان الحقائق لومة لائم، أو رقابة رقيب، أو محاسبة حسيب. وبهذا يرى أن هذا الإنسان سيكون عالماً جليلاً، لا يقل مكانه عن علماء الطبيعة، إن لم يكن يتجاوزهم بسبب قدرته على تجاوز عواطفه وانحيازاته، في وقت يكون تجاوز علماء الطبيعة لعواطفهم من باب تحصيل

---

[1] المصدر نفسه، ص٣٥

حاصل. وبذلك فهو يرى أن التاريخ بحد ذاته، خارج عن تلك المعارف الأربعة التي أشار أليها ، فغدا من جراء ذلك معرفة خاصة به، وهو ما يلزم القول بان التاريخ، تاريخ، وهذا حسبه[1].

ولم يغفل الإشارة إلى ما اكتنف مسيرة بعض المؤرخين والباحثين من إشكاليات وتعثرات بسبب تبعيتهم، أو قل عدم استقلاليتهم فيما يكتبونه أ و عدم تجرّدهم. وبعكس ذلك، قد يفقد الباحث مصداقية الكتابة ونزاهة القلم،كما يفقد ثقة واحترام قرّائه، لأنهم سينظرون إليه بريبة واستخفاف، ويرى أن سبب ذلك يعود إلى هؤلاء الكتبة الذين عالجوا موضوعات التاريخ بما أُملي عليهم من عليّة القوم من الأباطرة والملوك والخلفاء والقادة والرؤساء... الخ ، وليس على ما أملته عليهم عقولهم ورؤاهم المنبثقة من تلك العقول.

ويشفق مؤرخنا على أولئك الباحثين والمؤرخين الحصيفين الذين بخس المجتمع حقوقهم من أصحاب العقول والأذرع، وليس من أصحاب التيجان والعروش، ليردف قائلاً : أن البناة سيبقون جنوداً مجهولين يبيتون في منأى عن الضوء، فهم يعيشون في قاع المجتمع على الرغم من أنهم هم من يكدون ويشقون وينتجون، لكنهم لا يتركون بصماتهم على نتاجاتهم، وعلى أنشطتهم وفعالياتهم، ولكن ـ وهنا المفارقة ـ لا ينسب ما أنجز من أعمال إليهم، فيمّرون على صفحات التاريخ مرور الأشباح وليس مرور الكرام ـ مع الأسف ـ ثم يزولون زوال الظل أو الخيال، ويرميهم المؤرخون إلى زاوية الإهمال وفي طي النسيان، كأنهم لم يكدّوا ولم يكدحوا، لم يكونوا.. لم يوجدوا على هذه الأرض مع أنهم هم من أنجزوا ما أُنجز، فهم بناة سور الصين العظيم[2] والأهرامات والزقورات[1]، هم بناة برج بابل وحصن الاكروبولس[2]ومعبد البارثينون في

[1] الدكتور محسن، مقابلة معه، اربيل، ٢٠٠٨.

[2] تم بناء أولى الأجزاء من السور أثناء عهد حكام "تركيو صبحيو–تشانغو" كان البناء الجديد يسمح لهم بحماية مملكتهم من هجمات الشعوب الشمالية(التركية: من ترك و منغول و تونغوز=منشوريين)، وبالأخص "شييونغنو=هيونغ–نو =الهون"، إحدى القبائل من شعب الهون التركي (راجع: أتيلا). قام أحد حكام أسرة "تشين"، وهو "شي هوانغدي" ببناء أغلب أجزاء السور، كان هو أيضا يخشى الحملات التي كانت تشن من قبل قبائل بدوية من السهوب الشمالية.بعد توحيد الصين من قبل "تشين شي هوانغ" (٢٢١ ق.م) تسارعت وتيرة بناء السور، وانتهت الأعمال سنة (٢٠٤ ق.م)، بعد أن شارك فيها أكثر من (٣٠٠,٠٠٠) شخص. واصلت أسرات

أثينا ومسرح الكوليزيوم في روما وكنيسة ـ ثم جامع ـ آيا صوفيا في القسطنطينية (استانبول) وسور ديار بكر (آمد) وقصر الحمراء في الأندلس والكاتدرائيات والقصور في الصين والهند وأوروبا والجسور العملاقة.... الخ انه يرى الناس أو (البروليتاريا)[3] بشقيها الداخلي

"هان" (٢٠٦ ق.م) ثم "سوي" (٥٨٩–٦١٨ م) أعمال البناء. ساهمت أسرة "منغ" (١٣٦٨–١٦٤٤ م) في مد السور وتدعيمه، كما تم استبدال الأجزاء التي بنيت بالطين، ببناءات من الطوب. بلغ طول البناء النهائي (٦,٧٠٠ كلم) وامتد بموازاة الأنهر المجاورة وتشكلت انحناءاته مع تضاريس الجبال والتلال التي يجتازها. أضيف سور الصين العظيم إلى قائمة التراث العالمي التي حددتها اليونسكو عام ١٩٨٧، انظر مجموعة مغامرات حول العالم "سور الصين العظيم، دت.

١ عبارة عن معابد مدرجة كانت تبنى في العراق ثم إيران و سوريا ومن أشهر الزقورات عالمياً هي زقورة أور السومرية قرب مدينة الناصرية (محافظة ذي قار) جنوب العراق.و زقورة عقرقوف قرب بغداد. ويذكر ان ثمة ثمانية وعشرون زقورة في العراق. بينما توجد أربع زقّورات في إيران ومن أشهرها زقورة في مدينة سوس في إقليم الأهواز أو خوزستان. أما بسوريا فيمكن رؤيته الزقورة في سهل الغاب السوري بين مدينة إبلا الاثريه (العصر الفخاري والبرونزي) و افاميا (الهيلينيه – بيزنطية)، وفي مدينة ماري على الفرات الأوسط في سوريا. وبنيت الزقّورات بأيدي السومريين والأكاديين والبابليين والأشوريين، ينظر : محمود محمد رزق، دراسة مقارنة حول المؤثرات المتبادلة بين مصر والعراق منذ عصور ما قبل الأسرات حتى مطلع الدولة القديمة من خلال الأدلة الأثرية، تمهيدي ماجستير- شعبة الآثار المصرية، قسم التاريخ، كلية الآداب / جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٠.

٢ حصن الاكروبولوس يصل ارتفاع قمة هذا المعبد إلى ١٥٦ مترا فوق سطح البحر، و٩٢ مترا فوق مدينة أثينا المنخفضة، وهو حصن طبيعي حقيقي يمكن الوصول إليه فقط من الأرض المنحدرة ناحية الغرب، أما الجوانب الأخرى فتتدلى بانحدار هابط، وبفضل الموقع والأهمية الإستراتيجية للأكروبولس الذي كان موضع السكن الأول لملوك أتيكا والحراس، ويحوي العديد من التماثيل والأحجار، وتحيط بالاكروبولس أسوار عالية، ويعتبر المعبد اليوناني الأثري الأول، ويحوي صروح ملوك عديدة دمرت معظمها من قبل الفرس عام ٤٧٩ قبل الميلاد، وتعهد بارثينون بإعادة بنائه عام ٤٤٧ قبل الميلاد. محمد رزق محمود، المصدر السابق.

٣ حسب مفهوم توينبي فالبروليتاريا الداخلية، هي فئات الشعب الذي وصل بها حال تبعيتها وانصياعها للسلطة المستبدة الى مرحلة الخنوع، فباتت لا تعير اهتماماً لما تساقط من حقوقها، لأنها اقتنعت بعدم قدرتها على التغيير. على العكس من مفهوم البروليتاريا الخارجية لديه، حين تشير إلى أنها فئات الشعب الرافضة لتوجهات السلطة المستبدة، إذ تنعزل خارج الحدود، لتستنير داخلياً وتعود مرة أخرى فتحدث التغيير، وكل ذلك يحصل من خلال فاعلية ونشاط الأقلية المبدعة حسب مفهوم توينبي.

والخارجي ـ كما يسميها ارنولد توينبي ـ هم البناة الحقيقيون، دون ذكر أسمائهم، وهكذا هو شأن التاريخ، يهمل البناة... ولا ينسى أسماء الحكام، انه ينسى الأفراد ويعلي من شأن الحكام، ويسهب في سرد أسماء قادة مشنّي الحروب القتلة، وأصحاب الأموال والعقارات والسّراق ويهمل من يكدح ويسكب العرق والدم، إلا أن هذا لا يعني ألبتة أن مؤرخنا يقدح من حق الأبطال (القادة / القدوة)، إذ لا يمكن أن تثمر جهود البناة إلا بوجود قائد يلهمهم، ويلهموه، فهم النخبة وهم القدوة، ومع ذلك، فهو يخالف في هذا السياق، طروحات (توماس كارليل)[1] في كتابه (الأبطال). وبالتالي فمؤرخنا يرى التاريخ الحي، هو كل ما أثمر من حضارة، وما يحكيه من مراحل ذلك التمدن الذي يزهو بالعمل في حراك دائم إلى الأمام وليس التاريخ الذي يشبّهه (بول موران)[2] بالمجنون الذي يعيد نفسه، فهو لا يعيد نفسه، بل هو في سير دؤوب رغم ما قد يعترض سبيله من عثرات ونكوص واحتضار وموت، إلا أن انتقال مراكز الحضارات إلى مواقع أخرى ينفي حدوث تخلّف حضاري أو انتكاسات في سير التاريخ العام، أو ما يصيبه من صدمات إلا أن الصدمات قد تجعل أبناء مجتمعات ، صقلتهم الأحداث ، يعيدون النظر في حساباتهم، وقد يحولوّن ما حصل لهم إلى بداية جديدة وتاريخ جديد، وهذا التحّول يمنحهم الثقة بالغد ويدفعهم إلى مواصلة السير في تصاعد لا ينتهي إلا إذا واصلوا اجترار ما هم عليه، فالتاريخ

---

١ توماس كارليل (١٧٩٥ ـ ١٨٨١) مفكر اسكوتلندي (بريطاني) له مؤلفات عديدة بينها : الثورة الفرنسية، الماضي والحاضر، وسارتور رزارتور أو فلسفة الملابس، وسيرة كروميل، وتاريخ فريدريك ملك بروسيا ملك بروسيا، فضلاً عن كتابه الأشهر (الأبطال وعبادة الأبطال).

٢ لا تزال يوميات الكاتب الفرنسي الكبير بول موران (١٨٨٩ ـ ١٩٧٦)، تثير جدلاً ساخناً في الأوساط الثقافية الفرنسية. وكان بول موران رحالة كبيرا، إذ زار العديد من البلدان، وكتب عن مدن شهيرة مثل نيويورك والبندقية وطنجة وغيرها. كما أنه تقلد مناصب دبلوماسية رفيعة، إذ انه عمل سفيراً لبلاده في العاصمة الرومانية بوخارست والعاصمة السويسرية. ومنذ اندلاع الحرب العالمية الثانية، عمل مع حكومة فيشي، رافضاً الالتحاق بالمقاومة، ذلك أنه كان يكنّ عداء شديداً للجنرال ديغول. وقد عرّف نفسه ذات مرة قائلا: «أنا رجعيّ متطرف من طراز شارل العاشر، مفصول عن الدهماء الفرنسية بأسلوب حياتي وبأذواقي، نعم أنا رجعي متطرف بدون عقيدة، وعكس الآخرين، تعلمت الكثير». ـ دانييل – هنري باجو، الأدب العام والمقارن، ترجمة د . غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب١٩٩٧ .

يرفض حالة الدوران على الذات، لأنها تسبب لهم دواراً. فالتخلف والتقدم أمران منوطان بـذوات وعقول وبفلسفات أبناء المجتمع، والتقدم أو الترقي لا يتم إلا بالكفـاح الـذي لا يعـرف الركـود، ويرى انه قد يحتاج إلى استراحة فارس، لكنه سرعان ما يواصل المجتمع سيره الحثيث، ومن ذلك فهو لا يجد من رقيٍ سهلٍ أو تقدمٍ في فترة استراحة، فان في كفاحه تظهر قوة شكيمته[1].

وأكثر من ذلك، يرى مؤرخنا أن لا فائدة من إيجاد حلول نظريـة أو عبـارات عاطفيـة بعيـدة عن الواقع للارتقاء بالبناء الحضاري، فالارتقاء يتطلب معرفة واقـع المجتمـع مـن خـلال دراسـة إمكاناته وأوضاعه الاقتصادية، كما أن دراسة التـاريخ تحتـاج لـيس إلى بـذل مجهـودات ووضـع خطط فحسب، بل يحتاج إلى الآثار والوثائق والأصول، فلا تاريخ بدون وثائق - كما يقول لانجلـو وسينوبوس - إلى جانب أهمية إعمال الفكـر ومهـارة الباحـث في اسـتعمال الوثـائق والى حرفيتـه. فالباحث حسبما يراه، هو من ينفخ الروح في الآثار الصامتة المبعثرة، ويجعلها تنطق وتعّـبر عـن زمن انقضى، وعن عصر له موقعه الخاص[2].

وأمـام ذلـك، يـرى أن دراسـة التـاريخ ليـست لهـواً، أو هوايـة ولم تكـن مبنيـة علـى الـسرد للأحداث التاريخية وحشو الأدمغـة بأخبـار الماضـي والماضـيين، ومـن المنطقـي أن تحتـاج دراسـة التاريخ إلى توفر عنصر حب التاريخ وان سرد الروايات هو مادته الأساسية، لكنه لـيس التـاريخ بعينه، ومن ذلك نراه يؤكد على عنصر التحليل والاستنتاج في دراسـة التـاريخ، فهـو لا يـرى في ذكر أحداث التاريخ دعوة للثرثرة أو مظهراً للتبجح وجعلـه دلـيلاً علـى التعـالم مـع الآخـرين أو محاولة لتضخيم الذات والإشادة بالأجداد في محاولة لإشباع غرور أو لإرضاء الـشارع لتطلـق عليـه صفة (المؤرخ القومي / الوطني / المتدين... الخ) أو المحب لشعبه الذي يبتغـي إثارتـه والحـصول على تصفيقه، وتصفيق رجل الشارع، لم يكن لخطورة مـا أنجـزه ، لكـن لنجاحـه في خـدع النـاس

---

[1] الدكتور : مقابلة معه .

[2] المصدر نفسه .

الذين صاروا يثنون عليه بعد إن ضخّم ذوات أجدادهم، وأدى واجبه الذي ألقاه بنفسه على عاتقه[1].

وهنا فالتاريخ يبدأ في منظار مؤرخنا كحاجة حقيقية، إذ أن معرفة ما فعله السابقون حينما جابهتهم مصاعب وإشكاليات وعثرات، كانت حاجة حياتية. في الأقل لكيلا يبدأ التالون حياتهم من الصفر، بل ليبدأو من حيث انتهى عنده السابقون. وليعرفوا كيف استطاع هؤلاء خزن تجاربهم في الذاكرة قبل اكتشاف الكتابة بآلاف السنين، ووجد ومن خلال تلك السنين والآلاف التالية، تكون الجماعات قد مرت بمراحل، تطورت خلالها عقول البشر حتى حين لم يكن يعلم انه يصنع تاريخاً، بل وقبل أن يطلق على التاريخ اسمه وبكل ألسن الأقوام، فصار لكل جماعة وطناً أرضاً، ولم يكن الوطن حبّات تراب، صخور، جبال.. ووديانه وظلاله، أو مياه ينابيع وشلالات..فهو (التاريخ) كما يقول مؤرخنا، انه الفعل الإنساني، وبحكم هذه الصفة الأساسية، صار الفعل أو الصنيع لا يتم إلا على الأرض ... فصارت الأرض وطناً، وكما لكل قوم أو جماعة وطن، فأن لكل قوم زمانه.. تاريخه.. ووجد أن زمان هذه الجماعة هو غير زمان تلك ، إذ يرى أن الزمان مرتبط بشكل وثيق بالفعل، بالأحداث، بالذكريات المشتركة وبقوة الحنين إلى ماضٍ أفل، يحاول استرجاع ما حصل بفعل الذاكرة المتّقدة والرغبة في عدم النسيان. وبمستوى إدراكهم لطبائع الموجودات وحسب المرحلة، بل و لما كانوا يستعملونه من أدوات في عملية الإنتاج لسد حاجاتهم وحاجات الآخرين، فقد أكد أن العقول تكون قد تطورت وتطورت معها الأذرع الصانعة للأدوات. ومن ذلك يحدد مؤرخنا إدراك هذا المرء لذاته الفاعلة بصيرورته على أرضه على مدى الزمن الذي لم يعرف مداه في بداية الأمر، على أن الإنسان إذا خرج من حالة الوعي والإدراك، يكون قد خرج من حالة الفعل، ثم فقد القدرة على الحركة التي هي مظهر الإرادة، تلك الحركة التي حددت إنتاجيتهم وذاكرتهم ووعيهم[2].

---

[1] مذكراته.... ص٣٧.

[2] الدكتور محسن، مقابلة معه، المصدر السابق .

وابعد من كل ذلك، يرجّح مؤرخنا أن يكون هذا الخروج متأثراً نهائياً بموت فعل الجماعة جرّاء خروجها من دائرة الإرادة والتجديد، جراء فتور همتها وخوار طاقتها وانقطاع تجديد قدرتها على الابتكار والعطاء ويرجّح أيضا أن يكون الخروج مؤقتاً، ثم لا تلبث الجماعة أن تعود ربما بصورة أفضل مما كانت فيما إذا وعت وأدركت ذاتها وانتبهت إلى صيرورتها عبر الزمن الجديد والفعل الجديد، مستفيدة مما حصل لها من نكوص في تجربتها السابقة، بل أنها قد تضيف خبرة جديدة نتيجة تراكم معرفتها عبر المخيلة الجمعية التي لما تزل تتذكر وتبدع سواء عبر المخيّلة الشفاهية التي تحوّل بعض ما حصل إلى أساطير أو غير ما تركتها على الصخور ورسمتها على وجه البسيطة وما صنعتها أيديه من أدوات احتاجها، بينها أدوات الدفاع وأدوات الطبخ والملبوسات وأدوات الزينة، وما بنته من مرافق حياتية للاحتماء والاجتماع وللعبادة، كما تجلى فيها ما تركته من رموز وكتابات، فيها خرافاتها ومعتقداتها الساذجة وملاحمها وأناشيدها ومن ثم تاريخها. وأبعد من ذلك، يتجلى لنا بوضوح التزام مؤرخنا بأهمية التدوين حتى للخرافات والأساطير في تواريخ الشعوب، حين وجد أنها تمثل المراحل الأولى لتشكيل رؤية الإنسان إلى نفسه والى ما حوله، في محاولة لفهم وتفسير ظواهر ومشاهد الطبيعة المدهشة التي أثارت تساؤلاته، لأنه لم يدرك كنهها إلا بقولبتها، حسب تصوراته وما سمحت له عقليته، كخطوة أولى، ثم ما تلتها من خطوات. فطفق يعلل مشاهداته مع ما ينسجم من مداركه، صانعاً تفسيراته التي يرتاح لها، فعزا ما يراه إلى قوى خفية تلك التي تحركها، وتتحكم فيها فيما وراء الطبيعة، دون أن نراها[1].

والى ذلك يرى الدكتور، أن هذا التفكير ساق الإنسان إلى تصورات حلّ بها معضلته، فابتدع خياله قوىً غير مرئية، رهبها، وحسب لها حسابها وحاول تفادي شرها لكي يحصل على الأمان ويخطب ودها، فتقرب منها بطقوس عبادية معينة بتقديم النذور في مراسيم خاصة في محاولة للحصول على رضاها. وقد ترتب على ظهور هذا النوع من التفكير ـ حسبما يراه مؤرخنا ـ أن نشأت أفانينه من شعر ونثر كمرحلة متقدمة من التاريخ لديهم، تتسم بالذوق الرفيع، فيها

---

[1] المصدر نفسه

من عناصر الجمال ما فيها، كما في (ألأليـاذة)[1] و(الاوديـسا)[2] الإغـريقيتين وفي الملحمـة الهنديـة السنسكريتية (المهابهارتا)[3] التي يزيـد عـدد أبياتهـا الـشعرية علـى مـائتي ألـف، وكـذلك في (

[1] ملحمة شعرية تحكي قصة حرب طروادة وتعتبر مع الأوديسا أهم ملحمـة شـعرية إغريقيـة للـشاعر الأعمـى هوميروس الذي كتب الملحمة في القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد. وهـي عبـارة عـن نـص شـعري. وقـد جمعـت أشعارها عام ٧٠٠ ق.م. بعدة مائة عام من وفاته. وتروي قصة حصار مدينة طروادة عام ١٢٠٠ ق.م. وتدور أحداث الإلياذة حول الآلهة البشر. وصـورها في شـكل سـاخر وبـين فيهـا أن البـشر يتـأثرون بالـصلاة. ولهـم إرادة حـرة يصنعون من خلالها قراراتهم ويتحملون أخطاءهم. والملحمتان يكملان بعضهما. ينظر للمزيد طه بـاقر : (ملحمـة جلجامش) ط٤، بغداد، ١٩٨٠.

[2] ملحمة شعرية وضعها هوميروس في القرن ٨ قبل الميلاد. و تتكـون مـن ٢٤ جـزءا. تبـدأ الملحمـة مـن منتـصف القصة، ثم تروي ما حدث بالبداية وتنتهي بوصول البطل إلى الجزيـرة. وتبـدأ هـذه الملحمـة بعـد نهايـة ملحمـة الإلياذة. وتروي قصة عودة أحد أبطال الإلياذة وهو (أوليس) ملك إيثاكا الذي عرف عنه أنه صاحب فكـرة حـصان وحصار طروادة. كما تروي الملحمة قصة (بينلوب) زوجة أوليس. تبدأ الملحمة بنهاية حصار طروادة وبـدء عـودة المحاربين إلى بيوتهم، لكن بسبب غضب إله البحر (بوصيدون) على أوليس، تمتلئ رحلته بالمشاكل التي يـضعها في طريقه بوصيدون أو بسبب تهور بحارته. يبقى في رحلته مدة عشر سنوات يواجه خلالها الكثير من المخـاطر، وطوال هذه الفترة تبقى زوجته بينلـوب بانتظـاره، ممتنعـة عـن الـزواج، رغـم العـروض الـسخية الكـثيرة الـتي تتلقاها، خاصة بعد وصول أغلب المحاربين في حرب طروادة ما عدا زوجها. تنتهي الملحمة بوصول (أوليس) إلى إيثاكا وقيامه بالانتقام من الذين اضطهدوا زوجته بتلك الفترة، انظر : عبد المعطى شعراوى، هـوميروس– شـاعر الإلياذة والأوديسا، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥.

[3] في قصيدة المهابهارتا التي يربو عدد أبياتها عن مائتي ألف وسبعة آلاف بيت شـعري كتبـت بالسنـسكريتية، وتعد من أطول الأعمال في تـاريخ الأدب الإنـساني تتغنـى بأمجـاد وانتـصارات الملـك بهـارات ، عرفهـا الإغريـق والرومان في عهد الاسكندر المقدوني وعرفها العرب عن طريق بعض حكاياتها في كتاب (كليلة ودمنة) لابن المقفع. ولا يعلم على وجه التحديد التاريخ الذي وضعت فيه ولكن الإشارات ترجح أنها تعود إلى (٥٠٠ ق.م)، ويقال إن إضافات ألحقت بالنص الأصلي الذي كتبه الحكيم (فيدا فياسا) وتقسم إلى ثمانية عشر جزءا تسرد هـذه الأجـزاء تفاصيل الصراع والحرب بين المحاربين يوما فيوما. والمهابهارتا هي رواية الصراع الأزلي بين قوى الخير والشر وتدون أحداث حرب جرت بين عائلتي (الباندافا والكورافا) وهم أبناء عمومة حول من سيحكم وتنتهي بمعركة طاحنة يتهدد فيها مصير العالم وقد صيغت بلغة شعرية عميقة تبرز من الأعماق في حالتهـا الأولى، وهـي تمـضي إلى موضوعاتها مباشرة دون وسيط أو تكلف أو تصنع موضوعات الكون والإنسان والحياة والموت والمجتمع. ويعـود

الشاهنامة)[1] الفارسية للفردوسي فيما بعد. وعلى الرغم من هذه التصورات التي ابتدعها خيال البشر لتعليل الظواهر والأحداث إبان تلك المراحل، فأن مؤرخنا يرى أنها أقرب الى هراءٍ، مع أنها أثبتت أن الإنسان كان لديه شعور بوجود مبدأ العلّية، فحاول تفسير الظواهر حسب ما سمحت له مداركه (الساذجة يومئذ). ويرى ان تفكير الإنسان لم ينقطع عند هذا الحد من التفكير إذ تطورت قدرته على التفكير بتطور عقله عبر الوسائل التي استعملها في إدارة أعماله في الإنتاج وزيادته، فأدرك عجز أو خطأ التفسير السابق. ثم لم يعد يعوّل عليه لأنه كان من صنع خياله، رغم انه لم يدرك هذه الحقيقة إلا بعد أن توصل إلى نتائج دحضت تلك التفسيرات القاصرة وهذا حسبما يراه مؤرخنا قد دفعه إلى أن يتأمل ويدرس ويحاول استيعاب ما يحيط به وما يحصل فيه وفي مجتمعه، فنشأت من جراء ذلك العلوم لا سيما في القرن السابع عشر منذ أن ظهر الفيلسوف الانكليزي (فرانسيس بيكون)[2]، وكتابه (القانون الجديد) وكذلك الفيلسوف

الفضل إلى الكاتب السوري عبد الإله الملاح الذي قدمها وترجمها للعربية في كتابه ملحمة الهند الكبرى (المهابهارتا) المطبوع في دار ورد للطباعة سنة . ٢٠٠٠

[1] شاهنامه (كتاب الملوك أو ملحمة الملوك) أطلق ابن الأثير عليه "قرآن فارسي"، كتب من قبل الفردوسي (أبو القاسم منصور) في فترة الـ (١٠٠٠م)، وهو يعد الملحمة الوطنية لإيران (بلاد فارس) وإحدى كلاسيكيات الأدب العالمي. محتوى الكتاب وأسلوب الشاعر في وصف الأحداث، يعيدان القارئ ألف سنة كما يسمحان له باستشعار الأحداث في المسرح السحري للعقل. وهو مبني بشكل رئيسي على نسخة نثرية سابقة، كانت تجمع القصص الإيرانية القديمة والحقائق والخرافات التاريخية. لأكثر من ألف عام. وقد واصل الفرس القراءة والاستماع لهذا العمل النادر بشكلها النهائي، فالكتاب هو تاريخ لماضي إيران، مسجل على شكل شعر. ومع أن النص كتب منذ فترة بعيدة، إلا أن عمل الفردوسي واضح وسهل للقارئ. وقد حاول استعمال اللغة الفارسية فقط في كتابته، ولكنه لم يستطع تجنب الكلمات العربية التي جاءت بنسبة كبيرة يقدرها البعض بـ ٣٪ من كلمات الملحمة، ينظر: الفردوسي، الشاهنامة، ترجمة سمير مالطي، دار العلم للملايين، بيروت، دت.

[2] يعد فرانسيس بيكون **Francis Bacon** (١٥٦١ – ١٦٢٦) فيلسوف ورجل دولة وكاتب إنجليزي، معروف بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على " الملاحظة والتجريب ".

الفرنسي (رينيه ديكارت)[1]، بكتابه المعنون بـ (مقال في المنهج) وغيرهما. كما تضافرت جهود عديدة لتحديد الطريق المفضي إلى كشوفات عقلية لا حدود لها، إذ بدأت مناهج التجريب والاستقراء بدل الخيال وبدل المنهج الاستدلالي أو الاستنباطي الذي يربط فيه العقل بين المقدمات والنتائج على أسس من التأمل الذهني المحض الذي قد لا يتطابق مع التجارب العلمية[2].

ثانياً ـ الفن بوصفه علماً مساعداً في دراسة التاريخ :

لقد أفاض مؤرخنا كثيراً في ذكر مواصفات الباحث الجيد، وهو ما تلمسناه في كتابه " منهج البحث التاريخي " الذي ألفه في عهد النظام السابق ، ولم يكن يمتلك حريته في طرح مادته، ففيه سرد لمواصفات الباحث والمؤرخ، يذكر أنها نظرية فقط ولكن لو تم توظيفها على الواقع، فهذا يعني بروز مؤرخ أو باحث نموذجي نادر[3]، مؤكداً على أن أهم الصفات في نجاح الباحث في عمله البحثي هو اعتماده العلوم المساعدة أداة هامة في بيان الحقائق التاريخية التي يسعى لتقديمها إلى القارئ، سهلة ميسرة.

ويبدو أنه يهتم كثيراً بالعلوم المساعدة في كتابة التاريخ، استناداً لإدراكه لأهميتها في رسم مسار حركة التاريخ بدقة وأمانة، وهو على الارجح ما ألهمه موهبة قول الشعر بوصفه أحد العلوم المساعدة، والقدرة على التعبير بالرسم والاستماع للموسيقى، حين أدرك أن الإنسان، لا يستطيع الاستغناء عن الفنون بأي شكل من الأشكال، فالفنون تسري في العروق ـ كما يرى ـ وهي بالتالي زاد الإنسان ـ المثقف وغير المثقف ـ الروحي. ومن ذلك أدرك أن حب الفنون يعد أمراً

---

[1] رينيه ديكارت (Descartes Renee) والمعروف أيضًا باسم Renatus Cartesius المولود في (٢١ مارس ١٥٩٦)، والمتوفى في (١١ فبراير ١٦٥٠)، فيلسوف فرنسي وعالم رياضيات وعالم وكاتب عاش معظم شبابه في الجمهورية الهولندية. أُطلق عليه لقب "مؤسس الفلسفة الحديثة". وقد تأثرت معظم الفلسفة الغربية التالية للعصر الذي عاش فيه بكتاباته التي استمر الكثيرون في دراستها بعناية حتى يومنا هذا. وبالتحديد، احتفظ كتابه المعروف باسم(تأملات) في الفلسفة الأولى بمكانته كمرجع له قيمته في معظم أقسام الفلسفة في الجامعات.

[2] من أوراق مذكراته الخاصة.... ص٤٠.

[3] محسن محمد حسين وعبد الرحمن العزاوي، منهج البحث التاريخي، بغداد، ١٩٩٢.

طبيعياً، بل وجدناه يعشق الفنون لدرجة انه لا يمكنه الاستغناء عنها، لا سيما حين يوظفها في دراسته وكتابته للتاريخ وفي موضوعات الفكر. فهو يرى أن الفنون تتضمن ذاتية وحرية أكبر، كما أنها بحد ذاته بمثابة إبداع، فالفنان حين يستعصي عليه التعبير عن شيء يعتلج في صدره، فمن الممكن أن يعبر عنه باللجوء إلى استخدام الرموز والأساطير، وهذا ما لجأ إليه مؤرخنا في ذات مرة مع لوحة رسمها سنة (١٩٦٦) أراد فيها أن يصرخ محتجاً بشدة ليعبر عما كان يعتلج في صدره، ولما كان الظرف لا يسمح بذلك، فقد اعتمد رموز الصراخ وفقدان الأسنان وأحدى العينين مع نقص في عدد أصابع اليد اليمنى وزيادته في الرجل اليسرى، كما عمد إلى الأسلوب الرمزي ـ كتعبير عن الجدب ـ بالشيب المبكر، ونفاذ حليب الأم وصار صدر عجفاء ونفوق كائن أليف شبيه بطير اليمامة والغزال[1] .... الخ.

ثالثاً ـ الفرد المبدع وأهميته في كتاباته :

وكأنه يتوسم في القائد أو الرجل العظيم، ضرورة حتمية من ضرورات حركة التاريخ حين يؤكد الدكتور على أن" قانون حركة المجتمع هي التي تصنع رجالها، وليس العكس "، ولكن هؤلاء الرجال بدورهم يؤثرون في الحدث وعلى عصرهم حتى يبدو الأمر وكأنهم هم الذين يسيرون التاريخ والأرضية التي نعنيها، وهذا ما أكده في أكثر من مجال ضمن أعماله الكتابية"[2].

ومن ذلك نتحسس له ميلاً نحو العلاقة التكاملية في صنع الحدث التاريخي، تلك العلاقة المتبادلة ما بين الفرد المبدع وبين الجماهير التي تمثل في رأيه البيئة المناسبة التي لا يمكن لهذا الفرد المبدع الاستغناء عنها حين يبتغي الارتقاء بأفعاله إلى مصاف العظماء في التاريخ، وهذا

---

[1] ومع ذلك فقد تبين لنا أن أكثر ما رسمه مؤرخنا، كان لوجوه أحبها من أفراد أسرته وأصدقائه إلى جانب رسمه لبعض الفنانين، ومع أن نجاحه في هذا المجال كان محدوداً في رسم نجيب محفوظ وكذلك في رسم وجه والده، فقد ضاعت أكثر لوحاته في ثنايا الكتب التي سرقت منه في طريق الموصل وغيرها أثناء هجره ألقسري لبيته في بغداد سنة ١٩٩٤.

[2] للمزيد أنظر ما كتبه في كراسه : نناشد صلاح الدين، طبعة دار آراس، اربيل، ٢٠٠٢، ص:١٨.

الأمر يجده منطبقاً تماماً على الجماهير التي لا تشرع في رسم طريقها للوصول إلى حالة الارتقاء، إلا باحتضانٍ من عقلٍ مبدعٍ يتمثل بالأفراد المبدعين في البلاد.

رابعاً ـ خاصية النقد العلمي في كتاباته :

وفي هذا السياق، امتاز مؤرخنا بخاصية النقد العلمي البناء، إدراكا منه بأن تلك الخاصية من شأنها أن ترتقي بالنص التاريخي وتخلصه من شوائب لربما علقت به من جراء انحيازات او استثناءات لجأ إليها المدونون للأحداث التاريخية عن قصد أو من دون قصد، كما في إشاراته إلى ما وقع فيه ابن خلكان من لبس في تحديد مكان ولادة أجداد صلاح الدين الأيوبي[1] حين قال :" وحتى ابن خلكان الاربلي الذي خرج من اربيل في سن يافعة لم يستطع أن يحسم الجدل الدائر حول هذه الإشكالية، في حين يعد ياقوت الحموي وهو من أشهر جغرافيي ذلك العصر (ت٦٢٦هـ/١٢٣٩) جعل مسقط رأس الأيوبيين بعيداً عن أرض كردستان المعروفة حالياً حين أشار إلى منطقة "دوين " وهي من نواحي أران في أخر حدود أذربيجان بالقرب من تفليس دون أن يكون قد زار المنطقة. ويبدو ـ كما يقول ـ أن أذربيجان كانت تشمل في وقت ما، مناطق واسعة تمتد إلى الأجزاء الشمالية الشرقية من العراق الحالي، أو أن بلاد الكرد كانت تضم مناطق واسعة تمتد لتشمل أراضٍ واسعة، ولن تتحدث المعلومات عن المخاريق والخرافات التي ذكرها الجغرافيون في كتبهم، مشيراً إلى ما ذكره المسعودي عن أصل الكرد حين عدهم من الجن أو العرب[2].

وحين نشر الباحث حسن الأمين مقاله الموسوم (صلاح الدين الأيوبي، نظرة مختلفة) والذي نشرته مجلة العربي في الكويت (١٩٩٥) وفيه تهجم صارخ لمسار التاريخ الذي لا يرى فيه من الحقيقة من شيء، يضع مؤرخنا علامة تعجب من هذا الطرح والذي وقف بالضد مما كتب عن

---

[1] لم يحسم الدكتور محسن ما حصل من إشكالية تحديد ولادة صلاح الدين بعد، لأنها ـ كما يرى ـ تحتاج إلى كثير من البحث والتقصي.

[2] المصدر نفسه : ص٢٢

صلاح الدين، حين راح يثني على ما قدمه الخليفة العباسي من دعم عسكري كبير لصلاح الدين في حربه ضد الصليبين، مؤكداً أن هذه الرواية لا أصل لها بشكل مطلق.

وفي معرض تصديه لدور فلسطين في التصدي للغزو الإفرنجي الصليبي، وجد مؤرخنا أن الحروب الصليبية عولجت من قبل مؤرخين معاصرين، منهم من يحمل وجهة نظر إسلامية وغيره ممن يحمل وجهة قومية عربية أو وجهة نظر فرنجية مؤكداً على ضرورة إدراك أن المصادر الأصيلة لا تتفق فيما بينها، ولذلك فهي تحتاج عند تقويمها إلى تقدير مبني على النقد والتحري والموضوعية[1].

وفي مناسبة حديثه عن حجم الجيش الفاطمي وما تحدثت عنه روايات المؤرخين من حديث متناقض، ذكر قائلاً : "ومهما يكن من أمر، فأن هذه التناقضات في روايات المؤرخين بل وفي روايات مؤرخ واحد هو المقريزي، تجعلنا نتردد في أخذها على أنها حقائق ثابتة لا تدحض، أو لا تقبل الجدل، ولا سيما وفي روايات تخص فترة واحدة هي الأيام الأخيرة للدولة الفاطمية. ولعلها ـ من جانب آخر ـ تعكس الوضع المضطرب الذي عاشت فيه مصر حينئذ، ويرجح أن يكون سبب هذا الاضطراب في ذكر الأرقام راجع إلى اختلاف حجم الجيش حين يكون في حالة السلم، بينما يتسع حجمه في حالة الاستعداد لخوض المعارك[2].

وفي تطرقه لحروب صلاح الدين قال : إذا قارنا جيش أتابك الموصل بجيش صلاح الدين يكون بالإمكان تقدير حجم جيش بقية إمارات بقية المنطقة على ضوء معرفة حجم جيش الموصل التي كانت أقوى الإمارات في ذلك العهد"[3]. ووجدناه يعول كثيراً على المصادر النادرة والمتعلقة بموضوعة البحث الذي يتصدى للكتابة عنه، وفي حال عدم عثوره على مثل تلك المصادر فأنه

---

[1] نشر الدكتور بحثاً تحت عنوان " بسالة الفرنجة، وأساليب قتالهم وفشل مشروع غزو الحرمين " في العدد الخامس عشر من مجلة الأكاديمي في اربيل.

[2] محسن : دور الكرد في جيش صلاح الدين، مقال في مجلة المجمع العلمي العراقي / الهيئة الكردية، المجلد الثالث عشر، ١٩٨٥، ص٥٦.

[3] المصدر نفسه : ص٧١

يفضل التريث والتوقف حتى تتيسر له مثل تلك المصادر، كما هو الحال في قصة وقوفه على مصادر نادرة تتعلق بكتابه " الاستشراق.... رؤية شرقية " مثل كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متز أو ما يعرف بعصر النهضة في الإسلام، وكتاب " تاريخ الحضارات العام" لادوارد بروي وكتاب أدورد جيبون المعنون بـ " اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها"، المطبوع في القاهرة سنة (١٩٩٧) والعشرات، بل والمئات من المصادر التي على تلك الشاكلة .

ما قاله بعض معاصريه فيه:

ـ إسماعيل ملا محمد خوشناو

شخص يبدو انه من المهتمين كثيراً بمؤرخنا وممن هام به عشقاً بأخلاقه وسيرته مع أقرانه، انه السيد إسماعيل ملا محمد خوشناو[1]. وقبل حديثه عن صاحبه، عمد هذا الرجل إلى وصف ما كان هو نفسه يشعر به حيال أهله وذويه وما كان يشعر به من محاصرة المجهول لبيئته الجميلة، حين أسهب في الكشف عن هذا الشعور عندما أيقن أن الأقدار شاءت، وهو الطفل اليافع إذ لم يتجاوز عمره اثنتي عشر سنة في السادس الابتدائي، أن ينتقل إلى المدينة بروح منقبضة ونفس منكمشة تلفها الحيطة والحذر والخوف والحزن من الافتراق عن الطبيعة الجميلة، لجبل سفين وبساتين شقلاوة، والحرمان من طيبة أهلها وبساطة كادحيها. لقد كان الحزن وألم الفراق أكبر من أن يتحمله قلبه الصغير، فبقي شارد الذهن في المدرسة غير منتبه لأقرانه في الصف أو لمادة الدرس وما يقوله المعلم. كان همه ان تنتهي الحصص ويسمع رنين الجرس ليهرع مهرولاً إلى أحضان أمه كي يبلل صدرها بدموعه الحارة المنهمرة من عينيه مدرارا. وأثناء الفرص كان قد اعتاد الركون إلى جمرات الفحم في الصف ليدفأ أنامله المرتجفة، والى جانبه صديق له من بلدته الجميلة.... يستعيدا مرح طفولتهما في أزقة شقلاوة واللعب على أسطحها.... فلا شيء كان يجذبه إلى أقرانه الآخرين... إنهم في نظره شياطين صغار، يختلفون عنه في لعبهم وتندرهم واهتماماتهم ... إنهم ماكرون .. فقط كان هناك واحداً منهم، مختلف عنهم ، قلما يفارق مقعده الدراسي، ينكب على كتبه لا يعير اهتماماً للآخرين من حوله، ينفرد بصديق أو أثنين يتهامس معهم بصوت خفيف وبإحساس عميق، ينبوع من المودة والوداعة. ويقر محدثنا السيد " إسماعيل الملا " أن صاحبه هذا له وجه شاحب بعض الشيء ونظر ثابت وعينان بريئتان تقرأ فيهما الصدق والإخلاص ... انه محسن محمد حسين ـ الدكتور ـ...

---

[1] مشرف اختصاص متقاعد

ويمضي في وصفه.. مؤكداً أن وداعة واستقامة هذا المؤرخ القدير، عجلت في جذب السيد إسماعيل ملا محمد خوشناو إليه، فتوطدت بينهما أواصر المحبة والصداقة على مقاعد الدراسة بما فيها المتوسطة والثانوية وبعدها في أروقة كلية التربية ببغداد، إذ اكتشف فيه الجرأة والشجاعة والالتصاق العميق بقضية شعبه، ولامتلاكه فكراً تنويرياً وعقلاً شديد ألتوق إلى المعرفة والغوص عميقاً في الأحداث. ولم يغفل خوشناو التنويه بما لمؤرخنا من شكل أنيق، إذ انه كثير الاهتمام بهندامه وكتبه ومستلزمات دراسته، مولع بجمالية ممتلكاته. فالكتب في خزانته مغلفة بعيون وشفاه الحسناوات ومرتبة تركيباً دقيقاً يسّر الناظر وهلة فتح خزانته. انه مثابر وصبور، مبرمج الأفعال رقيق المشاعر، دقيق المواعيد وفّي لصداقاته، مستقيم العلاقات ذو أدب رفيع في تصرفاته وعلاقاته منذ نعومة أظفاره، شديد الحساسية تجاه إساءات الآخرين، لكنه سريع الصفح سموحاً.

لقد بقيا لصيقين لبعضيهما ومتابعين لما يستجد لهم من أحداث وما يؤول إليه مسار الحياة، حتى التقيا مرة أخرى في مهنة واحدة هي التدريس في مدرسة واحدة. ولقد وجد الدكتور أكثر رسوخاً في قِيمه وأكثر شغفاً بالمعرفة واختصاصه، مؤكداً على أنه صاحب شخصية مارس مهنة التدريس بكل نجاح، فراح يشار إليه بالبنان، يحظى باحترام وتقدير كافة زملائه، ولعه بالعلم والدراسة قادته إلى الاستزادة منه فكان دونه الصعاب وأكمل دراسة الدكتوراه في التاريخ، وهو الآن عالم في اختصاصه وأستاذا مرموقاً، تفتخر به مدينته ويعتز به أصدقائه، وتتزين المكتبات بمؤلفاته وأبحاثه التاريخية، ينهل طلابه من خزين معارفه وهو لا يزال، كطفولته بريئاً ، صديقاً مخلصاً في عمله، أنيقاً في روحه كما في مظهره . أنه أبن أربيل ـ مؤرخ أبن مؤرخ ـ وأمام ذلك فلا بد من الاعتزاز به كثيراً، مع التمني له بالعمر المديد والعطاء الثر...... لينهي كلماته بحق صديق العمر بقوله : دمت أخاً كريماً وصديقاً عزيزاً.

ـ مدحي مندلاوي[1] :

قبل أن يغادر الدكتور محسن كلية التربية / ابن رشد لإكمال دراسته والحصول على الدكتوراه في كلية الآداب / جامعة بغداد عام (١٩٧٧/١٩٧٨) كان يحاضر في مجموعة من الطلبة

---

١ يذكر المندلاوي أن عائلته كانت قد هجرت مندلي حين كان هو في الصف الرابع الابتدائي، واستقروا في منطقة شارع الكفاح " الملك غازي " إذ الفقراء من الكورد الفيلية، وجدوه مستقراً لهم. وسرعان ما أتقن اللهجة البغدادية في حين كان يتحدث في داخل بيته باللهجة الكلهوية. ولم تزل والدته تتحدث بها مع أنهم يعيشون في بغداد منذ أكثر من خمس وأربعين، ولم يكن يعرف شيئاً عن اللهجة السورانية،إلا أن إعلان اتفاقية آذار عام (١٩٧٠) كان بمثابة ثورة كبيرة غيرت مجرى حياتهم إلى حد بعيد، إذ انخرط إخوته الكبار في صفوف الحزب الديمقراطي الكردستاني، الى جانب اعتياده وبوساطة شقيقه الفنان (علي مندلاوي) على لقاء فنانين آخرين كرد من معهد الفنون الجميلة. وحينها كان المندلاوي يشعر بالاعتزاز والفخر من الطلبة الذين يتحدثون بلغة قومه ويعتزون بكرديتهم ويناقشون حول حقوق الكرد، كما يتحدثون عن البارزاني وكردستان. واعتاد الخروج مع تلك الجماعة في أكثر من سفرة سياحية، وذلك ما رسم أمامه ما عرف بـ (كوردايه تى) ثم انتمى إلى اتحاد طلبة كردستان. وفي عام (١٩٧٤) اندلع القتال مجدداً والتحق اثنان من أخوته بصفوف الثورة، وصار ومنذ تلك اللحظة يعمل في بغداد بشكل سري ضمن صفوف المقاومة الكردية المسلحة وكان وقتذاك طالباً في المرحلة الثانوية، وكان يشعر بالزهو لذلك، وراح يتواصل في عمله هذا ولم يثنيه عنه إلقاء القبض على خلية من الشبان الكرد وإعدامهم، وكانت المناضلة (ليلى قاسم) أول فتاة ترتقي حبل المشنقة بشموخ. وحين تم توقيع اتفاقية الجزائر(١٩٧٥) بين النظامين المقبورين لتشكل ضربة موجعة لأماني الكرد، بل وجعلتهم يشعرون بالانكسار، وهم يشاهدون ألاف الأسر تجتث من أراضيهم ويتم ترحيلهم إلى مدن الوسط والجنوب. ليتبدى للمراقب أن الحكم الذاتي الصوري (الكارتوني) أصبح أمراً واقعا. وفي تلك الأيام يكون الأستاذ " مدحي " قد أكمل الدراسة الثانوية وتم قبوله في كلية التربية / ابن رشد في جامعة بغداد ـ قسم اللغة الكردية. وعن وجوده في تلك الكلية قال " السيد محي المندلاوي " : إن الطلبة الكورد في بغداد كانوا يحسون بالوجل والتوجس، فهم يقيمون ويتجولون معاً، وكان في قسم اللغة الكردية وقتذاك مجموعة من الأساتذة الكبار الذين لهم صيتهم العلمي وفي الوسط الجامعي، ومنهم الدكاترة (عز الدين مصطفى) و(معروف خزندار) و(نسرين فخري) و(وريا عمر أمين). ومن الراحلين الدكتور (أحسان فؤاد) و(كالوس قفطان). وكان الأستاذ (محسن محمد حسين) يدرس مادة التاريخ الكردي. ويؤكد الأستاذ " مدحي " انه كان شخصياً يحتاج إلى مثل تلك المادة، مرجحاً إمكانية اكتشاف علل ما أصاب الكرد من ضعف وتمزق. تلك المعلومات أوردها في أوراق قدمها لنا مطبوعة طباعة ليزرية، اربيل، ٢٠٠٩.

الكورد في قسم اللغة الكردية بينهم شاب أسمه "مدحي المندلاوي" قدم بمعية أسرته من بلدة (مندلي) واستقر في بغداد منذ سنة ١٩٦٤، وأكمل فيها مرحلة الابتدائية ثم الثانوية بعدها التحق بكلية التربية. وفي وقتنا الحالي يشغل موقع وكيل وزير الثقافة في إقليم كردستان. وحين علمنا ذلك، قررنا مقابلته، فكان لقاءاً مثمراً، فما قاله الأستاذ "مدحي المندلاوي" في حب مؤرخنا والتعلق به، إنما هو استرجاع لذكرياتهم معه، وتعبير عن التصاق روحي به فالكلمات الخارجات معبرات عن معانيها مختزلة عشق سنين طوال في وريقات قصار، وفي ذلك قال المندلاوي :

يلتقي المرء وفي مختلف مراحل العمر مع أناس كثيرين في بيئته الاجتماعية، البيت، العمل، الشارع أو خلال مراحل الدراسة. بعضهم يُمحون من الذاكرة مع مرور الأيام او ربما في اليوم نفسه وآخرون تبقى ذكراهم ما دام العمر، لأن تأثيرهم ربما يكون جوهرياً في مسيرة المرء الحياتية. ويؤكد على التصاقه بالدكتور من خلال تأكيده على عدم نسيانه لأسماء وحتى وجوه الكثير من الذين التقاهم في مختلف مراحل العمر، فهو لم ينس ذلك الإنسان العالم النبيل المتواضع بل ويذهب أكثر من ذلك، حين يصفه بالشجاع لأنه أثر وبشكل كبير على مستوى تفكير الكثيرين من الطلاب الذين تتلمذوا عليه، وكان " مندلاوي " واحدا منهم، ويصفه أيضا بالأستاذ، لأنه حين درس عليه كان في الجامعة وقد حصل على الماجستير وراح يحّضر للدكتوراه ، مقرراً بقاءه أستاذاً له وهو تلميذه بقوله : ((وسيبقى أستاذا في نظري، كما أنا الطالب في نظره مهما أكون)) .

ويصف الجانب الإنساني عند الدكتور، مؤكداً أن تلك الصفة كانت المحور الذي استقطب الكثير من حوله بقوله :" لقد كنت وبمعيتي الكثير من الطلبة من كلا الجنسين نبوح للدكتور بأدق الجزئيات المتعلقة بحياتنا، وأكثر من ذلك لم نحذر من أي طرح للموضوعات التي نطرحها وتكون مثار نقاش وجدل في داخل قاعة الدرس"[1] . ويخلص إلى القول معترفاً بما وضعه مؤرخنا من دين بعنقه حين ذكر : وللحقيقة أقول أن الدكتور كان لي بمثابة قدوة دفعني للالتحاق

---

[1] مدحي مندلاوي، مقابلة معه، اربيل، ٢٠٠٨.

بالجبل لمقارعة النظام الشوفيني. وكم كنت أتلذذ وأنا في تلك الجبال التي امتنعت أن تتذلل لصدام، أفكر في تلك الكلمات التي كان قد اعتاد الدكتور قولها لنا بضرورة أن نقتدي بالوطنيين من الكرد لا بالخونة منهم. ولطالما كنت انظر في وجوه (البيشمه ركه) الذين معي، وهم يتقدمون إلى الأمام بكل شجاعة وعناد للدفاع عن قراهم[1].

ويستطرد الأستاذ " مدحي " بالقول عن أستاذه قائلاً : انه وفي ذات مرة وتحديداً في سنة ١٩٩٤، وبينما كان جالساً في مكتب الصحيفة التي كانت تنشر له، وقعت عيناه على رجلٍ أشيب يجلس مع رئيس التحرير وحين دقق النظر في ملامحه وجده أستاذه القدوة " الدكتور محسن " ومن حيث لا يدري شعر بحاجة إلى البكاء في حضرته، ولم يعلم حينها أكانت دموع الفرح، أم دموع لغير الفرح !!. وراح حينها " يدردش " ـ حسبما أعلمنا ـ مؤكداً أن أستاذه لم يفقد أصالته المعهودة ولم يفقد كبرياءه الذي جُبل عليه ولم يفقد الالق الذي عرف به، على الرغم مما عاناه في السنوات الأخيرة من وجوده في بغداد، إذ فقد بعض أحبته.. وكذلك أثاث منزله... فعلاً لقد هدته تلك الأيام وتسلل الشيب إلى مفارقه. ويضيف " مندلاوي " وبعد أن شعرنا بهدوء الوضع في مرابع كردستان، سرعان ما حدث ما فتّ في عضد الجميع حين وقعت معارك (قتل الإخوة / برا كوزى) وقد قُتل من قتل أو قُل استشهد فيها الكثير من الشباب ممن لم تتمكن السلطة البعثية من النيل منهم، فكان ذلك سبباً لحزن الكرد حين وجدوا أنهم يواجهون بعضهم في حرب عبثية. وكان الدكتور يعتصر ألماً ويتساءل : أمن أجل هذا الوضع ناضلنا، وترك قلمه ليكتب في صحيفة (راية الحرية) لسان حال حزب كادحي " أشهد أني خذُلت " ليدين قتال الأخوة ويدين المسؤولين عنها. كما كتب في صحف أخرى، وذّيل أحدى كتاباته بقراره الرحيل، فغادر تراب كردستان، التراب الذي قبّل "طينه".

ويذكر مندلاوي ان حزنه عاد إليه مرة أخرى حين علم بأن أستاذه قد ترك مدينته وسافر إلى ليبيا، ويضيف انه سمع قصة سفره منه شخصياً، تلك القصة المؤلمة حقاً والتي دوّنها في ألف

---

[1] المصدر نفسه.

صفحة وصفحة، إذ أعادته الغربة الجديدة إلى كتابة الشعر والى رسم معاناته من خلال خطوطها[1].

ويسترسل "مدحي مندلاوي " في الإستغراق بمذكراته حين يرى وفي كل لحظة كلمات أستاذه المؤثرة وتوجيهاته في استرخاص الغالي من أجل الوطن بقوله : " أتذكر الأستاذ محسن..... أيه يا أستاذ كم من هؤلاء الأبطال من صُنعك أنت، تُرى هل أنت راضٍ عنا يا أستاذ، ماذا فعل بك الدهر، هل أنصفوك من تصدى للمسؤولية يا جندينا المجهول الممتلئ بالحماسة والكبرياء "[2].... منتهياً إلى القول : لقد كانت جل صفاته،خصائص رجال البيشمه ركه، رجولته، عشقه لبني أمته ولكل الناس. وأخيراً أقول لأستاذي البروفيسور (محسن محمد حسين) ستبقى علماً شامخاً أبقاً ونظيفاً كانداف الثلج في ذرانا، وسيبقى هناك من يتذكرك ويعرف أن رجالاً بمستواك قد أوصلوا شعبنا إلى ما وصل إليه. أنت أيها الهوليري العتيد قد علمّت الكثيرين منا عشق هذه الأرض"[3].

---

[1] مدحي المندلاوي : مقابلة معه، أربيل ٢٠٠٩ .

[2] المصدر نفسه

[3] مدحي، المصدر السابق.

ـ البروفيسور الدكتور محمد عارف[1] :

وقبيل[2] أن تفارقه المنية، وجه الراحل عارف رسالة قصيرة إلى الدكتور تحت عنوان :

" إلى صديقي المؤرخ الكبير الدكتور محسن محمد " جاء فيها :ـ

" البروفيسور الدكتور محسن محمد حسين المحترم... إنسان نبيل وعالم جليل... جوهر يدل على مظهر ومظهر أنيق يدل على جوهره العميق .. كل لقاء معه، إحياء لأجمل وأعز الذكريات بحلوها ومرها، فهو صادق في كلامه ومشاعره، وعشقه للوطن وللناس قاطبة، وقد جسّم كل هذه الصفات الأصيلة في كتاباته وأبحاثه ومؤلفاته التاريخية القيمة.. انه يمتلك إيماناً قوياً بالباري عزوجل وبخدمة شعبنا العظيم وتأريخه المجيد الذي كتبه بدمائه ودموعه، وهو يعي دوره المسؤول والخطير كمؤرخ نزيه وصادق... أتمنى لصديقي الدكتور محسن العمر المديد والاستمرار في خدمة شعبنا ووطننا العزيز.

---

[1] رسام عالمي وفنان تشكيلي شهير

[2] ٢٠ نيسان ٢٠٠٤ / اربيل

ـ الأستاذ الدكتور (وريا عمر أمين) :

أما زميله الأستاذ الدكتور (وريا عمر أمين) أستاذ اللغة الكردية في كلية التربية / جامعة بغداد والعضو العامل في الأكاديمية الكردية في أربيل، فقد كان من ضمن الأشخاص الذين كنت اعول كثيراً عليهم للتعرف على الدكتور، بعد هجرته لبغداد وضياع أخباره عني. ولم يتردد الدكتور وريا في إبلاغي بما يعرفه عنه، على الرغم من حماقة ذلك العهد المقيت الذي يتربص لكل معارض للنظام، ولأنه كان يعلم بصلتي الوثيقة بالدكتور محسن، فلم يتردد من الاستجابة لمطالبي في معرفة أخبار صاحبه. وبعد سقوط النظام، التقيته مرة أخرى في كلية التربية / ابن رشد ولكن بوضع آخر، وأعلمته بمشروع الكتابة عن أستاذي، فما كان منه إلا الإطراء على المشروع والتشديد على ضرورة وفاء الطالب لأستاذه، فوجدت الفرصة سانحة للتعرف إلى شخصية مؤرخنا في عيون صاحبه الدكتور (وريا) الذي بدأ حديثه بالإشارة إلى مناسبة تعرفه به حين أعادها إلى ستينيات القرن العشرين عندما كان في مرحلة الثالث متوسط ، مؤكداً انه وزملائه كانوا يسمعون من الآخرين أن " محسن " زميلهم يمتلك موهبة أدبية وله مواصفات علمية مرموقة والى ذلك كان محبوباً منذ نعومة أظفاره.

ويمضي الدكتور وريا في وصف " مؤرخنا " بأنه علم من أعلام مدينة اربيل وهو باحث وأكاديمي قدم نتاجات غزيرة ذات قيمة علمية كبيرة في مجال التاريخ، لا سيما التاريخ الإسلامي وسيرة صلاح الدين الأيوبي، والى جانب ذلك أكد أنه يمتلك خاصية كتابة القصص بشكل رائع إذ حاز لنفسه الكثير من القراء والمعجبين[1].

[1] وريا أمين (الدكتور)، مقابلة معه، بغداد، اربيل، ٢٠٠٩

ـ الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام[1] :ـ

كلمة.... !

بهذا العنوان بعث ألينا الأستاذ الدكتور عبد السلام بكلمات حوتها وريقات ثلاث، أفصح فيها عن رؤيته لشخصية زميله الدكتور محسن، حين أجاز لنفسه بقول كلمة أكد فيها عن عمق صداقته للدكتور محسن والتي امتدت لتصل إلى ربع قرن أو تزيد، فقد وجده في تلك السنوات أستاذا، وباحثاً، ومفكراً، ومربياً في كلية التربية بجامعة بغداد، وبعدها في كلية الآداب بجامعة صلاح الدين في اربيل. ولعل أهم من كل ذلك ـ كما يرى عبد السلام ـ أن الاثنين قد تشاركا في السراء والضراء وفي ظروف أغلبها صعب، وباعث على القلق. وكثيراً ما كانا يتناولان الأفكار والآراء والملاحظات المتنوعة، ليس في التاريخ فحسب وهو حقل اختصاصهما المشترك، وإنما في شؤون الحياة كلها. ويقر عبد السلام أنه وفي نهاية كل حديث يدور بينهما، يزداد إعجابا، بل وانبهاراً بطريقة وتفكير زميله الدكتور محسن وأسلوبه في التعامل مع المعلومات، مؤكداً أن أساس ذلك يعود إلى قدرته الفذة على تنظيم أفكاره وترتيبها، فضلاً عن سعة أفقه ليشمل ضروباً من المعرفة القديمة والحديثة والمعاصرة، فهو حين يتحدث ـ على سبيل المثال ـ عن مكيافيللي بالعمق والتحليل، تجده نفسه الذي يتحدث فيه عن المؤرخ ابن الأثير، وهو قادر إلى جانب ذلك على أن ينفذ إلى أعماق شعراء كبار أمثال " ألجواهري " و" السياب " و " نازك الملائكة " مستشهداً بالعديد من نصوصهم، بالقدرة ذاتها التي يتناول فيها أدباء أمريكا اللاتينية مثلاً، ويرى أن سعة الأفق تلك، لم تتحقق لديه إلا بجهود أضنته وأوقات عزيزة أنفقها في القراءة وأموالٍ بذلها في اقتناء الكتب بكل سبيل ويرجح عبد السلام، أن الموضوع الأثير عند رفيقه هو (فلسفة التاريخ)، المادة التي عشقها ولم يبخل عليها بأي جهد أو وقت أو مال. وفي هذا السياق يؤكد أنه لا يتذكر أن أشار إلى عنوان كتاب أو دراسة أو مقال في موضوعة فلسفة التاريخ، إلا

---

[1] للمزيد عن هذه الشخصية أنظر كتابنا : عماد عبد السلام رؤوف، أربعون سنة في دراسة التاريخ وكتابته، النجف، ٢٠٠٥.

وأخبره بأنه يمتلك نسخة منه، أو أنه استنسخه بنفسه يوم لم تكن أجهزة الاستنساخ الحديثة قد وجدت بعد.

ويرى أن زميله الدكتور محسن، وبسبب عشقه العجيب لفلسفة التاريخ، فقد جعل منه هذا العشق، فيلسوفاً لا مؤرخاً، بدلالة أنه لا يقف عند النص التاريخي فحسب، وإنما يعمد إلى تحليله ببراعة، ليصل إلى دوافعه الخفية الكامنة وراءه. وأكثر من ذلك، يستشعره محلقاً ـ بعد ذلك ـ لاستكناه الدوافع العامة التي تحرك التاريخ نفسه. ويخلص عبد السلام إلى فكرة يراها مهمة تؤكد ان صاحبه ـ وعلى الدوام ـ تراه ينأى بفكرهِ عند الانحياز إلى فكرة بذاتها، أو الى مفكر بعينه، وهو إن مالَ إلى الأخذ بهذا أو بذاك، فلأنه وجد فيها ما يتوافق مع رأيه ونتائج بحثه، وليس إعجابا بقائل، أو مؤلف، مهما بلغت شهرته وزاد بريقه في أعين الناس.

ومن جهة أخرى، وقف عند خاصية النقد العلمي البناء لدى صاحبه، مؤكداً أن للدكتور محسن روحاً نقدية قوية يتعامل بها مع روايات المؤرخين المختلفة، فهو لا يأخذ برواية إلا ويبحث في سبب روايتها ودوافع راويها، ويتذكر أن آخر ما قرأه له، كان دراسة مطوّلة قدم فيها رؤية نقدية متكاملة للتاريخ، كما قدمه المؤرخون المسلمون. ويسترسل في حديثه عن صاحبه مؤكداً أنه لم يقف عند جانب واحد من جوانب التاريخ، إنما كتب في تاريخ المدن كما هو الحال في كتابته عن مدينته (اربيل) وهذا الأمر من العناية انسحب أيضاً على التاريخ العسكري وفي تاريخ الفكر والتاريخ السياسي وفي الاستشراق والى ذلك ، أشار إلى أنه بحث الصلة بين التاريخ والسياسة وبين الدين والسياسة إلى جانب بيانه موقع السياسة والدين في الفلسفة. وعليه فأن عبد السلام يرجح، أن مثل هذه الاهتمامات، هي بلا شك تتجاوز ما يعني به (المؤرخ)، إلى أن تكون اهتمامات (مفكر)[١] بالمعنى الدقيق للكلمة.

---

١ المفكر : هو من امتلك اطلاعاً واسعاً في أكثر من ميدان من ميادين المعرفة، وإخضاعه تلك المعرفة لعملية تحليل واستنتاج، ليصوغ منهما فكراً، كبيرة في العادة، تُحدث نقلة نوعية في حياة المجتمع، ومن ذلك وعلى وفق التمييز الذي يميز المفكر عن الإنسان المثقف وكذا العادي فأن المفكر يمثل في مجتمعه دوراً ومسؤولية، الأمر الذي يحتم على الحكومات الوطنية احتضان المفكرين لديها.

ولم يغفل، أن ينفذ إلى الدكتور محسن (الإنسان) فيكشف عن كوامن تلك الشخـصية المعـبرة عـن إحساس مرهف وحب عميق للأخر، لا سيما لطلبته، حين وجده مربياً حقيقياً، ليس لأنه قـضى الشطر الأكبر من حياته العملية أستاذا في كلية التربية ببغداد، بـل لما انطـوت عليـه نفسه مـن عطف إنساني شديد وإحساس مفعم بمشاعر الآخرين. وعلى وفق ذلك يرى أن أفكاره وأبحاثـه لم تصرفه عن إنفاق ساعاتٍ يقلب فيها مشكلة لطالب شاب على أوجه مختلفة ليجد لهـا حـلاً، أو أن يقضي وقت راحته القليل في نصح آخر وتوجيهه، وكان يحـتفظ بـدفتر دَوّن فيهـا أدق الملاحظـات عن طلابه، يكتبها بكل إخلاصٍ وأناة، وكأنـه لا عمـل لـه غيرهـا. ويقـر عبـد الـسلام بأنـه كـان يستعين من صاحبه ما كان يسجله من ملاحظات كلما احتاج إليها. فقـد كـان يُبقـي كـل الجـسور مفتوحة بينه وبين الأجيال الجديـدة مـن طلبتـه، يـشاركهم أفـراحهم ومتـاعبهم ولم يبخـل في الحالتين بتوجيهٍ ونصح.

وزيادة في بيانه لشخصية صاحبه العلمية، يلفت عبد الـسلام النظـر إلى ذاكـرة صـاحبه الـتي وصفها بالفولاذية بـل ووجـدها أشبه بجهـاز حاسـوب حـديث، مـن خـلال قدرتـه دومـاً علـى استحضار المعلومـات المختلفـة مـن أعمـاق هـذه الـذاكرة، وبكـل مـا تنطـوي عليـه مـن روح ولـون وتشعب، فحين كان يستمع إليه وهو يتحدث،يخاله وكأنه يقرأ أمامه رواية مـن الأدب الروسـي القديم، الأدب الذي تميز بدقة تفاصيـل مـا يرويـه،ليعترف عبـد الـسلام بأنـه لم يلتـق بـشخص امتلك مثل ذاكرة صاحبه الدكتور محسن.

أما عن مظهره الخارجي وهندامه، فهو يـرى أنـه أنيـق ظـاهر الأناقـة، أنيـق في ملبـسه، وفي مأكله، وفي حديثه على حد سواء، وهو بذات المستوى من الأناقة إن كان في وسـط طلبتـه، أو وسـط أصدقائه، أو بين أسرته، وهو لذلك ميـال لانتقـاء ألفاظـه، مثلمـا ينتقـي أربطـة عنقـه، أو أزرار أكمامه، حتى أذا استخدم لفظاً، وبدا له بعد لحظات، أو أن استخدامه لم يكـن الأفـضل في نظـره، عاد أليه ليستخدم بدله، لفظاً آخر أكثر دقة في التعبير، وأجمل في النطق.

والى ذلك ينتهي عبد السلام إلى القول بحق صـاحبه، إلى الإشـارة بأنـه عـاش وسـط أصـدقائه، وزملائه، وطلابه وقرائه، هادئاً، محبوباً، وديعاً، فلم يقحم نفسه في مشكلة، ولم يكن طرفـاً في

أي خصام، بل وميالاً لحل أي معضلة بالحوار، والنقاش واحترام الرأي الآخر، ويؤكد أنه لم يتذكر رغم طول زمالته له أنه أحتّد أو غضب، أو أصبح عصبياً مهما كانت الظروف التي مر بها والصعاب التي واجهها[1] .

---

[1] الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، مقابلة معه، الأكاديمية العلمية، اربيل، ١١/ نيسان / ٢٠٠٩.

ـ الدكتور (قادر محمد حسن بشدرى) :

وفي أثناء بحثي في سيرة مؤرخنا ولقاءاتي المتكررة بزملائه، ألمحت شخصاً آخر يرقب عن كثب ما أدونه عن الدكتور محسن، وكأنه يتودد أن يبوح بما اختزنته ذاكرته إزاء أستاذه. وحين تعرفت إليه عن طريق الدكتور محسن، علمت أنه الدكتور (قادر محمد حسن بشدرى) الأستاذ المساعد في قسم التاريخ كلية الآداب جامعة صلاح الدين. فبادرني إلى القول وكأنه تعرف إلى ما أود طرحه من تساؤل عن أستاذه، لاسيما تساؤلي عن جذور علاقته بأستاذه، فقال : إن تلك البدايات تعود إلى تتلمذه عليه في المرحلة الثالثة في قسم التاريخ في جامعة صلاح الدين سنة (١٩٩٤/١٩٩٥). وكحال المتحدثين عن شخصية مؤرخنا، فقد شاركهم الرأي في انه كان بمثابة الأب الروحي للطلبة لإحساسهم بقربه دائماً من أحاسيسهم وآلامهم. والى ذلك أشار الدكتور قادر إلى علمية ورصانة وشفافية الدكتور محسن، على أن تلك الصفات كانت مقدمةً لصفات وسجايا لا يمكن لأحد أن يعيشها ويتحسس بها سوى من التصق بالدكتور محسن، وتعرف إليه عن قرب. وعندما تحدث عن كتاباته، وصفها بالرصينة منهجاً وعلماً، مؤكداً انه يعد من رواد الباحثين الكرد ممن تصدوا للتراث والتاريخ السياسي الإسلامي بمنهجية صارمة مبتعداً قدر الإمكان عن الذاتية والعنصرية ومهادنة النظام الحاكم مهما كان شكله أو وصفه[١]

ولعل من المحطات العديدة والمهمة التي أمضاها مؤرخنا ليس في حياته، إنما في حياة من تتلمذ عليه، هي تلك السنوات التي كان بينهم حين تركت بصمات لن تنسى أبدا. فقد كان لطلبته في دار المعلمين ومعهد إعداد المعلمين في أربيل، رأيهم المميز في شخصية أستاذهم حين تحدثوا عنه بحنّو ومحبة، فكانت تلك السنوات وهي أول تجربه له في التدريس في مدينته أربيل، بعد أن تم نقله من قلعة صالح (لواء العمارة / محافظة ميسان حالياً) والتي أمضى فيها ثلاث سنين دراسية (٦٢ـ١٩٦٥)، وما زال يتذكر طلبته الذين وصفهم بالأوفياء له في تلك المدينة النائية. وفي معرض استرجاعه لسير طلبته في اربيل ، لا سيما أولئك ممن استشهد في مواجهة النظام

---

[١] الدكتور قادر محمد حسن، بعث لي تلك المعلومات عبر رسالة مخطوطة بيد الدكتور وريا في آذار ٢٠٠٩.

ألبعثي وممن أنضجتهم الحياة الثقافية والسياسية في صفوف الحركة الوطنية، أشار إلى أسماء البعض ممن لاح له ذكرهم في حينها ومنهم : (صابر وطاهر كريم علي) و(ماموستاره وه ند) عضو قيادة الحزب الشيوعي الكردستاني في العراق / فرع كردستان سابقاً) الذي اعتاد الاعتكاف في عمله للتهيئة للانتخابات البرلمانية لسنة ٢٠١٠. وحين الاتصال به ومحاورته بشأن ما يعرفه عن أستاذه،لم يسعفه الوقت بالقول عنه سوى إشارته إلى تلك السنة (١٩٦٧) حين تم اعتقاله بسبب نشاطه السياسي، وقد حدث ذلك قبيل موعد الامتحانات، مما يعني حرمانه من أداء الامتحان، وبعد إطلاق سراحه، عاد لمراجعة مدير دار المعلمين لمعرفة موقفه من أداء الامتحان، فوجهه المدير لمراجعة مدرسي الدار والتفاهم معهم حول تأخره في أداء الامتحانات، وكان مؤرخنا يعلم سبب اعتقاله ويرجح خسارة فرصته، إلا انه بادره إلى القول مشيداً بموقفه الوطني ومؤكداً له، بأن اعتقاله مدعاة للفخر فهو دور مشرف وسيمنح فرصة أداء الامتحان. ومن أجل ذلك اتصل الدكتور بمدير الدار وشرح له حالته، مما نتج عنه أداء الطالب للامتحانات. وبعد أربعين عاماً على هذا الموقف النبيل لمؤرخنا، يؤكد (ماموستاره وه ند) انه لا يزال يشعر بالحرج حين يحاول إسداء ما عليه من دين والتعبير عن مواقف أستاذه من مواقفه الشريفة إزاءه، مؤكداً أن ذلك أكبر مما يجول في خاطره من قدرته[1].

---

[1] ماموستا ره وه ند، مقابلة معه، اربيل ٢٠٠٩.

ـ أبو بكر أحمد وأمين خضر :

ويشاء المعلمان (أبو بكر أحمد وأمين خضر) وكانا من طلبة الدار خلال (١٩٦٨ــ١٩٧٠) أن يعلنا معاً ويتذكرا تلك الأعوام النديّة حين كانا في مقتبل العمر يتدفقان نشاطاً ورغبة في التعّلم، ويتمنيان لو عادت تلك الأعوام، إذ قالا عن أستاذهما : لقد كان الأستاذ يدرسنا مادة التاريخ بحيوية وودّ، بفكر تقدمي بعيد عن التمذهب والانفعال، وتعابيره وأفكاره تشي بتأثره بالفكر والتفسير الاشتراكي. يكتب ملخّص محاضرته على السبورة على شكل نقاط ليسهّل على الجميع فهم المادة، ولتتمكن عقولهم اليافعة استيعابها ومن ثم يعمد إلى توضيحها بلغة سلسة.

وبشأن حضوره الاجتماعي،أشارا إلى انه كان يعامل الجميع بروح الصداقة ويرفع الكلفة والحواجز بينه وبين طلبته سوى حاجز الاحترام، فالجميع يحترمه أيمَ احترام، ولطالما كان يثير في نفوس طلبته التساؤلات ليجيب بعد ذلك بتريّث وثقة بالذات. ويضيفان بأنهما يتذكران توجهه النقدي لمصادر التاريخ ، لا سيما مصادر الفترة الأموية والعباسية، لأنها لا تروي روايات تفصح عن أوضاع الناس الذين يقضون حياتهم في هامش أو في قاع المجتمع، بل أنها تتحدث عن أنشطة الدولة العسكرية وعن ترف أفراد الطبقات الراقية الذين يعتلون قمة الهرم في المجتمع والدولة، كما أن تلك المصادر، كما كان يشرحها، تصف الحركات المعارضة المسلحة منها وغير المسلحة ـ كحركات أو ثورات الشيعة والخوارج ولا سيما ثورة الزنج بقيادة علي بن محمد ـ بنعوت وألفاظ غير لائقة بالثورات. ويتذكر (أبو بكر أحمد وأمين خضر) أن أستاذهم كان يبدي اعتزازه ومحبته لأربيل المدينة العريقة، بتاريخها الموغل في القدم، بل لطالما كانا يسألانه إذا ما كان لديه طموح أو انه يفكر في أن يؤلف كتاباً ؟ ليرد عليهما : إنشاء الله تعالى. وما كانا يعلمان أن موضوعة رسالته للماجستير كانت تتحدث عن تلك المدينة[١].

---

١ أبو بكر أحمد وأمين خضر، رسالة مخطوطة منهما، نيسان٢٠٠٩.

ويضيف السيد نادر محمود، وهو أحد طلبته في الدار، أن أهم ما يتذكره عن أستاذه في دار المعلمين، أنه علمّهم وجماعته الآخرين كيفية القراءة ومطالعة الكتب[1]، مشترطاً تقييم ما تتم قراءته وضرورة كتابة ملاحظاته عن الكتاب والكاتب. وأورد السيد نادر ما أسعفته الذاكرة مما كان يقوله الاربلي بخصوص من يروم الكتابة، بأنه يتحتم على من يروم كتابة بحث أو تأليف كتاب، ألا يكتفي بالاعتماد على المؤلفات الحديثة " المراجع"[2]، بل عليه أن يعتمد على المصادر، أي على النصوص الأصلية أو الوثائق ويحاول العثور عليها حسب ما هو متوفر في محيطه وحسب إمكاناته، وكان هذا ألأمر جديد على الطلبة لا سيما وأنهم في مرحلة دار المعلمين الابتدائية . ويضيف السيد (نادر محمود) أن أستاذه كان يصب جام غضبه على بعض كَتبة التاريخ والمؤلفين في عصرنا الراهن، ممن يكتبون التاريخ وفق نظرتهم الضيقة أو لمجاراة الشارع أو الرأي العام، أو ممن يتحدثون بفخر عن إسراف حكام العالم الإسلامي ـ لا سيما في مركز الخلافة في بغداد وتماديهم في ملذاتهم، وفي اقتناء الجواري والرقيق والغلمان وفي سكنى القصور وما فيها من خدم وحشم وأثاث ومجوهرات زوجاتهم وإمائهم، وما يرصّع جبينهم وفوق غطاء رؤوسهم وان "حميرهم كانت تقتات السمسم" في وقت كانت الرعية تتضور جوعاً، أما أهل القمة فكانوا يتناولون لسان العصافير بملاعق من ذهب أو فضة. هذا الكلام منقولاً من مصادر ذلك العصر، ومنقولة عن الكتاب المقر المعنون" أصالة الحضارة العربية الإسلامية " لمؤلفه الأستاذ (ناجي معروف) هذا على سبيل المثال، ويمضي إلى القول، بأنه قرأ في أحد مؤلفات أستاذه ـ وقد

---

[1] تعيدني هذه المعلومة إلى سنة ١٩٨٥حين كنت في المرحلة الثالثة في كلية التربية / ابن رشد، أن أستاذي اصطحبني إلى المكتبة المركزية الكائنة في منطقة الوزيرية، لا لشيء سوى أن يريني كيفية استعارة الكتب ومطالعتها في داخل المكتبة.

[2] يعني بالمراجع التي كتبت في موضوعة اعتمدت في سردها على ما أوردته مصادر سبقتها في ذكر تلك الرواية، والمصادر قد تكون معاصرة للحدث التاريخي.

أنجـزه بعـد أكمـال دراسـاتـه العليـا ـ مـشادة كلاميـة مـع "نـاجي معـروف" [1] لميلـه إلى الطائفيـة والعنصريـة[2].

ويؤكد السيد نادر أن أستاذه لا يمكن أن يساوم على قضية حق حتى وان اقتضى الأمر التنازل عن امتيازاتـه، وهـذا مـا أعـاده إلى موقـف اتخـذه مؤرخنـا إزاء طـرح بعـض أسـاتذته في مرحلـة البكالوريوس في بداية الستينات من القرن المنصرم (العشرين)، ممن يغمطون حقوق الكرد وأساءوا إلى أخـوتهم وشـركائهم في الـوطن والى حقـوقهم المـشروعة، وهـذا مـا أدى إلى اتخـاذ موقـف مـن الدكتور محسن بما فيه محاولة عرقلـة نجاحـه، إلا أن مثابرتـه ومواقفـه العقلانيـة حالـت دون ذلك[3].

أما السيد "مغديد حاجي"[4]، فقـد كانـت لـه جولـة أيـضا في اسـترجاع ذكرياتـه والإفـصاح عـن الجوانب الإنسانية والمضيئة ـ وهي كثيرة ـ في حياة مؤرخنـا حـين قـال : بعـد سـنين قليلـة مـن اندلاع الثورة الكردية المسلحة في الحادي عشر من شهر أيلـول(١٩٦١) تم قبولـه في دار المعلمـين. وفي هذه الأثناء تكون الثـورة قـد عمـت جبـال كردسـتان ووديانهـا، وانعكـس ذلـك علـى العمـل السياسي في المدن وعلى أنشطة الحزبين الديمقراطي الكردستاني (البارتي) والـشيوعي العراقـي، وانعكس أيضا وبشكل واضح على الطلبة،إذ كـان معظـم طلبـة الـدار مـن أبنـاء الطبقـة الكادحـة، وكانت السلطات المتعاقبة بعـد الانقلابـات والـتي دمـرت كردسـتان والعـراق، تراقـب تحركـات المعارضة. وبهذا الخصوص يؤكد "مغديد حاجي" أنه وجماعته كـانوا شـغوفين بمتابعـة مـا كـان يحصل في الساحة السياسية وفي الجبال ولم تختلف مواقـف ومـشاعر أسـاتذة الـدار عـن مـشاعر طلبتهم، ولا سيما شخص مؤرخنـا الـذي كـان يقـف إلى صـف المعارضـين للنظـام وهـو مـا تجـسد

---

[1] نادر محمود، مقابلة معه، اربيل، ٢٠٠٩

[2] أوردنا هذه الرواية في صفحة سابقة من هذا الكتاب.

[3] المصدر نفسه.

[4] الكاتب والصحفي والمدرس وعضو المكتب التنفيذي لاتحاد معلمي كردستان، يحمل درجة الماجستير في التـاريخ الحديث.

وبوضوح من خلال تدريسه لمادة تاريخ أوروبا الحديث وما فيها من أحداث ثورية. فكان يُسقط حالة على أخرى، محاولاً تقريب ما يجري على ارض بلاده من تحديات تستوجب استجابة تتمثل بالوقوف صفاً واحداً بوجه النظام. فكان يزرع في أدمغة طلابه وعياً وإدراكا حسياً عجيباً، إذ كان الأمل يرتسم أمام ناظريهم متجسداً بكلمات مدرسهم التي كان لوقعها تميزاً في بناء الشخصية الثورية. فكانت محاضراته تبدأ بتوضيح بعض من جوانب التاريخ، أو شأناً من شؤون الفكر، ثم ما يلبث أن يربط ما أورده بموضوعة تلك المرحلة وبأسلوب جذاب ومؤثر وبلغة مفهومة جميلة وبفكر تقدمي، كان الجميع يتلمسه بوضوح. ويضيف بأن الشيء المميز الآخر بمؤرخنا، أنه لم يكن يتقيد بمنهج محدد له في التدريس مما أضفى على المحاضرة مسحة من جمالية الأداء ورصانة التفكر. لا سيما وانه كان يركز دائماً على أحداث الثورة الفرنسية (١٧٨٩) بأحداثها الدراماتيكية المتسارعة، إذ أثارت في نفوس طلابه الفضول والاندفاع إلى التعمق في دراسة التاريخ، خصوصاً وان الطلبة لم يعهدوا مثل هذا النمط من التدريس الحر[١].

وأكثر من ذلك، فأن بعض الشبيبة ممن درس على الأستاذ محسن، كان قد تأثر بتوجهاته وتوجيهاته للدفاع عن الوطن وعن القضية الكردية مما سهل عليهم أمر الانخراط في تنظيمات الأحزاب، سواء من كانوا طلبة أو من الخريجين، بل وقرر البعض منهم ارتقاء جبال كردستان دفاعاً عن الوطن. وقد استشهد عدد منهم من أمثال (عبد المجيد شوكت عبد ال عقراوي) و(جميل ره نجبه ر)، و(نوري إسماعيل نا كه لي)، و(سعد عبد الله) و(ناصح حمد أمين)، فضلاً عن (رجب طيب) وغيرهم[٢].

وذكر السيد "مغديد حاجي" انه وفي عام(١٩٧٠) وقبيل إعلان اتفاقية الحادي عشر من آذار جرت انتخابات نقابة المعلمين، ويومها كان طالباً في المرحلة الأخيرة في دار المعلمين، وعضواً في الاتحاد العام للطلبة يتابع مع زملائه عن كثب ما سيتمخض عن تلك الانتخابات التي جرت في جو شبه ديمقراطي. وكان ضمن حماية المركز الانتخابي في مدينة اربيل للحيلولة دون تزوير

---

١ مغديد حاجي، المصدر السابق.

٢ المصدر نفسه.

إرادة المعلمين. وذكر بأن قائمتين تنافستا أحداهما مثلت الحركة الوطنية وهي (القائمة المهنية الديمقراطية) ممثلة بالتحالف بين الحزبين الديمقراطي الكردستاني، والحزب الشيوعي العراقي، تنافسها قائمة سلطة الانقلاب الممثلة بالبعثيين الذين بدأوا يتسللون بشتى السبل في صفوف الاتحادات والنقابات . وكان مؤرخنا ضمن وفد النقابة وممن كان له دور فاعل ومميز في المحافظة على سلامة الانتخابات والحيلولة دون حصول اختراقات فيها باستثناء محاولات لا ترقى لمستوى التلاعب. والى ذلك واستكمالا لهذا الجهد، حضر المؤتمر العام لاتحاد معلمي العراق في بغداد في تلك السنة بوصفه أحد ممثلي نقابة معلمي مدينته ومعلّمي كردستان.

ـ الأستاذ الدكتور محسن محمد حسين.... بين التاريخ وفلسفته، كما يراه الأستاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم / النجف الاشرف ـ جامعة الكوفة :

بوصفه أستاذا وتدريسياً في الكلية التي اعمل فيها، وهي كلية الآداب ـ جامعة الكوفة، فقد علم الدكتور الحكيم بمشروعنا هذا، ولأنه كان زميلا للدكتور محسن، فقد أثنى كثيراً على ما عمدنا إليه وطلب السماح للإسهام ولو بشيء بسيط بذكر ما تسعفه الذاكرة عن شخصية زميله، وحينذاك كتب لنا عما عبرت عنه لواعجه إزاء زميله العزيز بقوله :

لقد أمتاز أخي وزميلي المؤرخ القدير الأستاذ الدكتور محسن محمد حسين بخاصيتين كبيرتين هما : العلمية التاريخية الناجمة من التتبع الدقيق لمسيرة التاريخ، ومعرفة مصادره ووثائقه ومراجعه، والحياد التام الذي أبعده عن مظاهر التفكير الضيق، وبالموضوعية التي حددته بالحقائق وحررته من المجاملة والمحاباة. وقد أعطته هذه السمات معاني النضج العلمي والفكري، ويحتاج المؤرخ إلى هذه الروح العلمية لينقلها إلى طلابه ومريديه، فالساحة الجامعية بحاجة إلى ما يصبو إليه الأستاذ الدكتور محسن في كتاباته ومحاضراته وفي أبحاثه، لدرجة أن القارئ يتلمس تلك المنهجية في سطوره وما فيها من عمق معرفي دقيق. وكنا قد وقفنا على جذور هذه المعرفة التاريخية مذ كنا ننتهل العلم في الدراسات العليا في جامعة بغداد، حين أخذت مساحة أوسع بعد وصول الدكتور محسن إلى درجة (العالمية) في التاريخ، وأملي وطيد بأن يتحف المكتبة بنتاجاته ليقف عندها زملاؤه وطلابه ومن يسير على منهجه العلمي راجياً له التقدم والنجاح والإبداع.

ـ أ د. عبد الفتاح علي بوتاني

مركز الدراسات الكردية وحفظ الوثائق :

التقيته من دون سابق علم به أو تتسنى الفرصة لرؤيته، لكن مباشرة الكتابة عن الدكتور، كانت سبباً في التعرف إليه والاستماع لما يريد القول عنه. وقد عاد في حديثه إلى الوراء مستذكراً بدايات تعرفه إليه بقوله :ـ

انه لطالما سمع بان هناك طالب كردي في جامعة بغداد يدعى (محسن محمد حسين) يعد رسالة ماجستير عن تاريخ الكورد في العصر الإسلامي، وتم تعيينه في كلية التربية / ابن رشد في جامعة بغداد ، وأنه فيما بعد حصل على الدكتوراه وعاد إلى التدريس في كليته نفسها، ومن ثم عاد إلى مسقط رأسه أربيل بعد أكثر من عقدين من الزمن قضاها في بغداد ليصبح من أهم أعمدة قسم التاريخ في كلية الآداب / جامعة صلاح الدين. ويمضي الى القول في زميله بأنه تعرف إليه في مايس (١٩٩٦) حين حضر ضمن المدعوين للمشاركة في الموسم الثقافي الثاني لكلية الآداب / جامعة دهوك. وقد كلف بتقديمه للحضور وبإدارة الجلسة، وكان ذلك بالتحديد في(١٢ مايس ١٩٩٦) وألقى محاضرة ممتازة عن دور الكورد القيادي في جيش صلاح الدين، أثارت اهتمامات الطلاب وإعجابهم. أما عن انطباعاته فيقول : بصراحة عندما تعرفت إليه عن كثب، وجدت نفسي أمام أستاذ وتدريسي جامعي متمرس ورصين، متواضع يتصف بالهدوء متفاني في عمله واضح كل الوضوح في طرح أفكاره. وباختصار وجدته عالماً في مجال اختصاصه الدقيق (التاريخ الأيوبي) فضلاً عن ثقافته الموسوعية وامتلاكه لرؤية واضحة وعلمية أفصحت عن مسار التاريخ الإسلامي ومنعطفاته..... ويضيف :الأستاذ الدكتور محسن محمد حسين، عالم دؤوب، وبسبب سعة اطلاعه، امتازت كتاباته بالوضوح وبالعمق وبالمنهجية، هذا ما توصل إليه حين قراءته لأول نتاج لزميله، وهو كتيب بعنوان " موضوعان في التاريخ الكردي " الصادر سنة (١٩٧٦)، وكان حينذاك مدرساً مساعداً، فتوقع بأنه سيكون مؤرخاً واعداً.

لقد أشرف الدكتور على العشرات من الرسائل والاطاريح الجامعية النوعية والمتميزة، ويعـود لـه الفضل في وقوف المعنيين بالتاريخ على معلومات في غاية الأهميـة، كانـت تعـد مجهولـة لا سـيما بالنسبة لتاريخ الكورد في العهد الأيوبي، كما ان له مساهمات فكرية في علم التاريخ وفلسفته، إذ ألف في هذا المجال كما ألف عـن الاستـشراق وفي مجـال الحيـاة الثقافيـة الكورديـة، وفي كتاباتـه وجدناه يميل إلى الأفكار التقدمية والى العصرنة وهو لم يحد فيها عن الخط الوطني.

ـ م. ريبوار سيوه يلي :

وضمن جولتنا في اربيل والمخصصة للعثور على معلومات تفيدنا في ترجمتنا لحياة الدكتور، كنا قد عرجنا على زيارة كلية الآداب في جامعة صلاح الدين، فالتقينا بالأستاذ "ريبوار سبوه يلي " رئيس قسم الفلسفة والتدريسي فيه، وعلمنا حينها انه مولع بالكتابة وله صولاته في عالم الصحافة، بل له العشرات من الكتب الفكرية والأدبية والبحوث المنشورة في مجلات أكاديمية وغير أكاديمية فضلاً عما يكتبه في الصحافة باللغة الكردية، كما انه يجيد أكثر من لغة أوروبية وشرقية. وقد وجدنا الفرصة سانحة للحديث معه واقتناص ما إذا كانت لديه معلومات عن شخصية مؤرخنا، لا سيما بعد أن لاح لنا انه مهتم أيَمَ اهتمام بما عمدنا إليه من مشروع الترجمة. فسألناه عما إذا كانت لديه صورة عن الدكتور، يمكن ان توضح ولو جانب من شخصيته ؟ فأجابنا بكل امتنان وتواضع، بأنه سيتحدث أو سيكتب باللغة الكردية، وقد وافقناه على ذلك وحين قدم لنا منجزه عما يعرفه عنه، عمدنا إلى ترجمته إلى العربية فوجدناه يقول :

في عام (٢٠٠١). وبعد أربعة أشهر من عودته إلى كردستان، يكون قد التقى في حدائق كلية الآداب ولأول مرة بالدكتور محسن، لقيه بهندام، لطالما كان ملتزماً به طوال حياته، دلالة على ذوقه، من دون أن تفارقه سيماء الشباب وقد اخذ الشيب من رأسه مأخذا. وكانت تجتمع في شخصيته ـ كما يروي الأستاذ (ريبوار)، ملامح الاقتدار وكمال الهدوء. ويمضي إلى القول بأن أيام مرت، أدرك أمورا وان لم تكن خافية عليه، إلا أنها اتضحت في تلك السنين أكثر، إذ أحس إذا ما سلم أحد عليه، فأنه يبادر إلى الإجابة بتعابير أبوية أليفة وبلهجته الاربلية المعروفة بقوله " كيف حالك أبي (بابي خوم) " دون أن يميز بين الجنسين حتى لو لم تكن له معرفة سابقة مع المقابل أو يجيب : كيف حالك أخي "كاكي خوّم". وحين قدم (سبوه يلي) نفسه إلى الدكتور، ذكر الأخير، انه تعرف إليه من خلال كتاباته . ومع ذلك فما كان يهتم إليه محدثنا هو هيأته وهندامه إلى جانب طريقة كلامه، بل كان دائم التساؤل عن اختصاص وثقافة من كان يراهم، سواء في الجامعة أو في المؤسسات الثقافية وفي المنتديات، على الرغم من أن اسم الشخص ودرجته العلمية يشيران الى صاحبيهما في المجتمعات التقليدية، إلا أن ذلك لم يكن بالأمر المسلم به، بل

أن هناك ممن حازوا على درجات علمية يقبعون خلف رنين ألقابهم التي تحدث جعجعة، ويضعون على مظهرهم سيماء الجدية والتعالي (الفارغ) فيحجب عنا حقيقته.

ويضيف "سبوه يلي" أن هذا النمط من العقلية، غالباً ما يثبت أن لا علاقة للكفاءة العلمية أو الثقافة بالمركز الذي يتبوأه الشخص في مدارج السلطة، أي لا علاقة بين قدرات الشخص وإخلاصه وبين المسؤولية التي يتسنمها، بل لها علاقة بالأوضاع غير السوية التي يعيشها المجتمع وإدارة مؤسساته. وتلك الأوضاع التي تجعل أناسا معينين "رجالاً" ـ مهمين ـ بالصدفة، وهي ليست بالصدفة أساسا، بل سيتجه لنوع العلاقة ـ بأشكالها ـ التي تربطه بمن هم في الأعالي، ولكل قاعدة شواذ. ويؤكد الأستاذ " ريبوار " أن صاحبه ـ ويقصد الدكتور محسن ـ خالف تلك القاعدة، بل وتعالى عليها. فهو ـ على الرغم ـ من وصفه أحد الباحثين القلائل عن الحقيقة في مجال اختصاصه وهو التاريخ، وفي مجال عمله واهتمامه (الفكر التاريخي / بتفرعاته، إلا انه لم يحاول أن ينال (حظوة) لا يريدها، و لا يقتنع بها لكي يوضع على رأسه تاجاً معمولاً للتباهي. ويقول : لقد دخل مؤرخنا معترك الحياة، بل ودخل التاريخ من باب مغاير، فصار هو من يصنع التاريخ. وقد سمع أن الاربلي لم يتبوّأ أية مسؤولية خارج مجال إلقاء المحاضرات والكتابة وإدارة شؤون المجلات الأكاديمية سواء في بغداد أو في اربيل.

وتواصل الأستاذ " ريبوار " في حديثه عن الدكتور منوهاً بما جرى بينهما من حوارات مع مرور الزمن، لدرجة انه أيقن وللوهلة الأولى ما لمؤرخنا من سعة صدر وتقبل لرأي الآخر، بل يرى أن أروع ما عرفه عن الدكتور، يتمحور حول قدرته الفائقة على توسيع دائرة ثقافته وإمكانياته في التخلي عن حقل اختصاصه في كتاباته وبحثه الدؤوب عن آفاق معرفية جديدة، إنسان ملؤه الحيوية والتطلع إلى الغد، ويراه مختلفا تمام الاختلاف عن الذين ينالون الشهادات والدرجات العلمية، ثم ينتهي عندهم الهاجس المعرفي، ويودّعون ساحة البحث العلمي. ويراهم قد يبدأون بمحاربة أهل العلم، وكأنهم لا ينتمون إلى العلم. ويرى أن الدكتور لم يسمح لدائرة اختصاصه أن تبعده عن الدائرة الأوسع، أو عن الدوائر الأخرى، كما لم يجعل الشهادة العليا خاتمة لصولاته وجولاته في ربوع المعارف المكملّة لبعضها البعض. والى ذلك، فهو لم يتعالى أو

يتكبر على أحد، بل انه أعلن هدنه طويلة الآماد، سلماً بين الحياة والعلم، وفي دائـرة تخصـصه، تعمق فيها إلى حد يجعل المرء يعتقد بأن أحد منابع مدرسة الحوليات الفرنسية[1] قد شـق طريقـه إلى كردستان.

أما عن مؤلفات مؤرخنا، فقد أشار الأستاذ "ريبوار" بأن للدكتور مؤلفات مهمة مؤكـداً علـى أن ما أشار إليه من مزايا وخصائص الشخصية الأكاديمية والعلمية الرصينة، تتجـسد في آثـاره. ففـي كتابه " أربل في العهد الاتابكي " والذي تمت ترجمته الى الكردية، وهو في الأصل عنوان رسـالته لنيل درجة الماجستير سنة ١٩٧٤، وجد فيـه " سبوه يلـي " عرضـاً مـشوقاً لتـاريخ الأسـرة الـتي حكمت الإمارة والمؤسسات المدنية والعلمية التي ظهـرت في المدينـة خـلال الحكـم الاتـابكي، ولا سيما في عهد السلطان مظفر الدين، كما قدم عرضاً موثقاً عن أوضاع اربيل في الجوانـب الاجتماعيـة ـ الاقتصادية للمدينة ودراسة سير أبنـاء أسـر اربيـل حينئـذ، أو رجـالات الثقافـة الـذين زاروا المدينة والمؤسسات ـ الوظائف ـ التي ظهـرت فيهـا، وتوزيـع المهمـات والـسلطات علـى رجـالات الدولة، فضلاً عن دراسته لشخصية السلطان وعلاقته مع القائد صلاح الدين. والى ذلك عرج الأستاذ ريبوار إلى الحديث عن كتاب الاربلي الموسوم بـ (جيش صلاح الدين) الذي نال بموجبه الـدكتوراه في بداية سنة (١٩٨١) قائلاً : على الرغم من دقة الموضوع وصعوبة هضم أو استيعاب ما ورد فيـه، بوصفه يعالج موضوعات عسكرية بحته معتمداً على نحـو (٢٤٠) مـصدر ومرجـع، يؤكـد علـى أن القارئ يرى فيه جماليات عمل القـاص، لا سـيما في تقنيـة الـسرد التـاريخي المحكـم، إذ يحـس وكأنه يتعامل مع مخرج لفلم سينمائي عن معارك العصور الوسطى وفضاءاتها، ويرى أن كـل ذلـك في أطار جميل وتعابير سلسة ذات معان دقيقة وأفكار بعيدة عن التعصب العقيدي (مـن العقيـدة) أو التعصب ألاثني (العنصري). وأضاف الأستاذ ريبوار : انه وحـين وصـل في قـراءة الكتـاب إلى الفصل الخاص بالأسلحة، والـدكتور يـصف فيـه الـسيوف والرمـاح والـدروع والدبابـة والمنجنيـق

---

[1] تلك المدرسة التي تبناها المفكر الفرنسي (فرنـان بروديـل (١٩٨٥- ١٩٠٢) Fernand Braudel) عـضو الأكاديمية الفرنسية، لا سيما في كتابه (البحر المتوسط وعالمه من القرن الـسادس عـشر إلى القـرن الثـامن عـشر). وقد أتم تأليفه عام ١٩٤٩ وكان عنوان لأطروحته لنيل الدكتوراه فضلاً عن كتـب أخـرى بينهـا مؤلفـه (الحـضارة المادية) في ثلاث مجلدات والذي أسّر خيال الباحثين في التاريخ وكذا الحال للمتخصصين.

وقاذفات النار على العدو وغيرها من أسلحة العصر الوسيط، تراءى له تلك المعارك التي خاضها جنود شجعان من الطرفين، آمنوا بقضيتهم ولقوا حتوفهم في ساحات الوغى أو داخل أسوار المدن حين تقابل محاربون واختلطت دماؤهم، مدركاً مدى صعوبة تلك المواجهات، وقال في نفسه متعجباً من تلك الحروب الطاحنة، وقد وصفها بالرصينة لأنها -كما يرى- لم تشهد استخدام أسلحة دمار شامل وغير شامل، فالتكنولوجيا البدائية كانت أكثر " إنسانية" وتتطلب بسالة المقاتل لوحدها. ويتابع الحديث عن الدكتور منتقياً آلية اختياره لكتابة التاريخ على أنها جاءت عن قناعة واضحة ومن خصوصية ورصانة شخصية ذات علاقة وطيدة بتلك المبادئ الراسخة في فكره وفلسفته في الحياة.

السيد نريمان عبد الله علي :

وفي أخريات أوقات كتابة مؤلفنا هذا عن الدكتور محسن، بادرنا احد طلبته ممن آمن بقدرات أستاذه، وأيقن أن الكتابة عنه، أو على الأقل الإسهام بالكتابة عنه، هو تعبير صادق عن وفاء التلميذ لأستاذه. ومن هذا المنطلق، تقدم السيد (نريمان) بما أملته عليه الذاكرة من حفظ لملامح وسمات شخصية أستاذه، بوريقات عبّر فيها في بداية كتابته، عن شغف وسرور بما سمعه من مشروع الكتابة عن شخصية أستاذه، بوصفه احد تلامذته، مع التنويه بأنه لم يوف ما يجب عليه من وفاء إزاءه، مؤكداً أن الكتابة عن شخصية مثل شخصية الدكتور محسن ليست بالأمر الهين، لأنه يسمو فوق ما يتمكن من وضع كلماته في إطار مساحة، كمساحة وريقاته تلك، من حيث الحديث عن مشاهداته وأستاذه، إلى جانب بيان أسلوبه في التدريس والوقوف أمام حجم علميته وخصائصه المتميزة، فضلاً عن ذكر أحاديثه الشيقة وتوجيهاته السديدة، وما كان يمر به من طرائف وظرائف.

والى ذلك يؤكد السيد نريمان ، أنه بعد تفكير عميق، أتاح لنفسه التحدث في هذا الصدد، في أكثر من محور، مشيراً الى ان هذه الشخصية جديرة بأن يكتب عنها أكثر من مؤلف، ومنتهياً الى القول في مقدمته تلك بأنه لم يكن في كتابته تلك، يروم الإطراء او المديح لأستاذه، بقدر ما كان يبتغي التعبير عن شعور أحس به من خلال زورة قصيرة ولقاء غير مطول.

لقد بدأ السيد نريمان حديثه عن بالإفصاح عن بدايات التقائه به والتعرف إليه، حين أعاد هذه البدايات إلى لحظة قبوله في الدراسات العليا لنيل درجة الماجستير من جامعة السليمانية سنة ٢٠٠٣. وكان من بين مفردات المنهج المقرر لتلك المرحلة، مادة (فلسفة التاريخ) وهي مادة أختص بها الدكتور محسن، إذ درسّها في كلية التربية / ابن رشد ـ جامعة بغداد وبعدها في جامعة صلاح الدين ومن ثم جامعة السليمانية وكويسنجق. وإزاء ذلك كان من الطبيعي ان يتناقل تلامذته الأحاديث عن شخصيته العلمية والإنسانية الجذابة، اذ وصلت تلك الأحاديث الى مسامع السيد نريمان قبل أن يراه.

ويشير إلى أن تعرفه بأستاذه، كان فرصة كبيرة لمواصلة مسيرته العلمية، اذ يـذكر انـه كـان وراء كل اندفاع نحو إتمام طلب العلم. والى جانب ذلك، يـشير الـسيد (نريمـان) إلى أسـلوب أسـتاذه في طرح مادة الدرس، حين أكد انه يتناول الموضوع من جوانب عدة في غمضة عين، مما يجعلـه يفـسر ويحلل الموضوعات الفلسفية من جوانبها المتعددة، ومن ثم يستنبط ويشرح ويـصل إلى اسـتنتاجات حيث يعرض فيها الرأي والرأي الآخـر، ويحـترم كـل التوجهـات مـستنداً في ذلـك إلى الحـديث النبوي الشريف (اختلاف أمتي رحمة). ولا شك أن للأستاذ ألفة بالعديد مـن الكتـب والمـصادر، حين اعتاد على الإشارة إليهـا مـراراً، حتـى انـه كـان يـشير الى مـصادر في سـنوات الـسبعينيات والثمانينات، عدا التي يشير إليها فيما قرأها في المرحلة الإعداديـة، مؤكـداً أن هدفـه الـرئيس في كل ذلك،إفهام طلبته. فهو الذي يضرب أمثـالاً كـثيرة في سـياق شـرحه للمـادة وتقـويم مـصادرها والفرق بينها، غثها وسمينها.

أما عن طبيعة أستاذه وتعامله العلمي مع طلبته، يقول انه يحبّب أية مادة يقـوم بتدريـسها الى قلوب طلبته، ويزيدها متعة ولذة. فالمواد التي يدرسـها، هـي موضـوعات فكريـة وجافـة، إلا أن أسلوب تعاطيه معها وتقديمها خلق مادة محببة وسهلة الفهم والإدراك. ومن محببات شخـصيته العلمية وفي تعاطيه مع طلبته، انه لم يكن ضنيناً على كتبـه ومخطوطاتـه، بـل كـان لا يمـانع مـن إعارة مقتنيات مكتبته لغرض الاستزادة

ويرى السيد (نريمان) أن أستاذه وعلى الرغم من ضخامة خزينـه المعـرفي، فأنـك تجـد الـسمات الإنسانية والواقعية، مجسدة في شخصيته بشكل أكثر مـن أي سمـات أخـرى، فهـو يقـرن أفعالـه بأقواله التي تزيـده مـصداقية في التعامـل، وفي إعطائـه وتقديمـه العلـم لطلبتـه، عمـلاً بالحـديث النبوي الشريف ((زكاة العلم نشره)). ويضيف السيد نريمان انـه كلمـا التقـى بأسـتاذه، ارتـسم أمام ناظريه المثل القائل ((العالم كشجرة مثمرة، متى ما كثرت عطاياها وثمارها، فأنهـا تـنحني تواضعاً للاشجار التي تحتها)).. ويستشهد بما قاله الشاعر بهذا الصدد : ملء السنابل تـنحني بتواضع والفارغات رؤوسهن شوامخ. ويربط السيد تلك الظاهرة من صفات العلماء، بمـا نـشهده في الوقت الحالي من ندرة تلك الصفات عند المثقفين.

وفي هذا السياق من تعاون الدكتور محسن مع طلبته، يذكر السيد (نريمان) أن استاذه أعطاه مجموعة من المخطوطات المهمة، وطلب إليه استنساخها، لغرض الإفادة منها، لا سيما وان تلك المخطوطات كانت عبارة عن مذكرات دونها الدكتور في رحلاته من بغداد الى اربيل وليبيا. ويضيف أن من الأمور المميزة في أسلوبه لإيصال المادة التاريخية، هو تعزيز الثقة في نفس الطلبة، حين يؤكد على ضرورة ان يبادر الطالب الى الحوار والجدل العلمي والاستنتاج.

ويقف السيد عند المستوى العلمي لأستاذه مؤكداً انه صاحب مستوى علمي راق يمتلك خزيناً معرفياً يتمحور حول موضوعات فكرية متعددة. ويستذكر المواد التي درسّها بما فيها (فلسفة التاريخ، فلسفة الحضارة والمدنية، الاستشراق وعلم الكلام والفرق الإسلامية). ويضيف الى انه يمتلك فضلاً عن ذلك معلومات قيمة ورصينة عن تلك الموضوعات التي يدرسها لطلبته، في الوقت الذي كان يذكر جل المصادر ومؤلفيها ممن لها علاقة بمادة الدرس.

ويلتفت الى طبيعة إشرافه على الرسائل والاطاريح، مؤكدا انه دقيق في قراءاته، شديد في ملاحظاته بكل احترام وتأني، ولا يبتغي في ذلك سوى ترصين المشروع العلمي، من خلال إثارة فضول الطالب بتوجيه أسئلة وانتقادات، تكون نتائجها جميعاً في مصلحة طلبة الدراسات العليا، وهذا ما يتجسد دائماً في مناقشاته لرسائل الطلبة، مؤكداً أن أستاذه، ناقشه في رسالته، إذ كان رئيساً للجنة المناقشة في الأول من كانون ثان ٢٠٠٦ في جامعة السليمانية.

أما الوقت، فهو ذو ثمن عال في قاموس الأستاذ محسن، إذ لا يتخلف أو يتأخر محاضرة واحدة، سواء في مرحلة الدراسات الأولية او العليا.

الحس القومي عند الدكتور :

ويضيف السيد (نريمان عبد الله علي) أنه لطالما انعكس الحس الوطني والقومي في أحاديث أستاذه، مؤكداً انه لم يكن إنسانا عنصرياً يفرد قوميته بحبه، بل انه يؤمن بالتعايش، في الوقت الذي يتمنى من أعماق قلبه، أن يصل الكرد إلى تحقيق أهدافهم. ومن هذا المنطلق، يرى انه صاحب مشروع وطني، وهذا على ما يبدو، جعله يتقاطع مع المنسوبية والمحسوبية في أروقة الجامعات، لأن ذلك من شأنه أن يصيب المؤسسة العلمية بالانتكاس، وفي هذا السياق يرى

أن الدكتور أشار الى الكثير من الأمور المتعلقة بالسلطة الكردية التي تستحق الوقوف عندها، بل والعمل على إصلاحها، لا سيما في مؤسساتها السياسية والإدارية،مؤكدا أن أستاذه صادق فيما يقوله وجريء فيما يبديه، فهو يتحدث بشفافية واضحة لا لبس فيها ولا غموض لما كان لديه من مواقف، حيث أُبعد لأكثر من مرة من مسؤوليات كانت على عاتقه،ولم يثن هذا من عزمه إذ التقى بقيادات كردية ومؤثرة في السلطة، وتحدث معهم بكل وضوح عما يحصل من فساد سياسي وإداري واجتماعي، وكذا الحال حين أشار الى ازدواجية في المعايير قد تلمسها في تعامل السلطة مع المدن والعشائر، حين راحت تفضل الواحدة على الأخرى بما يؤسس لتفاوت طبقي بكل المعايير. مل وت

ويلتفت السيد (نريمان عبد الله علي) الى الجانب العلمي لأستاذه، حين أشار الى طبيعة إشرافه على الرسائل والاطاريح، مؤكدا انه دقيق في قراءاته،شديد في ملاحظاته بكل احترام وتأني، ولا يبتغي في ذلك سوى ترصين المشروع العلمي، من خلال إثارة فضول الطالب بتوجيه أسئلة وانتقادات، تكون نتائجها جميعاً في مصلحة طلبة الدراسات العليا، وهذا ما يتجسد دائماً في مناقشاته لرسائل الطلبة، مؤكداً أن أستاذه، ناقشه في رسالته إذ كان رئيساً للجنة المناقشة في الأول من كانون ثان ٢٠٠٦ في جامعة السليمانية.

ببليوغرافيا بنتاجاته العلمية

الكتب المطبوعة

١ ـ اربيل في العهد الاتابكي، بغداد، ١٩٧٦، تمت ترجمته الى اللغة الكوردية في الأكاديمية الكردية / اربيل وطبع فيها.

٢ ـ موضوعان في التاريخ الكردي، بغداد،١٩٧٦.

٣ ـ الجيش في عهد صلاح الدين، تكوينه، أسلحته، بحريته وابرز معاركه التي خاضها، طبعة بيروت / مطبعة الرسالة ١٩٨٦وطبعة أربيل ٢٠٠٣، وفي سنة ٢٠٠٧ تمت ترجمته الى اللغة الكوردية وطبعته في السليمانية / دار تيشك.

٤ ـ تاريخ فلسطين في العصور الإسلامية، بغداد، وزارة التعليم العالي،١٩٨٦،(تأليف مشترك)،ط٢،دار الرسالة بيروت، ١٩٩٩.

٥ ـ منهج البحث التاريخي، بغداد، وزارة التعليم العالي،١٩٩٢. (تأليف مشترك)

٦ ـ زيننامه ى كه شترين، بغداد ـ دار الثقافة والنشر الكردية، ١٩٩٢.

٧ـ نناشد صلاح الدين أم نحاسب أنفسنا، استجواب قائد بعد ثمانمائة سنة، حوار مع الأستاذ الدكتور محسن محمد حسين،اربيل، ٢٠٠٢، وترجم الى اللغة الكردية

٨ ـ صلاح الدين أكبر من نقّاده، السليمانية، ٢٠٠٦ (باللغة الكردية).

٩ ـ الاستشراق..رؤية شرقية . سيصدر قريباً عن دار الوراق بلندن.

١٠ ـ فلسفة التاريخ،سيتم طبعها مع كتاب طبيعة المعرفة التاريخية في كتاب واحد في مؤسسة موكريان / اربيل.

١١ ـ اللامنتمي في التراث الإسلامي، مسودة جاهزة للطبع.

بعض أبحاثه المنشورة:

ـ قراءة لما كتب في تاريخ اربل الإسلامي، مجلة المجمع العلمي الكردي / بغداد المجلد الرابع ١٩٧٦.

ـ مصرع السلطان الخوارزمي الأخير جلال الدين منكوبري مجلة كلية الاداب / بغداد العدد ١١، ١٩٧١

ـ قلعة اربيل ودورها في الدفاع في التاريخ الإسلامي / مجلة كلية الآداب / بغداد العدد ١٢، ١٩٧٥.

ـ ابن الأثير وأحداث عصره وموقفه من صلاح الدين مجلة شمس كردستان، بغداد / ع ٢٤، ١٩٧٦.

ـ عز الدين الضرير الاربلي، مجلة المجمع العلمي الكردي / بغداد المجلد الخامس / ١٩٧٧.

ـ مظفر الدين كوكبري حين طرد من اربيل، مجلة المجمع العلمي العراقي /المجلد السابع / بغداد، ١٩٨٠.

ـ المشطوب الهكاري، سيرة مجاهد، مجلة المجمع العلمي العراقي / المجلد الثامن، ١٩٨١.

ـ ابن الأثير يؤرخ حوادث عصره غير السياسية مجلة المجمع العلمي العراقي / المجلد العاشر ١٩٨٣.

ـ أضواء جديدة على نواب زين الدين علي كوجك في اربل، مجلة المجمع العلمي العراقي / المجلد الحادي عشر ١٩٨٤.

ـ دور الكرد في جيش صلاح الدين، مجلة المجمع العلمي العراقي / المجلد الثالث عشر ١٩٨٥.

ـ المفكر ابن خلدون مؤرخاً، مجلة ـ روشنبيرى نوىّ ـ بغداد، العدد ١٠٢، ١٩٨٥.

ـ محاولات لإنقاذ مثوى الرسول الكريم (ص) مجلة الرسالة الإسلامية / وزارة الأوقاف / بغداد العددان (١٨٧ ـ ١٨٨)، ١٩٨٥.

ـ نظرية التعاقب الدوري عند ابن خلدون وفيكو ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية / كلية الآداب جامعة الكويت ، العدد ١٩، المجلد الخامس، ١٩٨٥.

ـ صلاح الدين يستجيب للتحدي الصليبي،مجلة روشننبيري نوي، بغداد، العدد ١٠١، ١٩٨٥.

ـ مسؤولية صلاح الدين في فشل حصار صور، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة الكويت، العدد ١٦، المجلد الثاني، ١٩٨٧.

ـ أبن ـ المستوفي وزير ومؤرخ أربيل،مجلة روشنبيري نوي / بغداد العدد ١١١، ١٩٨٧.

ـ صلاح الدين في نظر معاصريه،مجلة روشنبيري نوي / بغداد، العدد ١١٢، ١٩٨٧.

ـ جيش صلاح الدين الأيوبي، مجلة المورد، وزارة الثقافة، بغداد، ع٤، مج١١، ١٩٨٧.

ـ الفلسفة الطبيعية في تفسير التاريخ، نظرية شبنكلر، مجلة روشنبيري نوي / بغداد، ع١٢٤، ١٩٨٩

ـ أسباب وطبيعة اتصال صلاح الدين بالخليفة الموحدي بالمغرب، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود / الرياض السعودية ع١، مج٢،١٩٩٠.

ـ قيام وسقوط الحضارات بفعل الإنسان، نظرية التحدي والاستجابة لتوينبي. مجلة روشنبيري نوي، بغداد، ع١٢٢، ١٩٩١.

ـ قلعتان عظيمتان، دراسة مقارنة بين قلعتي اربيل وحلب، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٢٣، بغداد ١٩٩١.

ـ بعض خصوصيات الفكر التاريخي لدى توينبي ونقد أفكاره، مجلة روشنبيري نوي، بغداد،ع١١٩، ١٩٩١.

ـ صلاح الدين من يكون، مجلة روشنبيري نوي، بغداد، العدد الأول، ١٩٩٢.

ـ طبيعة المعرفة التاريخية، مجلة روشنبيري نوي، بغداد، ع١٢٢، ١٩٩٤.

ـ وصايا مكيافيللي لتلميذه صدام ـ بحث ضمن ابحاث المؤتمر العلمي الاول حول كركوك للمدة (٢٥ ـ ٢٧ / آب / ٢٠٠٥.

أبحاثه المفقودة (المسروقة)

قدم الدكتور العديد من الأبحاث إلى مجلات علمية في بغداد حين كان تدريسياً في جامعة بغداد، إلا انه لم ير أي أثر لها، ولربما لم تنشر بسبب هروبه من بغداد بعد ان شعر بقرب اعتقاله من قبل مخابرات النظام. وعلى اثر تركه بغداد والتوجه إلى مدينته، فقد نُشر قرار فصله من جامعة بغداد عبر الصحف الرسمية لحكومة بغداد وتحت عنوان :

(إلى أ. د. محسن محمد حسين / مجهول الإقامة : بسبب انقطاعكم عن الدوام الرسمي في كلية التربية / ابن رشد وتجاوز غياباتكم الحد الرسمي وبدون عذر مشروع، فقد أصدر مجلس قيادة الثورة أمر فصلكم من الخدمة، يُعمل بذلك من تاريخ نشر هذا الإعلان)

لقد تم طرده على الرغم من أنه كان يتمتع بتفرغ علمي لمدة سنة، ويعمل في انجاز بحث في المجمع العلمي العراقي بإشراف الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي (رح) ـ كما اشرنا سلفاً ـ. وأمام ذلك، فقد أسقط من يديه فرصة متابعة أبحاثه تلك ، فطواها النسيان كحال غيرها من محاسن الأشياء.

ووقفنا على عنوانات بعض تلك البحوث غير المنشورة بما فيها :

ـ أبن خلكان مؤرخاً من خلال مشاهداته ومروياته، إذ حصلت موافقة المجمع العلمي العراقي على نشره حسب كتاب المجمع برقم ٢٢٥ في ١٢نيسان ١٩٩٢، ثم نشر في مجلة (زانكو) أربيل، العدد (٢١١)، ٢٠٠٤، بعد العثور على أوراق مسودة البحث .

ـ بواكير التدوين التاريخي قبل الإسلام. وعمد إلى تقديم هذا البحث إلى مجلة كلية التربية (ابن رشد) وقد تمت الموافقة على نشره في مجلة الأستاذ في كانون الثاني ١٩٩٤، إلا انه لم ينشر برغم حصوله على تقويم بدرجة أصيل.

ـ أسامة بن منقذ. المؤرخ الفارس يدوّن مشاهداته أيام الحروب الصليبية. وتقدم به الاربلي إلى مجلة " رو شنبيري نوى" وتم قبوله للنشر في ١٨ تشرين ثان ١٩٩٢. وبسبب هروبه ولعدم احتفاظه بنسخة من الأصل إلى جانب عدم نشره في تلك المجلة، فقد أصبح بحكم المفقود.

أما الأبحاث التي تم نشرها بعد هروبه من بغداد فهي :

ـ رسائل صلاح الدين.... الفحوى والمغزى. نشر في مجلة " مه تين / متين" التي كانت تصدر في مدينة دهوك في العدد (٥٤) سنة ١٩٩٦ وباللغة الكردية.

ـ بحثان مترجمان إلى اللغة التركية في مؤتمر صلاح الدين في مدينة ديار بكر ١٩٩٦، وقد نشرا في دورية خاصة بالمؤتمر، طبعت في استانبول في السنة نفسها.

ـ ملاحظات الرحالة أبن جبير حول صلاح الدين ودولته، مجلة (سه نته رى برايه تي) في العدد (٢٣) سنة ٢٠٠٢.

ـبحث (بنو خلكان)، مجلة زانكو، العدد (٢٤١)، سنة ٢٠٠٥.

ـ بحث عن (الاستشراق، العنصرية والحقيقة)، العدد (٨)، مجلة الأكاديمية الكردية، أربيل ٢٠٠٨

ـ قراءة واعية للتراث، مجلة (K٢١)، العدد الأول، السنة (٢٠٠٨)

ـ وفاة ودفن السلطان مظفر الدين كوكبوري، مجلة (K٢١)، العدد (٢ ـ٣) لسنة ٢٠٠٨.

ـ حول قلعة أربيل، مجلة (K٢١)، العدد(٥ ـ٦) لسنة ٢٠٠٩.

ــ وفي ملف (الاستشراق) في مجلة (كوج) السليمانية في العدد المزدوج (٧ ـ ٨)، نشرت آراء الدكتور محسن حول الاستشراق (من الجهل الى المعرفة). ونشرت المجلة نفسها "كوج" في ملف عن الفلسفة، صفحات تحت عنوان (د. محسن محمد حسين وفلسفة التاريخ)، عدد خريف شتاء ٢٠٠٩.

ـ أربيل في العصر العباسي، محاولة لخلخلة التاريخ، العدد (١٣)، مجلة الأكاديمية الكردية ـ أربيل.

ـ ريادة اربيل في عهد مظفر الدين كوكبري في تنظيم مهرجان المولد النبوي، مجلة (K٢١)، العدد (٧) لسنة ٢٠١٠.

ـ بسالة الفرنجة وأساليب قتالهم وفشل مشروع احتلال الحجاز، العدد (١٥)، مجلة الأكاديمية الكردية ٢٠١٠.

ـ صلاح الدين وطبيعة علاقاته، بمثابة وثيقة، مجلة (K٢١)، العدد (٨) لسنة ٢٠١٠

ـ دور الاعلام الكنسي في التمهيد للحرب الصليبية (مجلة K٢١) العدد (١٥) لسنة ٢٠١١.

والى ذلك، فمما لا شك فيه أن غزارة خزين مؤرخنا المعرفي، جعلته معطاءً في شؤون العلم والتاريخ، وهو ما جسده في عشرات المقالات والبحوث التي رفد بها المجلات والدوريات إذ وقفنا على ببليوغرافيا بنتاجه هذا نورد منها ما وقع بين أيدينا وكما يلي :

ـ مجلة المجمع العلمي العراقي / الهيئة الكردية ـ بغداد.

ـ مجلة كلية الآداب / قسم اللغة الكردية / جامعة بغداد.

ـ مجلة المورد، بغداد .

ـ المجلة العربية للعلوم الإنسانية ـ كلية الآداب ـ الكويت.

ـ مجلة جامعة الملك سعود ـ كلية الآداب / الرياض ـ السعودية.

وهناك أكثر من ستين بحثاً لمؤرخنا تم نشرها في الصحف والمجلات باللغة العربية والكردية ومن بينها ما يلي :

ـ صحيفة التآخي ـ بغداد.

ـ صحيفة العراق ـ بغداد.

مجلة كاروان ـ أربيل.

ـ مجلة ينابيع ـ أربيل.

ـ مجلة رؤية ـ السليمانية.

ـ صحيفة بدرخان ـ أربيل.

ـ مجلة الاتحاد الدولي.

ـ صحيفة نداء الرافدين، دمشق، وكان رئيس تحريرها وزير المالية الحالي " بيان جبر الزبيدي"

ـ صحيفة الاتجاه الآخر، دمشق.

ـ مجلة الفكر الجديد ـ أربيل.

ـ مجلة متين ـ دهوك.

ـ صحيفة (جماور).

ـ مجلة الحداثة / نوىّ بوون.

ـ مجلة هه ولير.

ـ مجلة سه نته ري برايه تى.

ـ مجلة شمس كردستان. ـ مجلة الرسالة الإسلامية.

ـ مجلة الرسالة الإسلامية.

ـ مجلة الرسالة الاسلامية

ببيليوغرافيا بإشراف الدكتور محسن محمد حسين ومناقشاته لطلبة الماجستير والدكتوراه في جامعات العراق ولبيبا :

أولاً : في بغداد :ـ لم يتمكن الدكتور من الاحتفاظ بنسخ الرسائل والاطاريح التي ناقشها حين كان تدريسياً في كلية التربية / ابن رشد، لأنه ترك معظم أثاثه في المنزل وغادر خلسة، ولا تزال لدي عدد من تلك الرسائل والاطاريح التي أهداها لي قبيل مغادرته لبغداد.

ت	الاســـــــــــــــــــــم	عنوان الرســـــــــــــــــــالة
١	فراس سليم	دراسة في كتاب الخميس في تاريخ أنفس النفيس
٢	فاروق الالوسي	تحقيق في مخطوطة ـ لم يتذكر اسمها ـ

ثانياً : في ليبيا : اشرف فقط على رسالتين :

ت	الاســـــــــــــــــــــم	عنوان الرســـــــــــــــــــالة
١	عطية عبد السلام اللافي	الدولة المرينية ودورها الجهادي
٢	فتحي محمود الناجوري	نشأة الدولة الفاطمية ودور أفريقية فيها (تونس وليبيا)

ثالثاً : إشرافه في جامعات اربيل (صلاح الدين) والسليمانية وكويسنجق (خلال خمس سنوات).

ت	الاســـــــــــــــــــم	عنوان الرســـــــــــــالة
١	حكيم احمد خوشنناو	عماد الدين الكاتب الأصفهاني ومنهجه في كتابه (البرق الشامي)
٢	موسى محمد خدر	الديانة الزرادشتية في العهد الإسلامي إلى العهد الأيوبي .
٣	حيدر شكري خدر	الكرد في المعرفة التاريخية
٤	كاميران محمد نادر	فيكو وفلسفة التاريخ
٦	كاوه إبراهيم عزيز	النخبة ودورها في نشوء الحضارات وسقوطها عند ارنولد توينبي
٧	كاميران عزيز عبد الله	أسباب سقوط الإمارات الكردية في العصر العباسي
٨	آمانج سلام	العبودية في العصر العباسي (الثاني)
٩	كمال طاهر رشيد البرزنجي	تحقيق ودراسة (كتاب الدر المنتظم فيما ورد في مصر وأعمالها) معهد التاريخ العربي ـ بغداد ـ

الإشراف على طلبة الدكتوراه / جامعات كردستان لخمس سنوات :

ت	الاســـــــــــــم	عنوان الرســـــــــــــالة
١	موسى مصطفى إبراهيم	الحياة السياسية في بلاد الشام (٦٣٤ ـ ٦٥٨م)
٢	كرفان محمد أحمد	الكرد في كتابات ابن الأثير
٣	موسى محمد خدر	تاريخ الكرد في المصادر الفارسية
٤	كيوان آزار أنور	الزندقة في التاريخ ألإسلامي خلال (٤١ ـ ٢٢٧هـ) (٦٦١ ـ ٨٤١)

٥	حيدر شكري خدر	فكر التصوف الإسلامي في بلاد الكرد.
٦	بروين بدري توفيق	تاريخ الأديرة في بادينان.

رئاسته للجان مناقشة طلبة الماجستير / اربيل، السليمانية، صلاح الدين.

ت	الاســـــــــــــــم	عنوان الرســـــــــــــــــالة
١	احمد عبد العزيز محمود	الإمارة البهدينانية الكردية في أذربيجان واربيل والجزيرة الفراتية
٢	إسماعيل شكر رسول	الإمارة الشدادية في بلاد أرّان
٣	موسى مصطفى إبراهيم	سنجار دراسة في تاريخها السياسي والحضاري
٤	أحمد ميرزا ميرزا	غربي إقليم الجبال في صدر الإسلام حتى سنة ١٣٢ هـ/٩ ٧٤ م
٥	سعدي عثمان حسين هروتي	كردستان والإمبراطورية العثمانية
٦	دلير فرحان إسماعيل	الكرد في اليمن (٥٦٩ هـ ـ ٨٥٨ هـ / ١١٧٢م ـ ١٤٥٤م)
٧	عماد عبد القادر محمد سعيد	الكاشيون (١٥٩٥ ـ ١١٦٢ ق م)
٨	كلثوم جميل عبد الواحد	الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية في الجزيرة لبلاد الكرد في عهد الساسانيين..
٩	مقداد حسين طه	الخدمات الصحية والاجتماعية في الجزيرة الفراتية في القرنين الخامس والسادس الهجريين.
١٠	كامل اسود قادر	البحرية الأيوبية
١١	شفان ظاهر عبد الله	الملك الأفضل علي بن صلاح الدين، دراسة في دوره السياسي والعسكري والحضاري.
١٢	كابان عبد الكريم علي	الإصلاح الديني في المسيحية مقارنة بالإصلاح الفكري في الإسلام
١٣	آراس فريق زينل	الحرب النفسية في عهد صلاح الدين

١٤	كيوان أزاد أنور	المانوية وتأثيرها الفكري في العصر العباسي
١٥	صلاح كانبي إسماعيل	تجارة مصر في عهد صلاح الدين
١٦	نريمان عبد الله علي	أوضاع الموالي في العهد الأموي
١٧	هوكر رحمن قادر	بلاد الكرد في القرنين الأول والثاني الهجريين
١٨	أحمد محمد عبد الكريم	الكرد في عهد الاتابكة الزنكية

ترأسه للجان مناقشة طلبة الدكتوراه في جامعات كردستان :

ت	الاســـــــــــم	عنوان الرســـــــــــالة
١	نبز مجيد أمين	الاستخبارات في عهد صلاح الدين
٢	قادر محمد حسن	الكرد في مصر وبلاد الشام خلال عهد المماليك البحرية.
٣	مهدي قادر خضر	الأمن في مصر في العصر الأيوبي (٥٧٦ ـ ٦٥٥ / ١١٧١ م ـ ١٢٥٥م).
٤	شوكت عارف محمد الاتروشي	الحياة الفكرية في مصر خلال العهد الأيوبي.
٥	عادل حسين	اربيل من نهاية العهد الاتابكي حتى قيام دولة ألاق قوينلو (٦٣٠ ـ ٨٥٤هـ / ١٢٣٢ هـ ـ١٤٥٠)
٦	آكو برهان محمد	التجارة والنظم المالية في كردستان من القرن الرابع حتى السابع الهجري.
٧	عماد عبد القادر محمد سعيد	تأثير الفكر اليوناني في التصوف الإسلامي (الشهروردي المقتول أنموذجا)
٨	فرحان عاجي عيوش	المقريزي وكتاباته عن تاريخ الكرد
٩	حكيم عبد الرحمن زبير	الدولة الأيوبية وفق نظرية ابن خلدون.

خاتمة الكتاب

لعل المتصفح لوريقات هذا الكتاب والمتأمل لسطورها، والمتمعن في معانيها، والطروحات التي تضمنتها مؤلفات الدكتور محسن محمد حسين، فضلاً عن تلك التي سمعناها مباشرة منه، سيلمس من دون شك ثوابت حافظ عليها، على الرغم من كونها قد خلقت منغصات في حياته، ما انفكت تلازمه أينما حل. فكان أميناً في كلامه، وهذا ما البّ عليه حزمة من الكذّابين، وكان علمياً في تناوله وطرحه، ما فتح عليه أبواب ممن ثخن دماغه، إلى جانب ذلك، فهو إنسان بمعنى الكلمة، وهذا ما أغاظ عليه من لم يكن كذلك، ومعواناً معطاءً، مما أثار عليه جهابذة النظام وأعوانه، فحاربوه أيمَ حرب، وكنت شاهداً ومراقباً لهذا الأمر عن كثب.

وأمام ذلك وغيره الكثير من المزايا مما التصقت بشخصيته، وجدت نفسي أمام سيرة شدتني إليها ودفعتني إلى اجتلاء الجهد المبذول في قراءة تلك السيرة، على الرغم من أنني دارس للتاريخ متعسر في الرضا، إلا أنني وجدت في تلك القراءة، ما أبقاني ملتزماً للترجمة للأحياء بعد أن تيقنت أن الكتابة عنهم وهم أحياء يعد عوناً للإفصاح عما اكتنف الروايات من غموض، وبياناً لمسار لربما يعتقد الناظر إليه، انه بغير مساره وما يقومه سوى من خطه في حياته، وهذا ما ألفناه عند مترجمنا حين راح يقوّم لنا الكثير من البيانات ويصحح الكثير من الحقائق، ممن غمطت صحتها وتعذرت قراءتها، فهو لم يدرّس مادة التاريخ كمادة مجردة لذاتها، بقدر ما عمد إلى استثمار تلك المادة وإسقاطها على الواقع المعاش معولاً على تجارب الأمم في التحرر من العبودية والانطلاق نحو المجد، وهذا ما تلمسناه في واقع تدريسه لمادتي (منهج البحث في التاريخ) و(فلسفة التاريخ) بل وما اعترف هو بذلك. وعليه فأنه وجد في دراسة التاريخ وتدريسه وسيلة وغاية نحو ارتقاء الإنسان، حين حدد المقدمات وطرح النتائج بوصفهما مرتبطان

ببعضهما، إذا ما علمنا أن النتائج تدل على المقدمات. وتلمسنا انه يعتبر من التاريخ، حين أكد أن ما كتب عن الملوك والسلاطين لا يعكس وجه الحقيقة، فأحداث التاريخ لا يصنعها الملوك لوحدهم، إنما للجماهير الدور الأهم فيها، وهذا ما تلمسناه حين أنتقد بعض ممن دوّن التاريخ الأموي

والعباسي، لأنهم لم يلتفتوا سوى لما أراده الخليفة أن يُدّون.

وأخيراً نقول " ومن طلب العلى سهر الليالي " ونعتقد أن الدكتور محسن هو من سار على هذا النهج حين أيقن أن من يسلكه سيلقى صداما، وهو ما لقيه إبان مسيرة حياته، فكان جسوراً جريئاً في طرحه وهذه السمة المميزة لصفحة شخصيته فهو إذن من أصحاب الأقلام الحرة، على الرغم من أنه ظهر في مرحلة تجلّى القمع فيها بأسوأ صوره، من تكميم لأفواه المبدعين، وسحق لآدميتهم، وتشريد الداعين للحرية بطردهم من وظائفهم، أو سجنهم، أو التنكيل بهم أو مراقبتهم وتهديدهم وتوجيه التهم أليهم. وبالتالي فهو نسيج وحدةٍ لن تتكرر، حين جمع كل تلك الصفات الإنسانية والعلمية وسخرها لخدمة الجيل.

ثانياً: مخطوطات

- عباس العزاوي ومراسلاته مع لويس ماسينيون، مخطوط في مكتبة المجمع العلمي العراقي توجد نسخة مصورة من هذا المخطوط في مكتبتنا(د. أحمد الغريري).

- محسن محمد حسين (الاستاذ الدكتور)،من مذكراته.

- رسائل بخط اليد وردت من :-

- إسماعيل ملا محمد خوشناو، آذار ٢٠٠٨.

- أبو بكر أحمد وأمين خضر، نيسان٢٠٠٩.

الأستاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم / النجف الاشرف - جامعة الكوفة، آب ٢٠٠٩.

- م. ريبوار سيوه يلي، تشرين اول ٢٠٠٨
- السيد نريمان عبد الله علي، كانون ثان ٢٠١١
- الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام، كانون أول ٢٠٠٩.

ـ أ د. عبد الفتاح علي بوتاني، شباط ٢٠٠٨
ـ السيد مدحي مندلاوي، نيسان ٢٠٠٨.
ـ الاستاذ الدكتور محمد عارف، كانون ثاني ٢٠٠٩:
ـ الدكتور (قادر محمد حسن بشدرى)، تموز، ٢٠٠٩
ـ الأستاذ الدكتور (وريا عمر أمين)، شباط ٢٠٠٨.

ثالثاً :وثائق رسمية غير منشورة :

ـ كتاب التعضيد الصادر من عمادة كلية التربية / ابن رشد برقم ١٣٨ في ٢٠شباط ١٩٨٤.

رابعاً : كتب عربية مطبوعة :

ـ ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م) : الكامل في التاريخ، حوادث سنة ٥٦٣.
ـ أحمد عبد الحميد غراب : الإستشراق، رؤية إسلامية، الطبعة الثانية، لندن، المنتدى الإسلامي، ١٤١١ هـ.
ـ أحمد بن نعمان: فرنسا والأطروحات البربرية ـ دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع ـ طبعة ثانية، الجزائر ١٩٩٧
ـ إسماعيل أحمد عمايرة : المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية : بحث في الجذور التاريخية، عمان، دار حنين ١٩٩٢
ـ إمام عبد الفتاح، هيجل (محاضرات في فلسفة التاريخ)، القاهرة، العالم الشرقي، ١٩٨٦م.
ـ أحمد حيدر الشهابي (الامير)، "قصة أحمد باشا الجزار بين مصر والشام وحوادثه مع نابليون بونابرت"، القاهرة، مكتبة مدبولي،٢٠٠٨.
الاربلي، محسن محمد حسين : لألألألألألألألألألألألألأل
- ـ أربيل في العهد الاتابكي، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٦.
- منهج البحث التاريخي، بغداد، ١٩٩٢ (مشترك).
- تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط، الأردن، ١٩٩٩.
- مكيافيللي في الميزان، أربيل، ٢٠٠٧.

ـ أندريه إيمنسكي، ألبرت شفايتزر–المفكر والإنساني والطبيب:ترجمة وتحقيق: هاني مرتضى، دار الوراق للنشر والتوزيع،٢٠٠١.
ـ أعلام الأدب العربي المعاصر : سير وسير ذاتية، إعداد الأب روبرت ب.
كامبل اليسوعي، بيروت – المجلد الأول – الشركة المتحدة للتوزيع – بيروت جامعة القديس يوسف – ١٩٩٦.
ـ تقي الدين الفاسي المكّي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين : ج٧، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٨٦.
ـ تشارلز تريب، صفحات من تاريخ العراق، بحث موثق في تاريخ العراق المعاصر منذ نشوء الدولة الحديثة حتى أواسط ٢٠٠٢ ترجمة: زينة جابر إدريس، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة: الأولى٢٠٠٦ .
ـ جمال هاشم : الرؤية التشكيلية، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، المطبعة الشرقية.
ـ أبو الحسن عي الحسني الندوي : الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، الطبعة الثانية بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣.
ـ حسين فوزي، بيتهوفن، دار المعارف. ١٩٨٩
ـ أبن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ، ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق : إحسان عباس، ج٣، دار صادر – بيروت، ١٩٠٠.
ـ دانيل بايبس، الإسلام والحضارة الغربية.الطبعة الخامسة (بيروت : ١٤٠٢–١٩٨٢).
ـ دانييل – هنري باجو، الأدب العام والمقارن، ترجمة د .غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب١٩٩٧ .
ـ ديلا بورت، بلاد ما بين النهرين، ترجمة محرم كمال، ط٢، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٧.
ـ سلامة موسى، اليوم والغد. المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٢٧.
ـ شربل داغر، انطولوجيا الشعر الزنجي الأفريقي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٨
ـ شوفالييه، جان جاك، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة محمد عرب صاصيلا، ط٤، بيروت ١٩٩٨

- ابن العماد الحنبلي (ابو الفلاح عبد الحي بن العماد) (ت١٠٨٩ هـ /١٦٧٨ م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الجزء الخامس، دار المسيرة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩.
- عبد الرحمن مرحبا، أينشتين والنظرية النسبية، دار القلم – بيروت – الطبعة الثامنة – شباط ١٩٨١م.
- عبد ربه الاندلسي : العقد الفريد، ج٢، طبعة دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٦.
- عبد المعطى شعراوى هوميروس–شاعر الإلياذة والأوديسا، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥.
- عمارة اليمني، النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية، الناشر: مدبولي، ١٩٩٧.
- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج١١، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤، مادة: نيتشه.
عطيات محمد أبو السعد، فلسفة التاريخ عند جامبا تيسيتا فيكو، دار الفارابي، دار التنوير للطباعة ٢٠٠٦.
الغريري، أحمد ناجي:
- عباس العزاوي، حياته، آثاره، منهجه في كتابة التاريخ، بغداد، ٢٠٠١.
- كمال مظهر أحمد، خمسون سنة في دراسة التاريخ وكتابته، النجف، ٢٠١١.
- مجدي كامل، أشهر الأساطير في التاريخ، الطبعة الأولى، القاهرة،٢٠٠٣.
- محسن محمد حسين : اربل في العهد الاتابكي، تمت ترجمته الى اللغة الكردية وطبعتها الأكاديمية الكردية / اربيل سنة ٢٠١٠.
- المهابهاراتا ملحمة الهند الكبرى، ترجمة وتقديم عبد الإله الملاح، دار ورد للطباعة والنشر، ٢٠٠٢.
- ميخائيل الصَبّاغ: تاريخ ظاهر العمر الزيداني. لبنان، ١٩٣٥.
- منَح خوري "التاريخ الحضاريّ عند تُوينبي" (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٠).
- مجموعة مغامرات حول العالم "سور الصين العظيم، دت.

- نديم ألوزة، الشعرية العربية، الطبعة الأولى، دمشق،٢٠٠١.

- الفردوسي، الشاهنامة،ترجمة سمير مالطي، دار العلم للملايين،بيروت، دت.

- فؤاد قنديل، إحسان عبد القدوس عاشق الحرية،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦.

- ألكسندر نجار : جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: محمد الدنيا، ، دار نشر "بيغماليون" باريس - فرنسا، ٢٠٠٢

- كوركيس عواد، معجم المؤلفين العراقيين،ج١، بغداد، ١٩٦٩.

- وليد ألأعظمي، أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، بغداد، مكتبة الرقيم، ٢٠٠١م، ص٢٦٧.

- ويستفال، أر. سي، حياة إسحق نيوتن، مطابع جامعة كامبريدج، ١٩٩٣.

الرسائل والدراسات :

- محمود محمد رزق، دراسة مقارنة حول المؤثرات المتبادلة بين مصر والعراق منذ عصور ما قبل الأسرات حتى مطلع الدولة القديمة من خلال الأدلة الأثرية، تمهيدي ماجستير- شعبة الآثار المصرية، قسم التاريخ كلية الآداب / جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٠.

خامساً :صحف ومجلات :

- الف باء(مجلة)، العدد (٤٥)، بغداد، دت.

- ألف باء (مجلة)، عدد خاص، ١٩٨٧.

- الحارة (مجلة) العدد الأول، الرياض، ١٤٣٠.

- راية الحرية (صحيفة)، أربيل ١٩٩٥

- السفير اللبنانية (جريدة) العدد ١١٠٠٢،بيروت، ٢١ايار٢٠٠٨

- الاستقلال (جريدة)، بغداد، ١٩٤٥ .

- كل العراق (جريدة)، عدد يوم ١٣تموز/٢٠٠٨

- المجمع العلمي العراقي (مجلة) المجلد العاشر، دت، الهيئة الكردية، بغداد.

محسن محمد حسين، اربل في العصر العباسي، محاولة لخلخلة التاريخ، مقال في مجلة (الأكاديمي الكوردية) العدد١٣، اربيل، ٢٠٠٩.
- ينابيع (مجلة) العدد السادس، اربيل، كانون الثاني ٢٠٠٥.

سادساً : مطبوعات حكومية :

- إصلاح أم تحديث ؟ مصر في عهد محمد علي - تحرير رؤوف عباس. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠.
- الهيئة العامة للمعلومات، ليبيا، ٢٠٠٩

سابعاً : دراسات وموسوعات : -

- دائرة المعارف الإسلامية ، ط ١٩٣٣ ، مادة اربل. مجلد رقم (١)
- ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا ١٨٤٨- إصدارات "الجمعية الملكية للدراسات التاريخية في مصر، مطبعة دار الكتب المصرية عام ١٩٤٨.
- المجمع الوسيط، الطبعة الثالثة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ، ١٩٦٥.

ثامناً : مراجع أجنبية :

Jon Petrie , The Secular Word "HOLOCAUST" Scholarly Sacralization, Twentieth Century Meanings.

Encyl. : Britannica" Irbil" v.١٢

تاسعاً : مقابلات :

- أبو بكر أحمد وأمين خضر (معلمان تتلمذا على الدكتور محسن)، اربيل، ٢٠٠٩.
- حسن عيسى الحكيم (الأستاذ الدكتور)، النجف الاشرف - جامعة الكوفة، ٢٠٠٩.
- م. ريبوار سيوه يلي : ، اربيل ٢٠٠٨.
- نريمان عبد الله علي (طالب دكتوراه)، اربيل ٢٠١٠.
- عبد الفتاح علي البوتاني(الأستاذ الدكتور) ، اربيل ٢٠٠٨.

- عماد عبد السلام (الأستاذ الدكتور)، اربيل ٢٠٠٩.

- ماموستا (عضو قيادة الحزب الشيوعي الكردستاني في العراق / فرع كردستان سابقاً، اربيل، ٢٠٠٩.

- مدحي مندلاوي وكيل وزير الثقافة لإقليم كردستان، مقابلة معه، اربيل، ٢٠٠٨.

- محسن محمد حسين (الأستاذ الدكتور)، اربيل، متعددة.

- مغديد حاجي (كاتب وصحفي ومدرس وعضو المكتب التنفيذي لاتحاد معلمي كردستان)، ٢٠٠٩.

- محمد عارف (الأستاذ الدكتور)، اربيل ٢٠٠٨

- نادر محمود (معلم تتلمذ على الدكتور محسن)، اربيل، ٢٠٠٨

- قادر محمد حسن بشدرى (الدكتور)، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، ٢٠٠٩.

- وريا عمر أمين (الأستاذ الدكتور)، الأكاديمية الكردية، اربيل، بغداد، ٢٠٠٨، ٢٠٠٩.